

محمد الغزالي
الإسلام
في وجه
الزحف الأحمر
المختار الاسلامي

(الطبعــة السادسة)

١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

خامرني احساس بالوجل والضيق للرواج الذي لقيته الشيوعية في الآونة الأخيرة .

لقد استولت على مساحات واسعة من الأرض ، واعداد كبيرة من الناس ...

واستهوت لفيفا من الشباب في البلدان العربية والاسلامية من فارغي العقول والأفئدة ...

وأصبحت – على الأقل – وجهة نظر تعرض نفسها بين وجهات النظر الأخرى دون ملام أو خشية ...

بل أصبح اتباعها يؤملون أن تتدافع الأمور اليهم وتقع أزمّة المجتمع كلها في أيديهم ...

وغاظني ان يرجع ذلك النجاح كله الى نشاط العارضين لا الى جودة السلعة .!!

فان الشيوعية لو عرفت على حقيقتها العارية نظريا وعمليا لولى عنها الأنصار ، ولانصرفوا كارهين مزرين ...

وغاظني أن الفراغ الديني الرهيب في الأمة الاسلامية المترامية الاطراف. هو أول ما يعين الشيوعية على خداعها ، ويوقع القاصرين في حبائلها .. وهو فراغ لا يملأ جزءا منه علماء الدين المحنطون في معارفهم التقليدية الباهتة ، ولا رجال السياسة المنسلخون عن عقيدتهم وشريعتهم ، الحارسون لحكم مدني ميت الروح وضيع الهدف ..!!

وقد كنا نتصور الشيوعية أمل الجياع الذين يريدون الشبع، والمظلومين الباحثين عن العدل الاجتماعي وتكافؤ الفرص ، والكادحين الراغبين في وفرة الكرامة ، وأمان الحاضر والمستقبل ..

واستطعنا أن نقدم هذا كله جزءا لا يتجزأ من تعاليم الاسلام ، وعددا يحصى احصاءا من شعب الايمان !!

وقلنا : في الحق ما يغني عن الباطل ، وفي الدين ما يعصم من الالحاد..

غير انا فوجئنا بطلاب الشيوعية يريدونها مذهبا يجرد الحياة تجريدا تاما من كل صلة بالله واليوم الآخر ، ويقصر النشاط البشري كله على عبادة الأرض ، وتوفير القوت ، وتيسير بعض الملذات .. ان أمكن ...

ورأيناهم يحاكمون التراث الانساني كله الى قضية الخبز ويتناولون بالمحو العاجل أو البطيء ما يخالف المنطق المادي ..

وأعانهم على هذه الفوضى الروحية والفكرية ما يعانيه العالم العربي والاسلامي من ذبذبة وحيرة ، وما يرشح عليه من أرجاس الاستعمار الثقافي بعد الاستعمار العسكري ...

لذلك رأيت ان اكتب هذه الصحائف الحافلة بالحقائق العلمية والتاريخية . وأودعتها صرخات قلب غيور على دينه شفيق على أمته .

وأعرف أنني بكتابتها سأتعرض لعداوات مميتة .

ولكن بئست الحياة ان نبقى ويفنى الاسلام ...!!

ان الضربات تنهال من كل ناحية على هذا الدين الجلد .. !!

وعلى بعد ما بين الخصوم الضاربين من منازع وغايات فقد جمعهم حب الاجهاز على الاسلام واقتسام تركته ...!!

وقد فرض الله على العلماء ان يقولوا الحق ولو كان مرا، وأن لا يخشوا في الله لومة لائم ...

وعشاق الحق لا بد أن يحيوا معه ، والا فبطن الأرض خير من ظهرها .

والامة التي أعنيها ليست عشيرتي الاقربين، ولا العرب أجمعين، كلا ..!

انني اعني الامة الاسلامية حيث انتشرت في الارض ولمس ترابها جبهات الساجدين وكل منهم يهمس في خشوع : « سبحان ربي الأعلى » .

هذه الأمة التي أحاط بها الطامعون والحاقدون هي التي احذر عليها ، واعمل لها ..

من أجلها أسوق هذه الحقائق علها تعيها، وتأخذ حذرها ليومها وغدها.

« فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد » .

محمد الغزالي
القاهرة
رجب ١٣٨٦ ــ اكتوبر ١٩٦٦

الفصل الأول

- **نظرتنا الى الشيوعية**
- **كيف تسربت الـــى البـــلاد العربيـــة والاسلامية ، ومن المسئول ؟**
- **أثر المساعدات الروسية**
- **لن نتخلى عن ديننا .**

بداية الصراع

أكره الالحاد بقدر ما أحب ربي .

وأستحمق أهله بقدر ما في قلبي وعقلي من يقين ومعرفة .

لقد آمنت بالله عن استدلال وبصر ، وتطواف في آفـاق السموات والأرض ، وتفنيد للشبهات ونسف للريب ..

ومن هنا فإن غرور الجاحدين بما لديهم من ظاهر العلم لا يلقى لدي الا الاحتقار والمقت .

وما أعد منكري الألوهية الا أشباه دواب مهما كانت حصيلتهم مـن العلوم ومكانتهم على هذا التراب !!

واذا كان الالحاد عاهة تزرى بصاحبها على هذا النحو . فكيف اذا كان صاحبها داعية لجهالته متحمسا لها ؟

وكيف اذا نما هذا الالحاد،وتكاثف،وأمست له دولة تفرضه بالسلاح، وتوطيء له الظهور والأعناق ، وتنتمي له في السر والعلن ، وتريـد به أن تطفيء نور الله ، وأن تمد ظلمته حتى تطوي أقطار الأرض الى آخر الدهر؟

ان ذلك بداهة أدعى لمزيد من الانكار والبغضاء والمقاومة والغضب!!

من أجل ذلك قاومت وقاوم كل مسلم الشيوعية العالميـة واعترض زحفها، وأبى ــ بألف دافع من دينه ــ أن يستكين لها،أو يأذن بمرورها...!!

لكن ...

لكن اذا كان الأمر كذلك فكيف تسللت روسيا أم الشيوعية وحاميتها وحاملة لوائها الى البلاد العربية والاسلامية ؟ وكيف قدرت على توطيد مكانتها هنا وهناك ؟؟

والجواب عند الصليبية الغربية التي أعمى الحقد والجشع قلبها ، وظنت ان الفرص مواتيتها لاجتياح الاسلام وأمته في هذا لعصر ..

★ ★

ماذا أصنع اذا كنت فلسطينيا ورأيت الدول المسيحية الكبرى تقرر علانية ودون ذرة من وجل أو خجل تهويد بلادي وتجريدي من داري ومالي ؟؟

ماذا أصنع وأنا أقاوم هذا الظلم الفادح فلم أجد الا السلاح الروسي يوضع في يدي لأثبت به حقي ، وأغسل به العار عن نفسي وبلدي وديني ؟؟

واذا كنت أفريقيا ورأيت الاستعمار الغربي أشد ما يكون حرصا على تنصير شرق افريقية وغربها ووسطها ، واقامة حكومات مسيحية تعمل جهرة على محو الاسلام فيها وقتل زعمائه وتدويخ شعوبه ؟؟

وأين يحدث ذلك ؟؟

بين شعوب كثرتها الكبرى مسلمة وقلتها وثنية وأقلها مسيحي .

فماذا أصنع اذا وجدت روسيا تحارب هذه الحكومات وتعرقل سياستها ؟

ألا أميل الى الروس ؟ وأتمنى لهم تقدما محدودا او مطردا ضد هذا العدو المشترك .

واذا كنت في مصر أريد بناء وطني ، وتحسين أحواله الاقتصادية ، ووجدت الدول المسيحية الكبرى تقبض يدها عني ، وتتمنى الويل لي .

فماذا أصنع اذا رأيت العون الروسي يقترب مني ويعرض نفسه علي؟؟

ان روسيا تسللت حقا الى البلاد العربية والاسلامية .

بيد أن هذا التسلل جاء نتيجة حتما لطبيعة السياسة الغربية وكراهيتها ، الدفينة للاسلام والمسلمين .

ان الغرب الصليبي يعدّ الأمة الاسلامية تركة لا صاحب لها .

وهو يتحكم في علاقتها بدينها ، ويرغمها على ترك ما يرى من شرائعه، واخفاء ما يكره من شعائره ..!!

وهو يعطي نفسه حق محو الاسلام من أي بلد وتنكيس لوائه في أي أرض ..!

وهو قد يعامل بعض الحكومات الاسلامية برفق في نطاق ما يصون منفعته فحسب !

فاذا غاضت هذه المنفعة بدا ما كان مستخفيا من عداء .

وبديهي ان يحارب المؤمنون الأحرار هذا الاستعمار الحقود والخئون.

وما كان عليهم من حرج وهم يدافعون ظلماته ان يتلقفوا السلاح من أي يد ولو كانت يد ملحد لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ..

ان الغريق لا يلام اذا تشبث بأي شيء يعصمه من الموت ويتيح له النجاة .

ونحن المسلمين في وضع شائك محزن !!

انه يستحيل أن ننسى ربنا ، أو ندع ديننا ، أو نتخلى عن توصياته في شتى المواقف .

وحين نقبل العون الروسي ماديا كان أو أدبيا فلكي نستبقي أنفسنا وتراثنا ضد من يبغي العدوان علينا .

أي أننا نريد استدامة وجودنا الأصيل بكل ما يتضمنه هذا الوجود من حقائق وشارات .

فحين نعيد فلسطين مرة أخرى ، ونكسر القوى التي تقيم اسرائيل على صعيدها . فذلك كي تعود الأرض المقدسة الى عروبتها واسلامها لا غير..!

وحين نهزم الاستعمار الكالح المتعصب في افريقية وآسيا، فذلك كيما تعود حرية الضمير ، وتنحسر أمواج الفتنة ، وتتنفس الجماهير المسلمة المضطهدة في جو خال من الغشم والصغار .

ان السفاهة بعينها أن يظن أحد بنا أو يرتقب منا أن نتحول الى الشيوعية لأن الاستعمار الغربي أكرهنا على التعاون معها وقبول نجدتها..!

كلا . لن نفرط أبدا في اسلامنا ، وسنظل ما حيينا أوفياء لله ورسوله، مستمسكين بعروة الأخوة الجامعة التي تربطنا بالمسلمين في أرجاء الدنيا .

واذا كانت المصالح السياسية المجردة تجعل المتناقضين يلتقيان في ميدان ما فتلك ضرورات تمليها ظروف خاصة ولا تعني بتة ان يتنازل أحد عن مقوماته ومشخصاته !!

ولعل انجلترا والولايات المتحدة أعرف منا بذلك •

فهما في الحرب العالمية الأخيرة تحالفتا مع روسيا ضد المانيا •

وقال في ذلك تشرشل انه مستعد للتحالف مع الشيطان ضد خصومه!!

وهكذا تعاونت الرأسمالية الغربية والشيوعية الشرقية على الكفاح معا ضد عدو مشترك ، واختلطت الدماء المراقة لبلوغ غاية محدودة •

هل كان معنى ذلك تخلي أحد الفريقين عن مبادئه وعقائده ؟

كلا •

لقد قبل الروس عون الأمريكان مع أن الغرض البعيد للروس هو القضاء على الرأسمالية التي تعتبر أمريكا قاعدتها الكبرى •

وفي ذلك يقول ستالين نقلا عن لينين : « ان النصر لا يتم لنا الا على أيدي من يحسنون تخير الطرق للهجوم والتقهقر على السواء » •

ان الحرب للقضاء على « البورجوازية » الدولية ستكون حربا طويلة شعواء تتضاءل أمامها أهوال الحروب التي تنشب بين بعض الدول وبعضها الآخر •

ومن الخرق أن تتنحى في سبيلها عن سلوك أي طريق من طرق المناورة كأن نضرب أحيانا مصالح عدو بمصالح عدو آخر !! أو نبرم اتفاقات مؤقتة نعرف لها عدم الدوام والثبات !!

فاننا برفضنا هذا المسلك نكون كمن يريد تسلق جبل منحدر مجهول المسالك ويتمسك بادىء ذي بدء بالامتناع عن الصعود في خط متعرج او الرجوع احيانا بضع خطوات الى الوراء او العدول عن الاستمرار في الطريق المختار والبحث عن طريق أسهل منه لاتمام الصعود » •

بهذا الاسلوب المرن يخدم الشيوعيون قضاياهم • فهل من ضير على المسلمين ان يلجأوا الى هذا الأسلوب نفسه فيضربوا مصالح عدو بمصالح عدو آخر ؟؟

المهم ألا يفقدوا أنفسهم ، وألا ينسوا غايتهم في خلال هـذا المعترك المعقد وما يفرضه من كرّ وفرّ وابتسام وعبوس •

بل ان خطة المسلمين ستكون أشرف لأنهم ـ ببواعث من دينهـم ـ لن يغدروا في عهد ، ولن يكفروا نعمة ذي نعمة ، ولن يقلبوا المنكر معروفا ولا المعروف منكرا •••

بيد ان خطة ضرب عدو بعدو ، ثم الخلاص بالاسلام وأممه من شتى المآزق ، ليست بالأمر السهل •

انها خطة تحتاج بعد عناية الله الى ساسة أوفياء لدينهم وتاريخهـم ، لهم في الدعوة الاسلامية رسوخ وبصيرة •

وحولهم شعوب تتحمل اعباء الجلاد وطول المقاومة ، وتعرف نهـاية الطريق وان اختلفت الوسائل •

وهذه شروط لم تتوفر للأسف في عصرنا •

ونشأ عن فقدها ـ كلا او بعضا ـ أن الروس وأضرابهم لما عرضوا عونهم على ضحايا الاستعمار الغربي وخصومه جاشت في صدورهم الآمال أن تجد الشيوعية قبولاً حسنا بين العرب والمسلمين •••!!

وهي آمال لها ما يسوغها بل لها ما يقويها •

فإن الروح الدينية عراها ضعف شديد خلال عشرات السنين أو مئات السنين التي اضمحلت فيها الأمة الاسلاميـة الكبرى ، وسقطت بقضّهـا وقضيضها في براثن الغزو الأجنبي المنساب من كل ناحية •

ثم ان القصور الذي غلب على ألوان الثقافة الاسلامية جعل كفتهـا تطيش أمام فنون التقدم العقلي المقبل مع الحضارات المادية الجديدة •••

ومن ثم فان أعدادا من الناس قلت أو كثرت استهواها هذا المذهب الجديد ، ولم تر حرجا ـ ان لم تدخل فيه ـ أن تواليه وتنحاز الى جانبه•

وهكذا تحول الوجود الروسي الى دعوة فعالة بعيدة الأثر للشيوعية العالمية ، وأصبح الاسلام يواجه خطرين لا خطرا واحدا :

● خـطر الزحف الأحمر الجديد الذي ان تمكن دمـر الاسلام كلـه أصولا وفروعـا •

● وخطر الصهيونية والاستعمار اللذين حكما علينا بالاعدام ، وشرعا في التنفيذ لولا بعض العقبات الطارئة ...!!

على أن ازدواج الخطر يفزع الجبناء وحدهم !!

أما المؤمنون بالله المتوكلون عليه فان مضاعفة الخطر تزيدهم اعتصاما بالله وجهادا في سبيله « الذين قال لهم النـاس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل »[1] .

ونحن نهيب بالمسلمين حيث كانوا آن يستميتوا في حماية دينهم وبلادهم، وأن يذودوا الشيوعية ، والصهيونية ، والصليبية عن تراثهم المهدّد ، وأن يتواصوا خلفا عن سلف بأداء هذا الواجب .

فإما عاشوا سعداء ، وإما ماتوا شهداء ...

ان الغرب يريد ــ بعد سحق الشيوعية أن يفرض علينا نفسه وما يدين . وان الشيوعية تريد هي الأخرى ــ بعد سحق الغـرب أن تفرض علينا نفسها وكفرها .

ومن أشنع الجرائم أن يشعر مسلم بالتبعية لهؤلاء أو أولئك .

ان الاسلام نمط في الحياة متميز بعقائده وشرائعه وفضائله ...

ونحن مستعدون آن نعلم الجاهلين بالاسلام ، ومستعدون كذلـك لمقاومة الجاحدين المرتدين .

وفي جو الاسلام الصحيح يستحيل أن تجد الشيوعية مجالا تنتشر فيه بل حيث تسود العدالة الاجتماعية قلما تلقى الشيوعية لها مكانا .

وقد بحت أصوات الدعاة الى الشيوعية في انجلترا وغيرها من البلاد المماثلة ، فما انقاد لهم من يؤبه له ...

ولذلك نقول في يقين: أنه حيث يوجد الاسلام فقها وتطبيقا فهيهـات أن تجد الشيوعية موضع قدم لها في بلاده .

لأنه عقيدة يدعمها العقل ، وشريعة ينسجها العدل .

وفي ظلاله يسود الأمن والشبع وتنمو الحريات والحقوق .

وقد كانت الشيوعية تحارب بعنف أيام العهد الملكي السابق !!

---

(١) آل عمران : ١٧٣

فهل كانت مخاصمتها لوجه الله وحماية الاسلام ؟ كلا •••

لقد حوربت حماية لسرقات الملوك ومظالمهم،وتمشيا مع سياسة الغرب الذي كان يناوئها يومئذ •

أما الاسلام نفسه فان دماءه كانت تنزف تحت وطأة الاستعمار الداخلي والاستعمار الخارجي على سواء •

ومن الخطأ تصور أن الاسلام يحارب الشيوعيين بالسجن ، ويطارد الشيوعية بعصا القانون ، تاركا الدنيا تموج بالتفاوت الجائر والمكاسب الحرام !!

هذا تصور أحمق •

وقد أشبعنا الموضوع بحثا وعرضا في كتبنا التي ظهرت من ربع قرن على عهد الملكية نفسها •••

وهدفنا الأوحد أن يقوم مجتمع اسلامي يستند الى كتاب الله وسنة رسوله • ويستمد حصانته ووجاهته من العافية التي يقدمها للناس في أرواحهم وأبدانهم •

لكن الشيوعية تريد بناء كيان لها داخل البلاد العربية والاسلامية ، وهي تستغل ــ كما أتينا ــ حاجة العرب والمسلمين الى عونها السياسي والعسكري كي تضع الأسس لهذا البناء •

ولنعترف بأن هناك شيوعيين عربا يعملون ــ مخلصين أو أجراء ــ لتحقيق هذه الغاية •

ولنعترف ايضا بأن من الجنون هزم اسرائيل ومن وراءها بغير السلاح الروسي أو ما يشابهه •••

وإلا فمن أين نجيء به ؟

وتحت ضغط هذه الظروف ترك للشيوعيين أن يتحركوا •

ولكن ــ والحديث هنا عن الجمهورية العربية المتحدة ــ بعد اجراء تغييرات اقتصادية تجعل دعايتهم ضعيفة الأثر في نظر رجال الدولة أو تبقى البلاد مربوطة بالاسلام المشوه المنقوص الذي تمخض عنه الغزو الفكري الحديث •

وشرحا لذلك كله يقول الكاتب المعروف محمد حسنين هيكل :

« قد آن الوقت لكي ينظر المجتمع المصري الى الشيوعية والشيوعيين نظرة عادية وأن يستمع إليهم إذا أراد كما يستمع لأي فكر يعرض نفسه بغير حساسية خاصة وبغير تشاؤم وبغير تطير !!

لقد فات ـ في ظني ـ الوقت الذي كان المجتمع المصري فيه لا يملك بازاء الشيوعية والشيوعيين الا الوسائل العسكرية يردهم بها ويرميهم وراء قضبان السجون •

ولقد تجاوز المجتمع المصري ـ يقينا ـ هذه المرحلة ووصل في تجربته الذاتية ونضجه السياسي الى الحد الذي يجعله قادرا على مناقشة كل فكر ••• قادرا على فهم العقائد وفرزها ••• قادرا على أن يقبل ما يريد ويرفض ـ أو يلفظ ـ ما لا يريد وعيا واقتناعا في الحالين !

وفي المجتمعات التي بلغت سن الرشد ، بل في تلك التي تتمسك بالنظام الرأسمالي نراهم لا يواجهون الشيوعية والشيوعيين بالسجن والقمع ، لكنهم يتركونهم في بحر المجتمع الواسع وعلاقاته المتشابكة وظروفه التاريخية كلمة بين الكلمات ورأيا وسط الآراء ! ••

وفي الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ـ مثلا ـ أحزاب شيوعية يسمح القانون بوجودها دون اعتراض ويتركها المجتمع تؤدي دورها بلا خشية ولا خوف يستوجبان ملاحقة الشرطة او تدخلها • تلك علامة من علامات النضج وهي أيضا من علامات الديمقراطية • وأقول على الفور انني لا أرى للشيوعية أو للشيوعيين مستقبلا في مصر ولا في العالم العربي ـ الكلام لا يزال للاستاذ محمد حسنين هيكل ـ ولست أقول بذلك لمجرد خلافي مع الشيوعية والشيوعيين وانما أقول به نتيجة لنظرة ـ أعتقد سلامتها ـ الى الواقع العربي كله والى مسيرته التاريخية من الماضي الى المستقبل •

لكن ما أراه في الشيوعية والشيوعيين ومستقبلهم شيء ومقاومتهم بالشرطة وبالسجون شيء آخر يختلف عنه تماما •

وليس معنى ذلك أنني اليوم أطالب للشيوعية والشيوعيين بحزب في مصر تمثلا بما يحدث في الولايات المتحدة الامريكية وفي بريطانيا وانما الذي أقول به وأعلنه محددا وواضحا هو أنه : لم تعد هناك ضرورة ، ولا قيمة لأي اجراء تقوم به الشرطة تجاه الشيوعية والشيوعيين •

أعني أنه قد جاء الوقت في ظني لكي نتركهم يقولون ما عندهم وليستمع المجتمع بقدر ما يريد وليرفض وليلفظ كل ما يجده متعارضا مع ارادته • وفوق ذلك فانه ما زالت هناك حالات يتحتم فيها على القانون ـ وعلى الشرطة اذا اقتضى الأمر ـ ضرب الشيوعية والشيوعيين ـ وذلك اذا ما أقدموا على عمل يتعارض مع المبادىء الأساسية التي أعلنها النضال الوطني ميثاقا له •

من ذلك مثلا ان تحاول الشيوعية والشيوعيون تكوين حزب سياسي علني أو سري في مصر • فان ذلك مخالف لاجماع الارادة الوطنية الحرة • على أن العمل السياسي في المرحلة الحاضرة يكون كله تحت قيادة تحالف قوى الشعب العاملة وداخل منظمتها القائدة وحدها وهي الاتحاد الاشتراكي العربي •

مثل هذه الحالة خروج على الميثاق وعلى الدستور ، وبالتالي يحق بل لا بد للقانون ان يتدخل وأن يضرب •

ومن ذلك ـ أيضا ـ أن تحاول الشيوعية والشيوعيون أن يمسوا الدين رسالة وجوهرا ، فان ذلك مخالف للعقيدة الانسانية والأساسية الأولى التي يؤمن بها مجتمعنا ، ذلك المجتمع الذي يقدس أديانه ويتمسك ـ قبل أي شيء ـ بقيمها الروحية ، ويحميها بكل قوانينه بل يفتديها بما هو أقوى من القانون وأحكامه » •

* *

وهذا الكلام دفاع ماهر عن ترك الدعاية الشيوعية تنطلق في جونا وتعرض نفسها كيف تشاء • لكنه كلام كثير الثغرات أمام التأمل العادي •

والرد عليه ميسور لكل بصير بطبيعة الشيوعية، وطبيعة الأمة الاسلامية في هذه الحقبة من تاريخها •

فالزعم بأن الشيوعية تنفك عن الالحاد كالزعم بأن الرأسمالية تنفك عن حرية التملك ، وبأن الاشتراكية تنفك عن تأميم المرافق العامة !! ••

فلا المذهب الشيوعي من الناحية النظرية يقوم على ايمان ما •

ولا هو من الناحية التطبيقية في بلاد الله كلها احترم ايمانا ما •

ولما كانت الدولة هي المشرفة على التعليم في روسيا وغيرها، فإن تنشئة

اجيال تجحد الله لان الجحد جزء من عمل الدولة ••• !!

نعم قد تحترم أيام الآحاد لتكون عطلة وراحة ، •• وقد تحترم بعض الكنائس لتكون متاحف أو مثابة يلقى فيهـا العجـزة وسقط المتـاع في المجتمع •• !!

أما أن يسمح للدين بأن يكون عقيدة ايجابية تمحو وتثبـت فهـذا مستحيل في ظل النظام الشيوعي •••

لقد تعلمت الشيوعية من تجاربها الطويلة مع الدين أن تقوم بحركة التفاف حول مواريثه ، وأتباعه يختنقون داخلها حتـى تدركـهم الوفـاة الطبيعية ••• !!

ومن ثم ربما مكر بعض الشيوعيين فعرضوا من الشيوعية جانبهـا الاقتصادي • وسكتوا • دون أن ينكروا جانبها الالحادي •

لكن هذا المكر قد يروج في مجتمع هندوكي يقدس البقر ، وليسـت له تعليمات سماوية ترسم له وجهته ، وتشرح له : كيف يحيا،وكيف يتعامل، وقد أفلح الاستعمار الغربي في خلق أجيال تجهل دينها •

لكننا لا ننجرف مع هذا الجهل وسنبقى على النهج المشرق الـذي أفدناه من ثقافتنا الاسلامية الصحيحة نقرر ان الاسلام إيمـان ونظـام أو ــ بتعبير المحدثين ــ دين ودولة •

وقد شرحنا في عشرات الكتب التي ألفناها معالمالمجتمع المسلموأركان الدولة التي تقوم عليه •

وواضح أن هنالكتعارضا تاما ،وتناقضا ممتدا بينالشيوعية والاسلام•

على أن الشيوعيين لا ينقصهم الدهاء ، فقد انطلقوا خفافا الىأهدافهم دون ان يجمعهم حزب معلن ، ودون ان يصطدموا بالدين اصطداما صارخا، واتجهوا الى وسائل الاعلام يطوعونها لبلوغ مآربهم ، فاذا الكتبوالصحف والصور والروايات التمثيلية والتعليقات الخاصة والعامة تملأ الجو العربي بهذا اللون الداكن :

● الله ليست له حقوق ترعى • فـلا الزام بالصلاة والصيام والزكـاة والحج •••

● والروح واليوم الآخر بقايا ماض يجب أن تزول ، فليسحب ذيل النسيان على هذه الامور •••

● التفكير المادي البحت في تصور الأشياء ، والحكم عليها أكمل ما بدأه الاستعمار الغربي من طي فضائل الاسلام وشرائعه وحدوده واستعاض عن ذلك كله بمفاهيم مستوردة جعلت المنكر معروفا والمعروف منكرا •••

وصوت الاسلام يسمع من أناس مهزولي الهمم ، مشلولي الفكر ، كأنما جيء بهم لتنهزم على أيديهم معالم الفطرة وشعب الايمان !! •

ان عوامل التعرية ــ كما يقول الجغرافيون ــ تنحت الدين نحتا في هذا الجو وتجعل الأجيال الجديدة تنشأ مبتوتة العلائق بالدين معزولة القلب عن تراثها ، سيئة الظن بماضيها الاسلامي كله •

ومن حقنا أن ننتصب لمقاومة هذا الباطل ، وكسر غروره ، وكشف أصحابه ، وحماية العرب والمسلمين من غوائله •

ان الاهرام ــ كبرى الصحف في القاهرة ــ ترى على لسان محررها ان ينظر المجتمع المصري الى الشيوعية والشيوعيين نظرة عادية ، وأن يستمع اليهم ــ اذا أراد ــ كما يستمع لأي فكر يعرض نفسه •

ونحن نرى ضرورة كشف القناع عن هذا الفكر الخادع،وبيان الزيف في وعاواه العريضة ، ومبلغ الخطر في تركه يتسرب هنا وهناك •

فليست الشيوعية نظرة اقتصادية تقاوم باصلاح اقتصادي ••

إن الشيوعية مذهب في الحياة يغير كل شيء ويقيم عالما جديدا على أنقاض عالم بائد •

ومن أبجدياته صرف الناس عن تعاليم الله كلها • ما كان منها قيما روحية ــ بتعبير العصر ــ وما كان منها تفصيلا للمعاملات والنظم والقوانين المختلفة •

وما أكثر قوانين الاسلام وأرحب دائرتها !!

اننا نقدر مساعدات روسيا لنا •• بيد أن يدنا فيهذا الموضوع ليست السفلى ، فالأمر يقوم على تبادل المصالح ، ونحن ندفع ثمن كل عون يقدم لنا ، وفي الوقت نفسه نأبى أن تكون بلادنا قاعدة لضرب الشعب الروسي •

وكل جميل يسدى إلينا فنحن نعرف حقه •

ونحن نعرف أن الشعب الروسي تلقى في الحرب الماضية عونا هائلا من الغرب ، وأن الغرب لم يكلفه بازاء ذلك أن يترك مبادئه ولا أرسل رجاله لصرف الروس عن مذهبهم !!

ومن ثم فكل محاولة لنشر الشيوعية بيننا يجب ان تمنع باباء ظاهر ورفض شديد .

انني أخط هذه السطور وأنا أقرأ في الصحف أخبار المولدات الكهربائية القادمة للسد العالي ، وأخبار طائرات « الميج » السورية وهي ترد عدوان اسرائيل وتغرق زوارقهم في بحيرة « الحولة » وتواجه الأسلحة الصليبية التي يحملها اليهود .

وانني لمقدر قيمة السياسة التي ربطتنا بالروس في المجالين السياسي والعسكري .

وماذا نصنع بازاء الضغائن الخسيسة التي تكنها لنا الدول المسيحية الكبرى .

ومع هذا كله فلست الذي يبدّل استعمارا باستعمار ...

ومن المستحيل أن أفقد ذاتي وتاريخي ورسالتي وأنا أستعين بالسلاح الشيوعي لردع عدوي .

وقد أشعر بالحزن العميق لوضعنا المحرج نحن المسلمين !!

ان تخلفنا العلمي والصناعي يخفض الرؤوس .

لكن لماذا هذا الأسف المخزي ؟

ان الدنيا انخفاض وارتفاع وتقدم وتقهقر ...

وقد هبطنا حينا ، ونوشك أن نأخذ طريقنا مصعدين ...

وفي طريق الصعود نريد أن نزداد علما بما لدينا وما لدى غيرنا من مبادىء .

ولذلك أرى الحاجة ماسة لالقاء ضوء قوي على الشيوعية العالمية التي شاءت الأقدار أن نحتاج الى دولها والتي طلب الينا ألا نتجهم لمبادئها وهي تسير بيننا ...

وسنرى أن الذين يطلبون منا عدم المبالاة يعملون وفق خطة طويلة الأجل لاجتثاث الاسلام من جذوره ، وجعل شعوبه الكثيفة نهبا للالحاد على اختلاف ألوانه ومذاهبه ...

الفصل الثاني

● الالحاد جزء من مفهوم الشيوعية
● ضرورة نشره مع التفكير الاقتصادي
● موقف الشيوعية من الاسلام والنصرانية
● مسالة فصل الدين عن الدولة بين الشرق والغرب
● رأي زعماء الشيوعية فى الديـن والاسرة والاخلاق
● الشيوعيـة فى مصر

الشيوعية والدين

يعتقد الشيوعيون أن الحياة الانسانية على ظهر الأرض هي الوجود البشري كله ، وأنه كما جاء الانسان من عدم فهو صائر الى عدم •

وأن فترة الاحساس من المهد الى اللحد هي وحدها فترة العمل والجزاء ثم يتحول الكيان الآدمي كله الى ذرات أخرى متلاشيا الى غير عودة •

ويتبع هذه العقيدة أنه لا ألوهية بتاتا ، وبالتالي فلا توراة ولا انجيل ولا قرآن ، وليست هناك تعاليم تصح نسبتها الى السماء •

ومن ثم فالوحي كله خرافة لا أصل لها •

والأنبياء عصابة من الكذبة •

ولا مكان في الفكر الشيوعي بداهة لصور العبادات ، ولا لمعاني الحلال والحرام ، والفضيلة والرذيلة كما يقررها الدين ••

كلا • ليس لهذا الوجود صاحب ولا من ورائه هدف •

لقد تخلق تلقائيا ، ومضى الى مستقبله المجهول عشوائـي الخطـا معدوم الوجهة !!

لكن كيف يقوم المجتمع البشري وكيف يتعامل ابناؤه ؟

يقول الشيوعيون : لقد نظرنا إلى تاريخ العالم من قديم فوجدنا أنه

شقي بانقسام الناس إلى ملاك متسلطين وعمال وفلاحين متعبين .

والخطة المثلى في هذا العالم الذي لا رب له ، ولا غاية ينتهي اليها أن يحظر مبدأ التملك الفردي ..

فكل شيء في الحياة يسلكه المجتمع العام ، والناس جميعا أجراء في هذا المجتمع يأكلون بقدر ما يعملون .

وكما لا يملك أحد الهواء والضياء : يجب أن يولد البشر ويحيوا وهم شركاء متساوون في سائر المرافق لا ميزة لأحد على أحد .

و لابأس في أن يتفاوتوا بعد في دخولهم المالية ، ودرجاتهم الأدبية حسب كدحهم وجهدهم ...

على هذا الأساس وحده قامت الشيوعية الحديثة ، وأنشأت شبكة من القوانين والتقاليد لا تعدو هذا النطاق المادي المحدد !!

والشيوعيون يرون أن هذا التفكير ليس شعارا محليا حسبهم أن يعيشوا في ظله : كلا !!

ان هذا التفكير هو الحقيقة الوحيدة التي يجب أن يعيها الأحياء في المشارق والمغارب خصوصا الطبقات العاملة ...

كفى ما ساد العالم من ضلال وظلم في ماضيه القريب والبعيد .

يجب أن تندلع الثورة الحمراء حتى تشمل القارات الخمس ، وتسود مبادؤها الحاضر والمستقبل .

وعلى الدول الشيوعية الكبرى — وفي مقدمتها روسيا [1] — أن تعد نفسها سياسيا وعسكريا لبلوغ هذا الهدف . فلا يبقى هنالك إلا لون الحياة الشيوعية التي محت ما عداها من أفكار أرضية أو سماوية ...

ولم يختلف اثنان في أن الالحاد جزء من الشيوعية ، كما لم يختلف

---

(١) يقول « لينين » نحن لا نعيش في دولة واحدة بل في عالم من الدول، وان بقاء الجمهورية السوفيتية — وبجانبها عدد من الدول الاستعمارية أمر لا يمكن أن يدوم طويلا ، بل لا بد أن ينتهي بتغلب أحد الفريقين على الآخر .

... والى أن يأتي هذا اليوم لا مفر من وقوع مصادمات غاية في العنف بين الجمهورية السوفيتية والدول البورجوازية .

وقد صرح « ستالين » بما يؤكد هذا المعنى ، وما يدل على أن الشيوعية لا تطيق بقاء نظام مضاد لها في هذا العالم .

اثنان في أن الشيوعية ترفض رفضا باتا أي تنظيم ديني للمجتمع الانساني •
وانكار الشيوعية للدين يكبر ويصغر بمقدار تدخل الدين في المجتمع•
فاذا كان الدين يكتفي مثلا بالجانب العبادي والاخلاقي ،فان الشيوعية
ـ مع كفرها به ـ تراه عدوا محدود الخطر •••

أما اذا تدخل في المعاملات العامة والخاصة واستكثر من الشرائع التي تضبط المجتمع على نحو معين ، وتسوقه إلى وجهة بينة ، فإن العداوة هنا تمتد وتشتد •

لذلك لا تطيق الشيوعية الاسلام لانه مع شبهه للاديان الاخرى في الاعتراف بالألوهية واحترام الوحي • يمتاز بهيمنته على أزمة الحياة النفسية والاجتماعية ، ومزجه التام بين أحوال القلب وأحوال الدولة :

- فالشرك بالله كفر •
- والحكم بغير ما أنزل كفر •
- وجحد الصلوات المكتوبة كفر •
- ورفض نظام المواريث المقسمة في القرآن كفر ••• الخ •
- وقديما قاتلت الدولة الاسلامية في جبهة واحدة صنفين من الناس :

ـ اتباع الأنبياء الكذبة الذين زعموا أن بعد محمد نبوة •

ومانعي الزكاة الذين صدقوا ببعض تعاليم الدين ونكلوا عن بعضها الآخر •

لقد عدهم المسلمون مرتدين جميعا ، وخارجين على الاسلام أصلا وفرعا •

ذلك أن الاسلام يمزج مزجا تاما بين ما نسميه في عصرنا «قيما روحية» وبين أركان الشريعة ، وفروعها المتشعبة في المجتمع تشعب الجهاز الدوري في الجسم الانساني •

أيا ما كان الأمر فقد تواترت التصريحات على أفواه زعماء الشيوعية كلهم أن الدين لا مكان له في العالم الذي يبنونه ، وأن الأولين إذا كانوا من الغباء بحيث قبلوه فإن التقدم العلمي جدير في هذا العصر بأن يأتي عليه من القواعد ••• !!

فالدين يحارب أولا لأنه خرافة تستحق الزوال •

ثم لأنه يشكل المجتمع بطريقة فاسدة ، ويضع له قوانين وأعرافا يرفضها الفكر الشيوعي

ودين كالاسلام يعد النظم المالية ، والسياسية جزءا من كيانه يستحيل أن يتلاقى مع الشيوعية في ميدان الحياة العملية استحالة التقائه بها في ميدان العقيدة القلبية •

وقد واجهت الشيوعية يوم ظهرت في روسيا أكثر من مائة مليون مسيحي ، وقريبا من خمسين مليون مسلم وكانت الحالة الدينية بين الفريقين معا لا تسر •

فالمسلمون ــ كما سنشرح حالتهم في الفصل التالي ــ كانوا مستذلين مغلوبين على أمرهم معزولين عن الكتلة الاسلامية الكبرى ، دائخين تحت استبداد القياصرة •••

وأما المسيحيون فمع ارتباطهم بكنائسهم فإن النصرانية كانت تترنح أمام التقدم العلمي والأفكار الحديثة •

وزاد الطين بلة أن بعض رجال الدين الكبار أثرت عنه مسالك شائنة مما أوهى مكانة الدين نفسه وجرأ خصومه على النيل منه •

ومع انفجار الثورة الحمراء أخذ الثوار يكيلون ضرباتهم للدين ، ويهددون سلطانه الموروث •

ولكن هذا الصراع المر كان ــ ولا يزال ــ كثير المغارم ، متقلب المراحل ، ومن الواجب أن نتأمل أدواره منذ بدأ الى يومنا هذا •

يقول الشيخ عمر السكندري رحمه الله :

« في عهد الحكومة القيصرية كان القيصر منذ حكم بطرس الاكبر هو الرئيس الأعلى للكنيسة الروسية ــ التي هي فرع من الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية ــ فكانت الكنيسة بما لها من كبير النفوذ بين الشعب أداة قوية في يده ، يغدق عليها فينال منها نظير ذلك الولاء والمعاونة الصادقة •

« لذلك كله كان من الطبيعي أن يوجس الشيوعيون خيفة من الكنيسة وأن يجعلوها في مقدمة الأهداف التي يصوبون اليها ضرباتهم • فبادروا باصدار مرسوم ٢٣ يناير سنة ١٩١٨ المشهور معلنا فصل الكنيسة عن الحكومة وفصل المدارس عن الكنيسة •

« وأدمجوا ذلك في دستور سنة ١٩١٨ وفي تعديله الصادر عام ١٩٢٥ بالنص الآتي :

«ضمانا لحرية الضمير لدى العمال تعد الكنيسة منفصلة عن الحكومة والمدارس منفصلة عن الكنيسة . ولكن حرية الدعاية الدينية واللادينية مكفولة للجميع » .

وفي تعديل سنة ١٩١٩ للدستور أبدلت عبارة « حرية الدعاية الدينية واللادينية » بالنص الآتي : « حرية اقامة الشعائر الدينية وحرية الدعاية اللادينية مكفولتان لجميع المواطنين » .

« وقد احتفظ بمثل هذا النص في دستور « ستالين » لسنة ١٩٣٦ الذي لا يزال قائما .

والعبارة بالضبط كما جاءت في المادة ١٢٤ من الدستور الحالي هي : « لكي يستمتع المواطنون بحرية الضمير : تفصل الكنيسة في الاتحاد السوفيتي عن الدولة ، والمدرسة عن الكنيسة ، ويكفل لجميع المواطنين حرية العبادة الدينية كما تكفل لهم حرية الدعوة ضد الدين » .

وهذه الصياغة الماكرة تظهر لأول وهلة وكأنها تنازل من الشيوعية عن بعض مبادئها بل قد تحسب خطوة الى الحرية بمعناها المألوف في أقطار الغرب .

والأمر غير ذلك يقينا ، فان الذي أذنت به الشيوعية بقايا تدين يتيح للانسان أن يدخل الكنيسة أو المسجد أحيانا ولا مجال لتدين بعد ذلك..!!

على أن هذا المرء المتدين يعتبر شخصا متخلفا ، أو منحرفا ، ويستحيل أن يكون له في الدولة أو الحزب مكان ..!!

كما أن هذا المرء المتدين لا يجوز له بتة أن يعلم ابنه ايمانا ، أو صلاة، فذلك محظور .

أجل ذلك محظور ، مع أن وسائل الاعلام ـ وهي جميعا في يد الدولة ـ تعمل عملا متواصلا على سحق الدين ، واجتثاث جذوره ، وذلك يقع بعد التخرج من مدرسة غرست الالحاد في دمه ، وجرأته على احتقار كل ما يتصل بالسماء ...

وتنص المادة « ٥٨ » من قانون الاتحاد السوفيتي على امور ذات بال.

ان هذه المادة وضعت جميع المتعبدين تحت باب اعداء « الثـورة » وأباحت لرجال الشرطة في شتى الظروف السياسية ان يقتحموا بيوت هؤلاء المتعبدين ويتولوا أمورهم بطريقتهم الخاصة •

وتنص المادة : « ١٢٢ » من قانون الجنايات المذكور على تحـريم تلقين الأطفال الأحداث العقائد الدينية سواء في مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة • وجعلت كل مخالفة في هذا الشأن جريمة تستوجب الحبس الاصلاحي مع الأشغال مدة لا تزيد عن سنة •

ويقول الاستاذ محمد سامي عاشور :

« ان هذا الاضطهاد قائم رغم ما جاء في الدستور السوفيتي بشـأن الحرية الدينية ، لان هدف الشيوعيين الذي لايحيدون عنه أن يحرموا الدين من أسباب الحياة ، وأن يدعوه يذبل وينتهي وكأنه مات ميتة طبيعية ••!!»

★ ★

قد يقول قائل : ان الشيوعية لم تصنع أكثر مما صنعته دول أوربـا الحديثة التي عزلت الدين عن الدولة وجعلت الكنيسة بعيدة عن المجتمـع والسياسة !!

ونحن نسارع الى دحض هذه الشبهة وبيان الحق في موقف الدول الغربية عموما من المسيحية •

ان هذه الدول تخلصت من سلطان رجال الدين ومن كهنوت الكنيسة المفعم بالمآسي التاريخية •

أما الكنيسة نفسهـا ، أما المسيحية ذاتهـا ، فان هيمنتها الروحيـة والاجتماعية على اوربا وسياستها لا ينكرها الا أحمق ! بل أستطيع القول : ان المسيحية الآن في عصرها الذهبي ••!!

لقد احتلت الدول الغربية أقطارا فيحاء من الأرض فبنت فيها ألوف الكنائس ، ونصّرت ألوفا مؤلفة من الخلق ، وأقـامت حكومات شديـدة التعصب للنصرانية في افريقية وآسيا ، حكومات أثخنت الاسلام بالجراح ، وأرهقته من طول الكيد •••

ان دول الغرب لم تتنكر في سياستها الداخليـة والخارجية للديانـة المسيحية الا في أمور لا محل لشرحها هنا •

وأمامي الآن تحقيق (١) صحافي كبير كتبه الاستاذ « علي حمدي الجمال » عن أحوال هولندا الداخلية نقتطف منه هذه المعلومات :

« قال . في مؤسسة العمل سألت دكتور « بلس » السكرتير العام للمؤسسة عن النظام المتبع في وضع السياسة العمالية فقال لي :

هناك اتحاد للعمال وآخر لأصحاب الأعمال وكل منهما مقسم الى ثلاثة أقسام :

أحدها يضم : « الكاثوليك » والثاني : « البروتستانت » والثالث الذين لا يؤمنون بالأعتراف امام الكاهن ...!!

وهما ممثلان أمام المجلس الاقتصادي الذي يضم الخبراء من الأساتذة ... الخ .

« قال الاستاذ الجمال : وسألت هل هناك مشروع تنفذونه لتنظيم الأسرة ومواجهة الزيادة في عدد السكان ؟

« وكان الجواب ـ نعم سوف نشجع بكل الوسائل تنظيم الأسرة ، ولكنا لم نبدأ هذا المشروع بعد !!

« والعقبة التي نواجهنا هي أننا نمنح العاملين علاوات حسب عدد المواليد ولا ندري كيف نواجه المشكلة (١) .

كذلك فان الكاثوليك يعترضون على تحديد النسل .

والدين هنا ـ كما أظنك قد لمست ـ له أثر كبير على تصرفاتنا .

« قال الاستاذ الجمال : وهذه حقيقة لا جدال فيها ...!!

ان الأديان في هولندا بل في أوربا كلها لها وضع غريب يحدد كل مجالات الحياة فيها وعلى الاخص السياسية ـ فالاحزاب تقوم على أساس المذهب الديني . بل ان اللون الديني رجح على وحدة المهنة فهناك حزب

---

(١) الاهرام ١٩٦٦/٧/١٧ .

(٢) أي أنهم لم يصنعوا شيئا قط لتحديد النسل الذي حرص الصحافي المصري على الانتفاع برأيهم فيه...ثم عجز للاسف..!!وقد جنت صحافتنا أياما طويلة بالدعوة الى تحديد النسل ، وأسفت في مهاجمة الذين سكتوا أو اعترضوا ، وذلك سر سؤال الصحفي المصري للهولنديين ، وقد رايت بم أجيب ؟؟

الكاثوليك ــ وحزب البروتستانت ، وحزب الأحرار ، والحزب الشيوعي ، بين أصحاب الحرفة الواحدة •••

« قال : ولم أسع الى مقابلة أحد من أحزاب اليمين فآراؤهم معروفة، وتزمتهم ليس موضع نقاش ، وتفكيرهم لا يقبل جدلا ••!!

« قال : وشجعني على عدم الالتقاء بهؤلاء قصة سمعتها من شاب هولندي رواها لي في معرض الحديث عن الاحزاب السياسية •

فإنه عندما كانت «اندونيسيا» تكافح لنيل استقلالها وكانت الأحزاب المختلفة تتنافس في ابقاء الاستعمار الهولندي بها ، وقف أحد النواب في البرلمان وقد أمسك بيده نسخة من الانجيل وقال : ان في هذا الكتاب المقدس فقرات تثبت حقنا في احتلال اندونيسيا •

« قال الشاب الهولندي المتحرر : ولم يقف نائب واحد من أي حزب ليعترض على هذا السخف !! [1] » •

نقول : ونحن نعرف مدى تعصب الغربيين ، وطالما نددنا به وحذرنا منه •

ولكن سياسة وأد الاسلام التي اختطها الانكليز في هذا الوادي البائس ، جعلت لفيفا كثيفا من حملة الأقلام يناوئنا باسم انفصال الدين عن الدولة !

والدين عندنا هو : الاسلام ••

وباسم ابعاد الدين عن الدولة بدأت حملة خطيرة لتزييف التاريخ في الماضي والحاضر ، ودحرجة الحقائق المقررة •••

فقيام اسرائيل على أساس ديني ، وفي أحضان التعصب المسيحي غير صحيح •

الصحيح أنه استعمار فقط !! لا صلة له بيهودية ولا نصرانية •••!!

---

(١) الدين بأسوأ معانيه يكمن وراء سياسة الغرب بازاء الاسلام والمسلمين ، ذلك في الوقت الذي تبتعد فيه السياسة العربية عن الدين ، لانها سياسة عصرية .

والحروب الصليبية التي كان الدين نافخ نارهـا ، ومجري دمائهـا ليست حروبا دينية ...

الصحيح أنها حروب استعمارية فقط ، لا صلة للصليب بها ..!!

والهدف من هذا الكذب ؟

ابعاد الدين أي الاسلام وحده عن الميدان ....!!

وابعاد الاسلام عن ميادين الحياة كلها هدف يتضافر عليه الرأسماليون الغربيون والشيوعيون الشرقيون على سواء .

ونخلص من هذا الاستطراد إلى أن الحالة الدينية في ظل الشيوعية لا تشبه أبدا وضع الدين في الغرب . فان المجتمع الشيوعي يقوم ظاهرا وباطنا على الكفر المطلق .

وهو قد يأذن أن يهمس رجل بينه وبين نفسه أو بينه وبين صاحب له باسم الله وقد يتركهما — مع ازرائه عليهما — يدخلان بيتا لله .

أما أن يكون لله في المجتمع نفسه اسم أو أمر أو نهي فذاك مستحيل.

والشيوعية لم تسمح بهذا القدر الحقير من التدين الفردي الا بعـد عراك هائل .

أما موقفها من الدين نفسه ابتداء فهو الانكار والخصام .

يقول « كارل ماركس » في « المانفستو » — الذي أودع فيه مبادئه وجادل فيه خصومه — « أما ما وجه للشيوعية من تهم دينيـة وفلسفيـة وأخلاقية فلا يستحق بحثا عميقا ....!! »

عجبا إن الشيوعية متهمة بانكار الله والرسل والحلال والحرام والبعث والجزاء فهل هذه القضايا كلها لا تستحق بحثا عميقا ؟

ذاك ما يراه هذا الـ « كارل ماركس » !!

ما الذي يستحق اذن عمق البحث ؟ لقمة الخبز فقط ..؟

أكل ما يتصل بالانسانية الرفيعة نلقاه بقلة الاكتراث ، وهز الرأس ولا يشد انتباهنا فقط الا رغيف الخبز ؟

ثم يمضي ماركس قائلا : « هل يخفى على ذي بصيرة أن آراء الناس ومداركهم ، ومشاعرهم كلها تتغير بتغـير : أحوالهم المادية ، وعلاقاتهـم الاجتماعية ، ونظام معيشتهم ؟ »

نقول : هذا باطل •

فان الانسان قد يتغير تقديره لبعض الامور أو احساسه بها لتفاوت ظروفه النفسية او الفكرية او البدنية •

أما أن جميع الحقائق تتبع ــ تصورا وتصديقا ــ الأحوال الاقتصادية فكلام فارغ ••!!

فكم من حقائق صلبة لا يغيرها اليسر والعسر ، ولا الذكاء والغباء !!

ولكن « ماركس » يمضي في لغوه فيقول في جزم :

« وهل من شيء أكثر وضوحا في تاريخ تطور الأفكار من أن الانتاج الفكري يتغير في نوعه بنسبة تغير الانتاج المادي ؟

« ان الآراء التي سادت في كل عصر كانت دائما آراء الطبقة الحاكمة• فعندما كان العالم القديم يلفظ أنفاسه الأخيرة أخذت الديانات القديمة تنهار أمام المسيحية •

« وبمثل ذلك انهارت الآراء المسيحية امام حرية الفكر وحرية الضمير في القرن الثامن عشر عندما أسفرت المعركة الأخيرة بين المجتمع الاقطاعي والبورجوازية الثائرة عن القضاء على العهد الأقطاعي » •

سيقال ردا على ذلك : ان الآراء الدينية والأخلاق والفلسفة قد تغيرت كلها بلا شك خلال التطور التاريخي • ولكن لا يزال توجد ديانة وأخلاق وفلسفة وعلوم سياسية وقانون ، وهناك فوق ذلك عناصر أزلية للحقيقة مشتركة بين جميع أطوار المجتمع كالحرية والعدالة وغيرها، ولكن الشيوعية تريد القضاء على الدين والأخلاق بدلا من اقامتهما جميعا على أساس جديد فهي لذلك تخالف جميع السنن التاريخية السابقة » •

ويسمع ماركسي هذا الاعتراض الصادق ثم يراوغ ، بل يفر من الاجابة عليه ويقول في صفاقة واستهزاء :

فما قيمة هذه الاعتراضات ؟!

إن تاريخ المجتمع في جميع أطواره السابقة إنما هو تاريخ تطور النضال الطائفي ، ذلك النضال الذي اتخذ أشكالا مختلفة في العصور الأولى ، ولكن مهما اختلفت هذه الاشكال فان حقيقة واحدة كانت غاملا

مشتركا بين جميع العصور التي ظهرت فيها • هي استغلال جزء من المجتمع للجزء الآخر •

فلا عجب اذا كان الوعي الاجتماعي في العصور الماضية ــ رغم تعدد صوره ومظاهره ــ قد سار دائما داخل نطاق مشترك ، وعلى أساس قضايا معينة لا يمكن زوالها جملة الا بزوال النظام الطائفي نهائيا •••

ويستطرد « كارل ماركس » فيقول :

« ان الثورة الشيوعية هي أنجع استئصال لعلاقات الملكية التقليدية ، فلا عجب اذا كان تطورها يقتضي قطع كل صلة بالآراء التقليدية » •

ويقول الشيخ عمر السكندري ــ ردا على هذا اللغو ــ : لقد بدأ « المانفستو » المحاجة في هذا الاعتراض كما رأينا بقوله انه « لا يستحق بحثا عميقا » فهل انكار الأديان لا يستحق بحثا عميقا ؟

إن ردنا على ذلك أن هذا الكلام هو الذي لا يستحق بحثا عميقا •

أين برهانكم المادي معشر الشيوعيين على أن لا حقيقة للأديان ، وأنها جميعا من وضع البشر ؟

لقد قيل عنكم ــ بنص كلامكم ــ انكم تريدون القضاء على الدين والاخلاق • فكان جوابكم على ذلك « وما قيمة هذه الاعتراضات » وتعودون الى الكلام عن تطور النضال الطائفي واستغلال جزء من المجتمع للجزء الآخر •

إن هذا فرار مكشوف من مواجهة الحق والسير معه •

والحقيقة أن كفر الشيوعيين بالله ليس الا ترديدا لزيغ بعض القدماء الذين قالوا : إن هي الا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا الا الدهر •

والشيوعيون لم يأتوا بدليل جديد لهذا الباطل القديم !!

ولم يثبت قط في معامل الكيماويين،ولا في مراصد الفلكيين أن الدين خرافة •

بل الراسخون في العلوم الحديثة يؤكدون انبثاق العالم عن رب بديع حكيم مقتدر قيوم •

والجديد الذي وسع به الشيوعيون ميدان الالحاد هو استغلال

الاضطراب الاقتصادي لانكار الألوهية ، واستغلال انحراف بعض رجال الدين لانكار الدين نفسه !!

مع أن الاسلام ندد بهذه الآفات وعمل على ازالتها وهو يقيم الدين الحق•وذلك في قول الله جل شأنه «يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله• والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»[1]•

وشيء آخر ابتدعه الشيوعيون لدعم الالحاد ••• وهو اثارة الحقد الطبقي ثم استغلال سلطة الدولة في فرض الكفر بالسلاح •

ولو أن الشعوب ملكت أمرها واستمتعت بحريتها الطبيعية لأرست قواعد الايمان بينها وأحلت الدين أرفع المنازل •

والواقع أن الدولة في النظام الشيوعي تفرض وجودها داخل البيت ، وتجعل صلة المرآة بالرجل ، وصلتهما معا بالأولاد في اطار الفلسفة المادية السائدة •••

ومن الانصاف أن نعترف بان المدنية الحديثة في الشرق والغرب هونت جريمة الزنا ، ويسرت اللقاء بين الذكر والانثى ، وعدت ذلك استجابة عادية لنداء الغريزة الجنسية الملحاح ••

وفي وسط هذا البحر المور من الاستباحة العامة قد يختار رجل أنثاه أو تختار أنثى رجلها •• وتولد أسرة ويوجد أولاد •

وربما اصطبغت الأسرة بالطابع الديني في الغرب المسيحي •

وربما استطاعت السير وسط الأنواء الجنسية سليمة أو معطوبة •••

وقد يحدث شيء شبيه بهذا في العالم الشيوعي فتتكون أسر بادية الترابط تحت ظروف خاصة •••

غير أن الشيوعية ترفض بحسم جو الأسرة الموروث من قديم، والمشاعر التي تمزج بين رب البيت وأولاده وامرأته ••

---

(١) التوبة : ٣٤ .

وقد جاء في الابجدية الشيوعية لماركس : « حين يقول الوالدان : هذا ابني وتلك ابنتي لا تعني هذه الكلمات وجود آصرة أبوية فحسب ، بل توحي بأن للأبوين حقا في تربية أولادهم من وجهة نظرهم كما يريدون ، والاشتراكية تأبى الاقرار بهذا الحق للآباء لأن الفرد ليس ملك نفسه ولكنه ملك للجماعة ، بل هو ملك للبشرية كلها ..

ولهذا يجب أن ينتمي الطفل للمجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه،والذي جاء الى الحياة بفضله .. »

وكلام ماركس في سلخ الأولاد عن التأثير المادي والأدبي للبيت ، وتمكين الدولة من مد رواقها عليهم ، هو جزء من فكرته المطلقة في فرض الشيوعية على الحاضر والمستقبل ، وتذليل كل عائق أمام هذا الهدف ...

★ ★

والأسرة في نظر الدين كيان تطّرد به مواكب الحياة باسم الله ، وعلى هداه ...

انه لا نزاع في وجود الشهوة لدى الجنسين ، بيد أن لقاء الرجل بامرأته ـ وهو اللقاء الوحيد الذي يقبله الدين ـ لا يتم الا بعقد تستحل فيه الفروج بكلمة الله وإذنه ...

فاذا تكونت الأسرة على هذا الاساس الفذ ، تعاون أفرادها من بعد على طاعة الله وارضائه ، وكان من الطبيعي أن ينشأ الاولاد على دين أبويهم، وأن يقيموا شعائر الدين منذ نعومة أظفارهم ..

والشيوعية ترفض هذين الأمرين معا ، في قيام الأسرة في وظيفتها .

لأن الالحاد ـ كما يقول لينين في كتابه عن الدين ـ جزء طبيعي من الاشتراكية ، بل هو شطر لا انفصام له عن الاشتراكية نظريا وعمليا ...

ويقول ماركس في أبجدية الشيوعية : « لا غناء في الوقت الحاضر عن شن أشد الحرب على تعاليم الدين وأوهامه وخزعبلاته » !!

ومع انكار وجود الله يفقد نظام الأسرة دعائمه ، ويصبح الزنا عملة رائجة ، وتصبح تربية الأولاد مهمة حقيرة وتافهة .

ودعاة الشيوعية الى يومنا هذا حرّاص أشد الحرص على زلزلة كيان البيت ، وعلى تنمية العلاقات الآثمة بين الذكور والاناث .

وقد لاحظنا في القاهرة أن الشيوعيين المصريين يعملون بقوة على اشاعة هذا الزجس ، اذ نشرت مجلة الهلال في ١٩٦٦/١/١ مقالا ضد الزواج طافحا بأوسخ الأفكار ..

وقد شاء رئيس التحرير — واسمه كامل زهيري — أن يجعل هذا المقال صدر مجلته ؛ وأن يعلن عنه وحده على غلاف العدد !!..

وهذا العدد من مجلة الهلال عدد ممتاز يتضمن « موسوعة الجيب الاشتراكية ؛ من الاشتراكية الخيالية الى الواقع المعاصر » ! ..

وفي هذا المقال عرض لكتاب « سيمون دي بوفوار عن الجنس الثاني » .

وسيمون هذه لا توارب ولا تلف في ذكر أفكارها فهي ترى أن الزواج الذي قررته الأديان شيء سخيف . وأن من حق المرأة ان تعاشر من تحب ، واذا كانت متزوجة فلا يسوغ إكراهها على الرضا بشخص واحد .. واذا كان زوجها يضيق بحملها من شخص آخر فان العلم تغلب على هذه المشكلة بحبوب منع الحمل !!!

والمقال مشحون بالدفاع عن الزنا وإعطاء الرجل والمرأة معا الحرية المطلقة في اشباع الغريزة الجنسية .

لأي رجل أن يفترش أي امرأة ما دام الحب التلقائي هو الباعث .

ولذلك يتقرر الحق لأي امرأة ..

وقد طبقت « سيمون دي بوفوار » هذا الكلام على نفسها فعاشت عشيقة فقط لجان بول سارتر ، لا زوجة .

وظاهر أننا أمام مومس موغلة في الاجرام ..

وظاهر أنه لا يرضى بكلامها السابق إلا ديوث أو قواد ..

ومع ذلك الدنس المفضوح فإن الشيوعيين المصريين رأوا استقدام هذه المومس وعشيقها إلى القاهرة كيما يتحدثا إلى المثقفين في الجمهورية العربية المتحدة !!!

إن المهم عند هؤلاء ليس توطيد الجانب الاقتصادي من الشيوعية العالمية ، بل يجب أن يسير معه وفي ذات الخط توطيد الجانب الاجتماعي .

وذلك بدك أسوار الدين ، ومحو معالم العقيدة ، وتمزيق شمل

الأسرة ، وجعل « العشق » علاقة محترمـة تتيح لأصحابها اقتحام أعلـى الاماكن •••!

وبوغتنا بأسرة تحرير الاهرام : « حسنين هيكل ، ولطفي الخولي ، ولويس عوض » يستضيفون العاشقين ••

ثم أخذت أبواق الدعاية تدير الأدمغة من شدة الطنين •

فإذا الندوات تعقد والمحاضرات تلقى ، والراديو يتحدث والتليفزيون ينشر المشاهد والمحاورات ••

وإذا الجامعة الكبيرة ــ جامعة القـاهرة ــ تحشد أساتذة وطـلابا للاستماع إلى بطل الوجودية الملحدة ، وهو يكذب على الله والحقيقة ••

وإذا دار الاهرام تحج اليها السيدات للالتقاء بالمومس الوقاح وهي تناقش وتوجه وتشير •••!!

ونظرت إلى هذه الزوبعة المفتعلة المتعمدة ، والغليـان المكتوم يكاد يصدع قلبي !!

وأدركت أن الشيوعية لا تريد أن تفرط في شيء من تعاليمها مهما كانت طبيعة البيئات التي تحاول أن تتغلغل فيها ••

أو أن الشيوعيين المصريين وهم يحاربون الفقر وتفاوت الفرص كما يزعمون لا ينسون أن يحاربوا الله والشرف والفضائل والعبادات ••

إنها جبهة واحدة يقاتلون فيها عدوا مشتركا •••

أترى هؤلاء اليساريين العرب خالفوا إخوانهم الماركسيين الذين ظهروا منـذ قرن ؟

كلا •• إن المشرب واحد ، والسيرة واحدة ، وتلك طبيعة الشيوعية •

ونشرت صحيفة « تن بات باو » في «هونغ كونغ» في عددها الصادر في « ١١ اكتوبر » الماضي منشورا وجهه الحرس الاحمر في الصين للمسلمين جاء فيه :

يا رجال الحرس الأحمر المقاتلين : إنكم تقومون بعمل حسن•واصلوا عملكم • أنتم مكافحون ضد « البورجوازية والاقطاعيين » الذين مصّوا دماءنا وأكلوا لحمنا وعظمنا ، والآن جاء دورنـا لامتصاص دمهم وأكـل لحمهم •

يا رجال الحرس الاحمر : لا يمكن أن ندع عدوا من اعدائنا يهرب ، وعلينا من الآن فصاعدا أن نهاجم أكثر الاعداء تخفيا ـ المسلمين ـ الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم .

ويختبيء أولئك المسلمون في الجوامع وبتوجيه من الاستعماريين .

كما تسيطر عليهم الدول الأجنبية ضد بلادنا وشعبنا العظيم وزعيمنا الجزيل الاحترام الرئيس : « ماو » ...

● من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الديني على وجوهكم ، سنطردكم وندمركم .

● ومن اليوم فصاعدا لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار لأن الابقار تخدم الشعب ، يجب أن تأكلوا لحم الخنازير ...

● ولا يمكنكم من الآن فصاعدا أن تضيعوا وقتكم في الصلاة .

● يجب ألا تتكلموا اللغة العربية التي هي ضد اللغة الصينية .

● ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما يسمى بالكتاب المقدس «القرآن» .

اسمعوا أيها المسلمون :

● دمروا جوامعكم !! حلوا المنظمات الاسلامية ، أحرقوا القرآن ..!

● الغوا الحظر الذي وضعتموه على الزواج المشترك .. كفوا عن الصلاة ، الغوا الختان ... ادرسوا افكار ماو ...

اذا لم تندموا سنطردكم وندمركم يجب أن نسحق جحور الجرذان الدينية ، وندمرها معكم .

فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى .

فليحيا طويلا طويلا طويلا الرئيس ماو ... » (١) .

ان هذه الحملة المسعورة على الاسلام وأهله ليست مستغربة .

وما ينتظر غير ذلك يوم تستولي الشيوعية على مقاليد الامور .

ولكن الذي ألفت إليه الأنظار أن الشيوعية لما دخلت الصين دخلتها بشقيها الاقتصادي والالحادي معا ، فما من سبيل إلى فصل أحدهما عن الآخر ...

---

(١) عن مجلة الوعي الاسلامي .

وعبارة « الزواج المشترك » التي وردت في بيان الحرس الأحمر هي التعبير الملطف الذي وضعته المدنية الحديثة للزنا ...!

فاتصال المرأة بجملة رجال زواج مشترك ، واتصال الرجل بجملة نساء متزوجات أو غير متزوجات كذلك .

والمطلوب من المسلمين أن يرفعوا الحظر الذي فرضوه على هذا الزواج كي يرضى الحرس الأحمر .

والموضوع كله يتصل بكيان الاسرة من أساسه وبوظيفة الأسرة الاجتماعية .

وقد رأينا الشيوعيين وأذنابهم في القاهرة نفسها يتابعون سادتهم في سياسة هدم الأسرة .

ما نشرته مجلة الهلال لتلميذة سارتر الاولى ، أيدته ووسعت مجاله جريدة الاهرام ، قبل وبعد استضافتها لسارتر ..

ثم زادته توكيدا بما نشرته من مقالات متتابعة « لبرنارد رسل » الانجليزي اليساري الملحد .

ومحنة الفكر الديني في مواجهة هذا البلاء تستحق النظر ..

فان الشيوعية في نقضها للايمان ، وهدمها لآثاره تستعمل الختل والمراوغة حينا ، وتلجأ الى القوة والابادة حينا آخر ..

وهي لا تنسى أبدا أن الوحي السماوي يجب أن يزول وتزول معالمه على ظهر الارض ...

ومع هذه الغاية المبيتة فان الأستاذ « هيكل » لم ير حرجا أن يقول إننا سنخاصم الشيوعية إذا هاجمت الدين .

وفي الوقت الذي كتب فيه هذا الكلام أو بعده بقليل كان يمهد الطريق بقوة ، لضرب الدين في صميمه .

وقد فعل في هذا السبيل ما لم يفعله أحد ، اذ استقدم « سارتر وسيمون » ـ ممثلي الالحاد السافر والانحلال العفن ـ ليوجها المجتمع العربي كله بفلسفتهما .. !!

وأسرة الاهرام ـ وجلّها من الشيوعيين ـ إذ تفعل فعلتها هذه تزيح القناع عن غرضها القديم يوم دعت إلى ترك الشيوعية تسير ..

وليس هذا النفاق مثار شكوانا .

ان مثار الشكوى هو تعجيزنا عن الرد والمقاومة في ميدان الفكر المفتوح ..

ولو كان صوت الايمان يملك نصف القوى التي يملكها صوت الالحاد لتلاشي الزيغ من بلادنا !!

لقد اجتمع نفر من رؤساء الجماعات الاسلامية في المركز العام للشبان المسلمين وتشاكوا بينهم حالة الدين ، والخلق ، وأبدوا مخاوفهم من أمواج الفسق التي ترش أكناف الحياة عندنا .

وكانت وسائل الاعلام يومئذ ترحب في حرارة هائلة بمقدم العاهرة « سيمون دي بوفوار » وعشيقها « سارتر » ..

ولهذا الترحيب دلالته في هزيمة الشرف ، واستخذاء الاسلام ،وانهيار الصفوف المؤمنة ..

وتحدثت في وفود الجماعات الاسلامية التي تلاقت لمواجهة هذا الموقف ..

وأذكر أنه كان بين الحضور المجاهد الاسلامي اللواء الركن « محمود شيت خطاب » الوزير العراقي السابق .

وانتهى المؤتمر بضرورة تكوين لجنة دائمة بالمركز العام للشبان المسلمين تصد هذا السيل المدمر ..

ولم تمض إلا أيام قلائل حتى صدر قرار بحل مجلس إدارة الشبان المسلمين ، وتعيين رئيس جديد للجماعة .

وانتهى هذا النشاط المخذور .. !!

واستقر في الاذهان أن نقد « سارتر وعشيقته » مَجْلَبَةٌ للسخط والشدائد .

لماذا ؟ لان مخاصمة جريدة الاهرام مخاصمة للاتحاد الاشتراكي .

وهذه مخاصمة للدولة والشعب جميعا .. !

وتدحرجت الأمور الى أسفل .. وأسفل،فلم تبق للدين ولا للأعراض قداسة بعد هذه الحفاوة الرسمية بالرجل الذي يحتقر الدين ، والمرأة التي تزدري الزواج .. !!

وبلغتني قصة مؤسفة من صحن الأزهر الشريف •••

فقد ذهب « سارتر وعشيقته » ومعهما « لويس عوض » و « توفيق الحكيم » لزيارة الجامع الشهير ••

ورأى الطلاب المرأة التي تقود دعوة عالمية للبغاء ، والرجل الذي يستهزيء بالألوهية ، وينشر الوجودية الملحدة •

فتغيرت وجوههم وسرى الهمس بينهم عن ضرورة إعلان غضبتهم •

ورأى المراقب المسئول هذا التنمر المقلق فصاح محذرا الطلاب : ان لدي أمرا من مشيخة الازهر بتمكينهم من التجوال فيه ••

ولكن همسات الغضب بدأت تعلو فقال المراقب محذرا : إنكم بهذا الموقف تعملون على إلغاء الأزهر •• !! ••

وحضرت أنا نفسي في أعقاب هذا الحوار وكان الركب المشئوم قد خرج مسرعا ، وقلت للمراقب : كيف سمحتم لهذا الصنف من الناس ان يدخل الجامع الأزهر ؟

فقال : أمر المشيخة !!

قلت : أي مشيخة ؟ ان الذي أصدر هذا الاذن لا يدري ما يفعل مهما كانت مكانته •

وقلت موجها خطابي للطلاب : لقد أحسنتم في اظهار احتقاركم لهؤلاء الزوار الصغار ، •• إن الأزهر لا يلغى باستنكاركم لدخول هؤلاء فيه ، إنما يلغى الأزهر بسكوتكم ونكوصكم ، ولعنة الله على شيوخ لكم اتخذهم الباطل مطايا له •••

وعدت إلى نفسي أتساءل : أبلغ من هوان الأزهر أن يلغى لأنه اعترض على دخول « مومس » في ساحته يصحبها نفر من قادة الفكر الملوّث ؟

ثم تذكرت ما حدث لجماعة الشبان المسلمين فغصت في بحر من الحيرة!!

إن استضافة هذين الشخصين المريبَيْن دلالة صارخة على أن الشيوعيين في القاهرة لا يفرقون بين الدائرة الاقتصادية والدائرة الاجتماعية ••

بل لعلهم أشد حرصا على دك قواعد الايمان في الميدان الاجتماعي ، ومحو آثاره في العلاقات الجنسية • فان ذلك يهون عليهم بقية برنامجهم ••

ومن إذلال الدعاة إلى الاسلام ، وتحقير شأنهم أن تقوم هذه الضيافة على أنقاضهم فيغلق كل فم وينكس كل رأس •

وفي سبيل هذه الاستضافة الفاجرة تنوسي أمر فلسطين ، ومنطـق الدفاع عنها فإن « سارتر وعشيقته » أعلنا قبل المجيء الى القاهرة أنهمـا سوف يذهبان إلى تل أبيب !!

وقد ذهبا ،وصرحا هناك بأن دولة اسرائيل يجب أن تبقى وأن عداوتها حمـاقـة !!!

ومع هذا الميل إلى الصهيونية فإن أسرة جريدة الاهرام لم تتنازل عن إعجابها بمن أعانها على تحقيق بعض أهدافها في تحقير الدين والأسرة ••

لقد رأيت نساء وَرِجالاً أعظم المناصب في بلادنا يَجثون في المحراب الخسيس الذي نصبته جريدة الاهرام للقديسة « سيمون دي بـوفوار » ويقدمن لها الحساب عن حالة المرأة في مصر ••

لمن يقدم الحساب ؟

للمرأة التي تقول : « ان مبدأ الزواج مبدأ فاضح ناب !! لأنه يحول الى حق وواجب ماهو بحكم الطبيعة تبادل حر، ينبغي أن يقوم على الباعث التلقائي [1] » !!!

هذا العهر هو الذي تعمل جريدة الأهرام على بعثرة بذوره ، وتعميق جذوره •

وعلى غرار الاهرام عشرات من العصابات العاملة في ميدان الاعلام •• إنها تعمل لسحق الايمان ، واشاعة العِرْضِ بأسلـوب مُلتوٍ أو صريح •••

أو كما يقول الدكتور « لويس عوض » ، كاتب الاهرام الكبير :

« فكرة الزواج على المشاع فكرة تصدم الشعور ، ولكن اذكروا أنه لا شعور في القلم !! ••• ثم إن بعض الفلاسفة المثاليين المحترفين من أمثال « أفلاطون » دعوا اليها ، و « أفلاطون » في الجمهورية أوصى بتطبيـق الزواج المشاع بين طبقتين في المجتمع ،الطبقة الحاكمةوطبقة الجنود ليكون

---

(١) الهلال في العدد الممتاز قاموس الاشتراكية ١٩٦٦/١/١ .

النسل أبناء الدولة بالمعنى الحرفي لا بالمعنى المجازي » •

وهكذا يقول الدكتور لويس عوض في كتابه المحاورات الجديدة ، الكتاب الذهبي لدار « روز اليوسف »

مسكين هذا الجيل الجديد •••

إنه بهذه التربية الماجنة سيكون أحقر جيل ولد في مصر منذ سبعين قرنا خلت •••

* *

وأريد هنا أن أنكر بعض التقاليد الدينية في الزواج وتكوين الاسرة لأن مجافاة هذه التقاليد للفطرة كان من الأسباب الاولى لوقوع الآثام وتوهين الصلة بالله •

إن الزواج هو الحل الفذ لتفجر الغريزة الجنسية وتطلعها الدائم •

وهو الجو الصحو لانشاء أجيال زاكية تعرف ربها وتستقيم على أمره وتنضبط بوصاياه ••

ومقتضى ذلك أن يتم الزواج بسهولة ، وأن ينزاح من وجهه أي عائق

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم ، المهر خاتما من حديد ، أو تعليم شيء من القرآن ••

والمجتمع المسلم المقدر لحدود الله يجعل تيسير الزواج كتوفير الطعام، وينظر الى الرباط بين الرجل والمرأة على أنه واقع محترم محتوم •

بيد أن تقاليد الرياء والفخر ، وحب الظهور وعقدة الضّعة ، ومشاعر أخرى منكودة عسّرت الزواج ، وأقامت دونه المصاعب الجسام ، فكانت النتيجة التي لا محيص عنها أن انتشرت المعصية بين الكبار والصغار ، وتنفس الناس في الحرام لما عزّ عليهم الحلال ••

والسر في هذه المأساة كبرياء بعض الأفراد والأسر ، والتقاليد التي أقاموها وعبدوها من دون الله ••

وقد ظهرت أعراض الزنا وغيره في أمم اسلامية كثيرة ! ••

أما في الغرب فان الزنا وباء عاصف ••

والولوغ في عرض حرام ليس نقيصة تجرح الضمير ، انه ـ كشتى الضرورات أو المرفهات ـ مسألة رغبة ورضا وحسب •••

وهذه الحال جعلت الشيوعيين يتناولون مبدأ الزواج وعلاقات الأسرة بأسلوب يتسم بالسخرية والاستهزاء •

قلنا : ان من حق الناس ألا ينتظروا من الشيوعيين حفاظا على عرض ، ولا ضبطا لغريزة، ولا احتراما لحدود الله في صلة الذكر بالأنثى، لانه لا اله، ولا تعاليم مقدسة في هذا المجال الجنسي •

ان منطق الغريزة هو الذي يسود • ولا مكان أمام تيارها لسدود أو قيود ، إلا ما يتواضع عليه الشيوعيون من عند أنفسهم حفظا للصحة ومنعا للاشتباك ، والشجار ••

ويتبع ذلك أن روابط الزواج ، والأمومة ، والأبوة ، توزن بموازين جديدة غير ما ألفت الامم في تكوين الاسرة ، وحضانة الاولاد ، وغرس التكافل والحنان بين أفرادها •

ولقد قيل للشيوعيين على عهد « ماركس » : إنكم تريدون القضاء على الأسرة ، وهدم أقدس العلاقات العائلية بإحلال تربية المجتمع للأطفال محل تربية المنزل !!

ترى ماذا يجيب « ماركس » على هذا التساؤل ؟

ان الزاوية التي ينظر منها الرجل الى هذا الموضوع تثير في أفئدتنا الدهشة والحيرة • وهاك جوابه :

« إن « البورجوازيين » يتهموننا معشر الشيوعيين بأننا نريد شيوع المرأة •••

« إن البورجوازي يرى في زوجته مجرد أداة للانتاج ، وهو يسمع أننا سنحول أدوات الانتاج الى ملكية شائعة ، فيصل بالطبع إلى نتيجة واحدة بالنسبة للنساء • وهي أنه سيسري عليهن أيضا نظام الشيوع • ولا يخطر له ببال أننا نريد ان نحول دون جعل النساء مجرد أدوات للانتاج •

أما فيما عدا ذلك فمن أكبر المضحكات أن يثير سخط البورجوازية ما يزعمونه من أننا نريد إعلان شيوع المرأة رسميا •فان الشيوعيين لا حاجة لهم بابتداع شيوع المرأة لأن هذا الشيوع حاصل فعلا من مدد مديدة !!

« اذ أن البورجوازيين لا يقنعون بوجود زوجات العمال وبناتهم تحت

تصرفهم • فضلا عما هو أمامهم من ميدان البغاء الرسمي • بل يجدون سرورا عظيما في اغواء بعضهم لزوجات بعض • فنظام زواجهم انما هو تزويج النساء للجماعات لا للافراد •

وغاية ما يمكنهم اتهامنا به • أننا نريد أن نستبدل بشيوع المرأة المستتر وراء النفاق شيوعا علنيا مشروعا » •

•• شيوعا علنيا مشروعا !!

أهذه هي التهمة التي تسكت عليها وتستريح إليها ؟

نعم ـ وماذا ترجو من رجل يجحد الله ؟

إنه ما يتحرج من إتيان أمه ، •• وما يضيق بمجتمع من الناس يتسافدون كلما حلا لهم ، أو كلما تحركت شهواتهم !!••

ونحن نعرف أن الفساد الجنسي منتشر في أرجاء الحضارة الغربية ، وإن كان ليس عدوانا من أرباب الأموال على زوجات العمال كما يقول « ماركس » •

إنه عدوان على حدود الله في نطاق لا أول له ولا آخر ، فالأغنياء والفقراء سواء في اقتراف الآثام ••

وبعيد في حضارة الغرب أن يكتفي الرجل طول حياته بامرأة واحدة أو تكتفي المرأة برجل واحد •••

وهذه الشيوعية في الأعراض لم ينزعج لها قادة الغرب ، وهنا موضع الغرابة !!

فان النصارى لديهم من بقايا الوحي السماوي ما يحرم عليهم الزنا ، وما يحظر التبرج والاختلاط المؤديين اليه •

فكيف سكت القسس على هذه المناكر ، بل على ما تفرع عليها من ألوان الشذوذ ؟!•

إن الاسلام لما أباح لأبنائه التزوج من اليهوديات ، والنصرانيات ـ دون الوثنيات والمجوسيات ـ فعل ذلك لأن المفروض في نساء أهل الكتاب إحصان الفروج حسب تعاليم موسى ، وعيسى ، وبالتالي تنهض الأسرة على أعمدة من الشرف والتصون ،ويربى الأولاد في جو من العفاف والاستقامة•

وهنا نتساءل : هل انعدمت الفروق بين الشرق الشيوعي والغرب الصليبي فيما يتصل بالغريزة الجنسية ومساربها المعوجة •• ؟

يبدو أن هنالك فروقا طفيفة ، فالمرء في الغرب بعد الشرود الطويل قد يعود إلى بقايا دين •• ثم هناك خيوط واهية تبقي شكل الأسرة ومعنى الأبوة والأمومة ••

أما في البلاد الشيوعية فقد حكى صاحب كتاب « آثرت الحرية » أن الحزب الشيوعي الروسي فصل واحدا من أعضائه لانه تزوج داخل الكنيسة !!

ان المعنى الديني لتكوين الأسرة لا يعترف به أبدا •

ورباط يولد بعيدا عن عناية السماء بهذه الصرامة ما تقول فيه وفي ثمراته ؟!

* *

وحكمت الشيوعية روسيا وأخمدت أنفاس الدين وان استبقت نفرا من المتدينين المغموطين التائهين •

وشرع زعماء روسيا الشيوعية في إنشاء الأجيال التي تعتنق فكرتهم وتحيا بها وتعمل على نشرها • وكان الشباب الغض هو العنصر الذي يعتمد عليه الشيوعيون في إقامة فكرتهم ودولتهم •

فلنستمع الى « لينين » يحدد واجبات جمعيات الشبان ، أو منظمات الشباب في الخطاب الذي ألقاه بالمؤتمر الروسي لاتحاد الشباب الشيوعيين في ٢/١٠/١٩٢٠ • ففي هذا الخطاب أكد كفر الشيوعية بالله ، وأن لها أخلاقا غير ما تنزل من وحي السماء •

يبدأ لينين خطابه هكذا :

« أيها الرفقاء • يسرني أن أبحث معكم اليوم في موضوع الواجبات الأساسية لاتحاد الشبان الشيوعيين • وأن أتوسع فأبحث بوجه عام في : كيف تكون منظمات الشبان اطلاقا في جمهورية اشتراكية ؟ •

ومما يزيد في أهمية درس هذه المسائل أن الشباب هم في الحقيقة الجيل الذي سيحمل العبء الأكبر في انشاء صرح المجتمع الشيوعي ، الذي لم يقم جيل العمال الحاضر بأكثر من وضع أساسه •••

إلى أن قال :

« ••• وهنا يأتي السؤال الهام : كيف يكون تعليم الشيوعية ؟ وما هي الأساليب الخاصة التي يجب ان تمتاز بها طرقنا في التعليم ؟

إن أول ما أرى إيضاحه لكم في هذا الصدد هو دستور الاخلاق الشيوعية •• قد تتساءلون : وهل هناك شيء يسمى الفضائل الشيوعية ؟

الجواب : نعم • كثيرا ما اتهمت البورجوازية الشيوعيين بأنهم لا يعبأون بالأخلاق وأنهم ينكرون أي مباديء لها • إن إلقاء الكلام بهذا الشكل إنما هو من قبيل ذرّ الرماد في عيون العمال والفلاحين •

وانما الحقيقة عن انكارنا قواعد الأخلاق أننا ننكر ما تدعيه البورجوازية من أن مباديء الأخلاق هي أوامر من عند الله فنحن بالطبع لا نؤمن بالله • ونعلم تمام العلم بأن القساوسة والملاك والبورجوازية نسبوا الأمور إلى هذا الاسم « الله » لتحقيق مآربهم الاستغلالية •••

ويواصل « لينين » خطابه فيقول :

« ونحن ننكر كل أخلاق لا يكون مصدرها المدارك الانسانية ، ونجاهر بأنها جميعا مجرد غش وخداع وكبت لعقول العمال والفلاحين •

« وأن القوة التي تسيطر على أخلاقنا هي مصلحة طائفتنا ، فدستور أخلاقنا مستمد من حركة كفاحنا العمالية •

« لقد كان المجتمع القديم قائما على أساس ظلم الملاك والرأسماليين للعمال والفلاحين ، لذلك وجب علينا نسف هذا الأساس • ولكي يتسنى لنا ذلك لا بد لنا من الاتحاد وأن نوجد هذا الاتحاد بأيدينا فان « الله » لن يخلقه (نعوذ بالله من هذا الكلام !) انما الذي يستطيع خلقه هم « البرولتاريا وحدهم ••• إلى أن قال :

« من ذلك ترون أن كفاحنا لم ينته بعد ، ومن هنا نشأت الحاجة الى نظام الحكم الذي نسميه « الدكتاتورية العمالية » التي لا بد منها لمنع عودة الاستغلاليين القدامى ولتوحيد صفوف تلك الجموع المبعثرة من الفلاحين الجهلاء •

« وإذا كان كفاحنا الطائفي لا يزال قائما ، فواجبنا الأول هو أن نخضع

لمستلزمات هذا الكفاح كل شيء عندنا ، وفي ذلك أخلاقنا الشيوعية •

« فالاخلاق عندنا هي أن نعمل كل ما يساعد على هدم المجتمع الاستغلالي القديم وجمع كل صفوف الأيادي العاملة حول البروليتاريا القائمة بانشاء المجتمع الشيوعي الجديد •••••••• يتكلم الناس آمامنا عن مباديء الأخلاق • فنقول لهم : إن الأخلاق عندنا معشر الشيوعيين ليست سوى النظام الموحد والتكتل اليقظ لمكافحة الاستغلاليين •

« نحن لا نعتقد في الأخلاق الأزلية • ونعد كل الاقاصيص الخرافية التي ترمي إلى غرض أخلاقي قولا هراء • ولا نعرف الأخلاق إلا بصفتها عونا للمجتمع على الرفع من مستواه والقضاء على كل عمل استغلالي •

« لذلك لا تكون تربية النشء الشيوعي بالقاء دروس الوعظ والخطب الأخلاقية بل باشراكهم في الميدان العملي القائم لتشييد وتدعيم صرح الشيوعية » •

★ ★

أظنه قد وضح من إعلانات زعماء الشيوعية كلهم أن مذهبهم مادي صرف ــ وأن تعاليمه ــ جوهرا ومظهرا ــ تقوم على أن الألوهية خرافة والوحي هراء والحياة الأخرى اختلاق •

كذلك•وهناك ألوف من الاباحيين في الشرق والغرب القديم والحديث يبطنون,أو يظهرون هذا الكفر • فلم الدهشة والاستغراب ؟ •

ثم ان القرآن سبق أن ناقش هؤلاء الملحدين ووصف مذهبهم بدقة « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون • واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا أئتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ••• »[1] •

ونجيب بأن ما حدث في هذا العصر لم يسبق له نظير فيما سلف من الزمان • فان الالحاد قد يوجد على أنه عوج فكري ، أو خلل نفسي ، أو انحراف فردي ، أو جهل موقوت ، أو غفلة عامة على أسوأ الاحوال •

---

(١) ــ الجاثية : ٢٤ ، ٢٥ .

أما الالحاد الأحمر في عصرنا هذا فهو ثورة على الايمان تبغى قطع دابره ، واجتياح أهله ...!

هو ثورة تتحقق وراء أسباب إقتصادية خطيرة ؛ وتستظهر بعصبية قوية من العامة المحتاجين والمتطلعين ...!

إن هذا الالحاد ليس شبهة توشك أن تلحقها الأدلة فتتلاشى .

لا . إنه الواقع وغيره الباطل !

... انه الجد وغيره الهزل !

... انه الجدير بالحياة وغيره الجدير بالفناء !

إن الشيوعية ليست لدى اصحابها رأيا اجتماعيا يمكن أن يعايش الآراء الاجتماعية الأخرى — لا — .

انها الرأى الأول والأخير في نظام الحياة الانسانية ، ولا مكان لرأي آخر أبدا .

وعلى الشيوعيين أن يتذرعوا بالعنف ما أمكن لهدم الطبقات المناوئة واخفائها تحت الثرى فلا تبقى على وجه الارض حياة تتصل بالله .

★ ★

نحن المصريين شعب مؤمن يغالي بايمانه ولا يفرط فيه آبدا ، رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا ...

وقد جرى علينا القدر الذي جرى على مجموعة البلاد الأسلامية فسقطنا في قبضة الاستعمار عشرات السنين ...

ولم نستنم لهذا المصاب الفادح ، وما زلنا نكافحه حتى أنقذنا الله منه بعد شهداء كثيرين ومغارم ثقيلة .

وكان النظام الملكي السابق ظلا لهذا الاحتلال الاجنبي ، أو عونا له أو بديلا عنه ، ولذلك لم يبق طويلا بعده ...

وكانت أبرز جرائم الملك فاروق في اشتباكه مع الامة الثائرة عليه قتل الشهيد « حسن البنا » زعيم جماعة « الاخوان المسلمين » .. كما كان تنكره للنظام الدستوري ، وولوعه ومن معه بالمال الحرام سببا في اطباق الجماهير على اقصائه أملا في نظام أفضل يتيح للأمة ما تصبو إليه من إيمان وعفة ، وحرية وعدالة ...

وقد استطاع الجيش صيف «١٩٥٢» أن يتحول عن الملك بعد ما كان سناده وأن ينضم إلى الامة التي رأت في ثورته إنعاشا لآمالها بعد طول كفاح ...

ولا مكان هنا للحديث عن صلة الاخوان بالثورة ، ولا عن ماضي أبرز زعماء الثورة في جماعة الاخوان وتشكيلاتها السرية ...

وإنما يهمني هنا القول بأن الثورة – يوم قامت – كانت تحد باطار إسلامي خالص،وأن أحدا من رجالها لم يعرف في سره أو علنه بلون احمر..

وقد كان في مصر شيوعيون مستخفون قبل الثورة وبعدها ...

ولا شك أن نمو العلاقات الاقتصادية والعسكرية مع روسيا مكّن الشيوعيين المصريين من التكاثر والعلانية ...

بيد أنهم قلة قليلة إلى يومنا هذا وإن ارتفع صوتهم واتسع سلطانهم..

ولما كانت العدالة الاجتماعية علاجا ماسا لمتاعب المصريين المادية والادبية فان الاتجاه الى التنظيم الاشتراكي كان جزءا من برنامج الثورة ...

والشيوعيون أسرع الناس انتهازا للفرصة ، وقد أوجس المخلصون خيفة من أن يندسوا بين الصفوف ويحولوا الاشتراكية الى شيوعية .

من أجل ذلك جاء في التقرير الذي وضعته لجنة الميثاق هذا التحذير تحت عنوان « حماية الاشتراكية العربية من الانحرافات المذهبية » :

« ان لاشتراكيتنا العربية خصائصها المميزة ، وعلى ذلك لا يصح اطلاقا أن نفسرها في ضوء أي مذهب اشتراكي آخر !!

«إن علينا أن نحمي اشتراكيتنا العربية من أن يستغلها البعض فينحرف بمفاهيمها الى مفاهيم مذهبية غريبة عنها !!

« ان على القيادات الشعبية والفكرية وعلى أجهزة الدولة أن تقوم بحماية اشتراكيتنا من مثل هذه الانحرافات التي يعمل لها الانتهازيون والعملاء » .

ولكن هذا الكلام طوي للأسف مع تقرير الميثاق كله [١] مع أن هذا الكلام كان تعبيرا أمينا عن رأي الأمة المصرية ، وكذلك كان ترديدا

---

(١) الميثاق وتقريره في ١٩٦٢/٦/٢٠ ص ١٥٣ .

لتصريحات قادة الثورة أنفسهم عن موقفهم من الشيوعية وبعدهم عنها •••

ربما قيل : ان تغلغل الروس في شئوننا وحاجتنا الشديدة إليهم لنقاوم الصهيونية والاستعمار هما السبب في تغيير الرأي والموقف !!

والجواب ••• لا •

لقد قلنا وما زلنا نقول : ان التعاون مع روسيا لا يعني التعاون مع الشيوعية ولا فتح القلوب لها •

وقد كتب قادة الثورة كلاما في الشيوعية وحقيقتها نحب ان نذكرهم به وأن نحاكمهم إليه فهو كلام لا ينسى بسهولة ، ولا يسترضى به الشعب حينا ، ويستغفل عنه حينا آخر •••

في مجموعة كتب « اخترنا لك ••• » كتاب سطر مقدمته جمال عبد الناصر ، وخط فصوله رجال مسئولون بعضهم مات، وبعضهم ما زال يشغل منصبه الوزاري •

والكتاب في « حقيقة الشيوعية » ننقل منه هذه الكلمات المبينة ، وما تضمنته من حقائق لا تغيرها ظروف ولا ملابسات ، يقول المؤلفون :

« ••• وفي فلسفة الشيوعية أن ليس هناك حقيقة سوى المادة،ولكن هذه المادة ليست شيئا مجردا ، وانما هي تشمل الانسان وأعماله ، ويتكون التاريخ من عمل الانسان في المادة وتأثير المادة في الانسان ، وبين الانسان والمادة تأثير متبادل ، فالمادة تغير من الانسان ، والانسان في دوره يغير في المادة لتلائم حاجاته وتقضي لباناته ، وعلاقة الانسان بغيره أساسها الانتاج والاستهلاك ، وهذا باعث الحركة « الديالكتيكية » التاريخية وصراع الطبقات ، وتقضي الحركة « الديالكتيكية » بأن يظل الصراع قائما بين الفقراء المستعبدين والاغنياء المستغلين ، حتى تحدث الثورة ويحطم العمال النظام الرأسمالي ويتحقق الفردوس الأرضي ، ولا مكان للروح في مثل هذه الفلسفة ، وإنما يمتاز الانسان عن الحشرات والسائمة بقدرته الفنية ، وليست هناك حياة أخرى ، ولا عالم روحي، ولا حرية، لان الانسان خاضع للضرورات المادية ، وأما الآداب والاخلاق فليس لها مصدر علوي ، وانما هي وسيلة لحفظ المجتمع ، ومن أقوال لينين في ذلك « علينا أن نكون مستعدين لكل لون من ألوان التضحية ، واذا استلزم الامر فإننا نمارس كل

شيء ممكن ، فالحيل ، وفنون المكر ••• وكـل الاساليب غير الشرعيـة جميعها مباحة !!••• وكذلك السكوت وإخفاء الحق !!••• وموجز القول أننا نستخلص الآداب من مصالح حرب الطبقات ! » •

ويقول أحد الشيوعيين في تقديمه لكتاب لينين عن الدين : « الالحاد جزء طبيعي من الماركسية لا ينفصل عنها » •

وفي برنامج المؤتمر السادس الدولي الشيوعي الذي عقد في سنة ١٩٣٨ مـا يأتي :

« الحرب ضد الدين ــ أفيون الشعب ــ تشغل مكانا هاما بين أعمال الثورة الثقافية ، ويلزم أن تستمر هذه الحرب باصرار ، وبطريقة منظمـة وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير ، ولكنها في الوقت نفسه تستعمـل كل الوسائل التي تملكها للقيـام بدعاية ضد الدين ، وتنظم التربية علـى أساس التصور المادي للدنيا » •

ويقول « لينين » في فصل له عن « الاشتراكية والدين » : « الديـن يعلم هؤلاء الذين يكدحون طوال حياتهم في الفقر الاستسـلام والصبر في هذه الدنيا ، ويغريهم بالأمل في المثوبة بالعالم الآخر » •

ويضرب « لينين » على هذه النغمة في فصل له آخر عن موقف حزب العمال من الدين فيقول : « قال « ماركس » : إن الدين هو أفيون الفقراء، وهذا حجر الزاوية في الفلسفه الماركسية جميعها من ناحية الدين ، وتعـد الماركسية الديانات الحديثة جميعها ، والكنائس ، وكل أنواع المنظمـات الدينية ، آلة لرد الفعل البورجوازي الذي يستهدف الاستغلال بتخديـر الطبقة العاملة ! » •

وفي كتاب أرسله « لينـين » إلى الكاتب الروسي الكبير « ماكسيم جوركي » يقول لينين «إن البحث عن الله لا فائدة منه ، ومن العبث البحث عن شيء لم يخبأ ، وبدون أن تزرع لا تستطيع أن تحصد ، وليس لك إلـه لأنك لم تخلقه بعد ، والآلهة لا يبحث عنها وإنما تخلق ! » •

فالشيوعية تعادي الأديان جميعها ، وتعدها دليل الرجعية والرغبة في مقاومة النظام الشيوعي • وهي تخالف مباديء الاسلام الاساسيـة ، لأن أساس العقيدة الاسلامية أن : « لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله »،

وأنه خاتم النبيين ، واعتبار القرآن وحي الله للنبي محمد ، وكذلك الايمان بالحياة بعد الموت والجزاء ، والمثوبة والعقاب ، وهـذه المباديء جميعهـا تنكرها الشيوعية وتشكك فيها وتحاربها ...

وقد لقي الشيوعيون عناء في تحويل ولاء المسلمين الخاضعين للاتحاد السوفيتي للاسلام الى الولاء للشيوعية ، وقد اضطهدوا المسلمين لتعلقهم بالعقيدة الاسلامية واستمساكهم بها وإيثارها على الشيوعية .

وكان الشيوعيون في بعض الأحيان يغيرون سياستهم تبعا للظروف ويهادنون المسلمين ويلينون معهم ، حينما كانت تقتضي السياسة الخارجية ادعاء العطف على المسلمين والتظـاهر بمسالمة الاسـلام ، فيكفون عـن اضطهادهم ، ويظهرون لهم حسن النية والتسامح ، فاذا استدعت الأحوال العدول عن تلك السياسة عادوا إلى مذهبهم الأصيل في اضطهاد الأديـان جميعها والعمل على إزالتها ومحوها ...

★ ★

ويقول المؤلفون في الصلة بين الشيوعية والدين :

« ... بين الشيوعية والدين عداوة شديدة وحرب لا هوادة فيها ولا مهادنة ، وهذا أمر طبيعي، فان الشيوعية نظام مادي يستمد فكرته من نظرية فلسفية ملحدة تزعم أن كل ما يقع في التاريخ من حركات فان مرجعه الـى الاسباب الاقتصادية ولا مرجع له غيرها ، وما دامت الاسباب الاقتصادية ــ دون غيرها ــ هي التي تملي على التاريخ حركته وتسيره حيث تشاء ، فلا مجال هناك للاعتراف باله خالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر الى مصائرهم بقدرة وارادة ... »

والشعور الديني عندنا وعند كل ذي دين في الارض ، هو احساس طبيعي في الانسان يشعره بأن من فوقه قوة عليا توجهه ، وتسدده في طريقه، وتعصمه من اليأس في ساعات الحرج والشدة ، وتمنحه العزيمة والقوة على اقتحام المصاعب ، وتمنعه من الاستسلام لنزعات الشر والسوء أو للشهوات والنزوات والمطامع الفردية، وتربط البشر بعضهم إلى بعض بروابط تجمعهم على الاخوة الانسانية المتعاونة من غير انتظار لجزاء مادي أو غير مادي يلقاه

الانسان على الارض . فهو اذن شعور مثالي لا يتم تمام الانسانية إلا به ، ولا يتحقق السلام على الأرض بغيره ...

ولكن الشيوعيين ومن قبلهم الماركسيين لا يرون في الدين هذا الرأي، فليس الدين عندهم الا تفسيرا خاطئا للظواهر الاجتماعية ، وبقية من بقايا النظم الاستغلالية البالية ، ولونا من الخداع صنعه بعض الناس ليستعبدوا به كل الناس ، فهو عندهم مظهر جهل ووسيلة استغلال وحيلة مخادع، ومن واجب الشيوعيين أن ينبذوه ويتحللوا من قيوده ويبرءوا من كل آثاره...

كذلك يقول الشيوعيون ويلقنون أتباعهم بصراحة مكشوفة وبلا مواربة ...

ونحن ننقل هنا تصويرا لمسلك الشيوعيين في محاربة الدين لكاتب عاش في أحشاء المجتمع الروسي . يقول الكاتب [1] :

« لو تقلصت روسيا وعادت إلى حدودها في سنة ١٩٣٩ فسيكون تحت سلطانها عدد من الشبان الأقوياء ، ليس عند أية حكومة ديموقراطية عدد مثله،وقد لقحت أذهانهم بالأكاذيب الموهومة عن الممالك غير الشيوعية، فالرقابة الدقيقة في : المدارس ، والكتب ، والاذاعة ، والسينما لم تزودهم الا بالدعاية للشيوعية والديكتاتورية فلا عجب اذا امتلأت رؤوسهم بشتات من المعلومات الخطأ .!! »

« وقد عملت الحكومة السوفيتية على تمكين الجهل الديني بين رعاياها ، واذا قارنا عهد الاتحاد السوفيتي بعهد القيصر وجدنا عدد من يلم بالقراءة والكتابة قد زاد أما عدد من يستطيع التفرقة بين الفضيلة والرذيلة فقد قل ! فهم يساقون الى الايمان بأن : الغاية تسوغ الواسطة ، وأن الدين خرافة لا تنطلي على شبان أذكياء مثلهم ، وكانت حجة الحكومة في محاربة الدين في سنة ١٩١٧ هي « الدين للشعب كالافيون » !!

« وظلت منذ ذلك الحين تضطهد الكنيسة تارة وتعاملها ببعض التسامح تارة أخرى ، وذلك كلما رأت أن هذا التسامح يأتيها ببعض المنافع السياسية من جيرانها . ولكن عدد القساوسة قل بنسبة ٩٠٪ عما كان عليه

---

(١) عن كتاب «طريق الى فهم الاتحاد السوفيتي» «لوليم س. بوليت»

في سنة ١٩١٧ ، حتى أن شبان بعض المناطق لم يروا بأعينهم كنيسة قط !!

وهذا ستالين لا يكتم رأيه في هـذا الامر ، فقد قال لوفد العمال الامريكيين في سنة ١٩٢٧ : « إن الحزب لا يستطيع أن يقف من الكنيسة موقف المحايد !..

« نعم إن الحكومة تقوم بدعاية ضد الدين لمحاربة الأضغان الدينية جميعها ، وأينما وجدتها . تسألونني : هل قضينا على رجال الدين الرجعيين؟ نعم لقد فعلنا ، ولكن من سوء الحظ أننا لم نقض عليهم القضاء المبرم ، فالدعاية ضد الدين هي الوسيلة الوحيدة التي ينبغي أن نتوصل بها الى محو رجال الدين الرجعيين !!... » ولكن الدعاية وحدها لا تكفي لمحاربة الدين ، فطغت موجة من الارهاب الديني في سنة ١٩٢٩ ثم في سنة ١٩٣٧ فحاق بالقساوسة السجن والنفي والقتل ، ولم تحل سنة « ١٩٣٩ » حتى كانت عزيمة رجال الدين قد تضعضعت كل التضعضع !! ، وندر أن تجد يومئذ في روسيا قسيسا لا يخضع بين يدي ستالين .

ولقد هاجم هتلر الاتحاد السوفيتي في سنة ١٩٤١ ، فاحتاج ستالين الى معونة الشعور الديني والشعور الوطني معا ، حتى يستمد من الفلاح أقصى ما يقوى عليه من تضحية لمقاتلة الالمان . وأعلن « سرجيوس » أكبر رجالات الكنيسة وكرسيه في موسكو تأييده لستالين في قيادة الحرب ، فجازاه بأن ينتخب بطريقا ، ثم دعاه الى مقابلته . وفي اليوم التالي أدى البطريق أول واجب عهد اليه في السياسة الدولية ، فطالب حلفاء السوفيت جهارا بفتح الجبهة الثانية .

وانشأت الحكومة « لجنة شئون الكنيسة الارثوذكسية » لتتولى توجيه البطريق الهرم الذي يبلغ من العمر ٧٥ سنة . فلما أنزل ستالين الكنيسة إلى مرتبة المكاتب الحكومية ، أرادها أن تكون أداة صالحة قوية الأثر . وأبيح تدريب صغار القساوسة بعد التحريم وأذن بانشاء معهد ديني . فمن الذي ربح : أهي الكنيسة أم الحزب الشيوعي ؟

« إن ستالين يبسط سلطانه على الكنيسة ويجعلها أداة في يده يستخدمها في سياسته الداخلية والخارجية . ومهما يكن من شأن الحقوق التي نزل عنها زعماء الكنيسة السياسيون في صلحهم مع ستالين ، فإن هذه

الكنيسة لا تزال تضم نفرا قليلا من قساوسة قلوبهم عامرة بالايمان الذي أعانهم على احتمال ما لقوه من آلام واضطهاد •

«الشيوعية» هي:العقيدة التي تؤمن بها الحكومة السوفيتية فتنشيء لها أطفالا لكي يحيوا في ظلها ويموتوا في سبيلها •

« فعقيدة « ماركس ، ولينين ، وستالين » هي : الالحاد ، وزعمهم أنها تستند الى الحقائق العلمية ، مع أنها تستند الى فرض غير معقول ، وهو أن إقامة : « الديكتاتورية الشيوعية في الارض ، والغاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج » سيقضي على الحرب بين طبقات الشعب الواحد وبين بعض الامم وبعض ، وأنها سترقى بالطبيعة الانسانية كما يقول : « لينين » حتى تختفي الدولة ويعيش الناس بعد زوال الدول ، في جو من الحرية الكاملة والهناءة الشاملة •

« وقد بنى « لينين » على هذه العقيدة رأيه في تسويغ إقامة الديكتاتورية في روسيا ، اذ كان يؤمن بأن قيام الدولة يؤدي حتما الى التقاتل ، أما اذا عاش الناس تحت لواءالديكتاتورية الشيوعية ، فانهم يتهيأون للظفر بالحرية التامة • وقال : « لا حرية مع قيام الدولة ، وحين تستتب الحرية ستختفي الدولة !!••• »

« وهذه العقيدة عندهم بمنزلة الايمان ، ولعل هذا هو تفسير ظفرها كما ظفرت الديانات من قبل ، بأنصار يخلصون لها ويستشهدون فيسبيلها• فالمؤمن بها حق الايمان يعتقد بأنه يجاهد لتخليص البشر من ربقة الشر، وأنه يعمل لرفع لواء الحق الأزلي • فالحزب الشيوعي في نظره هو : رابطة اخوانه المؤمنين ، وكتابه المقدس قد خطه له : « ماركس،ولينين،وستالين » أما الاتحاد السوفيتي فهو الداعي الى الجهاد !!••

ولما كان أسمى الاهداف الخلقية ، في نظر العقيدة الشيوعية ، هو تحطيم الدولة على إثر إقامة الديكتاتورية الشيوعية في الارض ، أصبح أول واجب على الرجل أن يعين على اقامة هذه الديكتاتورية • ويؤمن الشيوعي بأن هذه الغاية الخلقية السامية تسوغ كل الوسائل المؤدية اليها من حرب وقتل وتلويث سمعة ونكث للعهود ، وكما قال لينين : « من

الضروري أن نستعين بالخداع والمكر ومخالفة القانون والمراوغة واخفاء الحقائق !!... »

فالحدود الخلقية التي تلتزمها الحكومات الديموقراطية،أوالحكومات الرأسمالية أو الاستعمارية ، لا وزن لها في قرارات الحكومة السوفيتية . فالعقيدة الشيوعية تتطلب من الاتحاد السوفيتي ومن كل الحكومات الشيوعية أن تجعل أول أهداف سياستها الخارجية إقامة الديكتاتورية الشيوعية في الأرض ، فترى الحكومة السوفيتية تبدل خططها وأساليبها لبلوغ هذا الهدف ، تبعا لتقديرها للموقف الدولي .

« أما الغرض ذاته فباق بغير تبديل ، وما هو إلا غزو الشيوعية للعالم كلـه .

« ولن نجد أقل مشقة في فهم السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي ، إذا نظرنا اليه ــ كما يفعل الشيوعي ــ نظرتنا الى جيش محارب ، فالخطط والاساليب واحدة : الهجوم حين يرى القائد أن النصر قريب ، والتراجع حين يتوقع الهزيمة ! [1]

وهذا الاختلاف في أمر الدين بين الشيوعيين وغيرهم هو الحد الفاصل بين الشيوعية وغيرها من مذاهب الرأي أو من نظريات الحكم ، فالشيوعي الكامل عندهم هو الذي ينبذ دينه، ويتبرأ منه، ويقطع كل صلة تربطه به في كل شأن من شئون حياته ، في العمل وفي غير العمل ، وفي الزواج والطلاق ، وفي الأبوة والأخوة والامومة ، وفي كل ما جل أو قل من علاقاته العامة وشئونه الخاصة ، وهم لا يكتفون من الشيوعي بأن يبرأ من الدين بقلبه ولسانه ، بل يريدونه أن يعمل ما وسعه الجهد لرد المؤمنين بالله عن دينهم ، ليكون الناس جميعا شيوعيين على دين « ستالين، ولينين،وكارل ماركس» لا على دين نبي من أنبياء الله ورسله ، وقد كان من الجرائم العظمى بروسيا

---

(١) نسبة غلاة المؤمنين بالشيوعية في الأحزاب الشيوعية خارج روسيا اكبر منها داخل الحزب الشيوعي الروسي!!..ذلك بأن الشيوعيين في روسيا يرون الشيوعية رأي العين ، ويلمسون آثارها المتعبة ، وطبيعتها السيئة .

... أما الشيوعيون خارج روسيا فلا يزالون على ايمانهم بالجنة التي تزينها لهم الدعاية الشيوعية !.

في يوم من الأيام أن يضبط روسي متلبسا بجريمة الصلاة أو العبادة في كنيسة أو مسجد ، وقد هدمت المساجد والكنائس جميعا في روسيا منذ سنين بعيدة ، وحول كثير منها كمتاحف تمثل عهد الرجعية الاستغلالية البائد .

ومسلم الأمس في روسيا ــ ومثله مسيحي الأمس ــ لا يباح له أن يتخذ زوجة يرتبط إليها وترتبط إليه ارتباط الزوجين في كل بلد من بلاد المسلمين ، أو من بلاد المسيحيين ليكونا أسرة ذات كيان وقومية صغرى ، وانما هما رجل وامرأة كذكر الحيوان وأنثاه ، ليس بينهما الا صلة الفراش المشترك حين يبدو لهما أن يشتركا في فراش ، بعقد موقوت أو بغير عقد ، ثم يذهب الرجل الى حيث شاء وتذهب المرأة ، فهي أنثى من اناث الدولة الشيوعية وهو رجل من رجالها، وللدولة أبناؤهما وبناتهما جميعا ينتسبون اليها وحدها انتساب ولد الحيوان الى جنسه لا الى ابيه وأمه ...

وقد رأينا في بعض قضايا الشيوعية بمصر واحدة من «زوجات الدولة» هؤلاء ، اسمها « ميري روزنتال » وكان لها في مصر زوجان تختلف الى كليهما وتقاسم كلا منهما الفراش حين تشاء أو حين يشاء هو، و لاتنكر هي أنها « زوجة » لكل منهما ، ولم ينكر أحد منهما أنها « زوجته » ولم تر أو ير أحدهما في ذلك عيبا ، لأنهم جميعا « شيوعيون » !

وكلمة « زوج » أو « زوجة » التي يعبر بها عن مثل هذه العلاقات الفاحشة بين الشيوعيين ونسائهم، ليس لها الا هذا المدلول في دين الشيوعية.

وقد جاء في المقدمة التي كتبها « جمال عبد الناصر » لهذا الكتاب :

ان الشيوعية حين أصبحت نظاما للحكم انقلبت الى شيء آخر غير ما كان يأمله دعاتها ــ وما اكثر النظريات التي تفتن وتخدع ، حتى اذا دخلت في دور التطبيق العلمي انحسر عنها لثامها وأسفرت عن حقائقها الأليمة .

كل ما كسبه الشيوعيون من شيوعيتهم أنهم صاروا آلات في جهاز الانتاج العام ــ وكانوا بشرا ذوي إرادة .

● قد كفروا بالدين لأن الدين في عرف الشيوعية خرافة .

● وكفروا بالفرد لأن الفرد في دين الشيوعية لا كيان له ولا حقيقة لوجوده وإنما الكيان للدولة .

● وكفروا بالحرية لان الحرية نوع من ايمان الفرد بذاته،وليس للفرد في النظام الشيوعي ذات ولا ارادة !

● وكفروا بالمساواة في نظام الدولة ، لأن الدولة في دستور الشيوعية طبقات تنتظم في هرم يتربع على قمته فرد ويحتشد ملايين الشعب في القاعدة!

ألا ما أبعد واقع الشيوعية عن دعوة دعاتها !

ونحن المصريين ...

نحن العرب ...

نحن المسلمين والمسيحيين في هذه المنطقة من العالم ...

● نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ...

● ونؤمن بأن لكل عامل جزاء عمله ، ولا تزر وازرة وزر أخرى...

● ونؤمن بأن لكل فرد في جماعة كيانا في ذاته،وكيانا في أهله، وكيانا في قوميته العامة وفي بلده ...

● ونؤمن بحرية العمل ، وحرية الكسب ، وحرية النفقة فيما لا يعود على المجموع بمضرة .

● ونؤمن الي كل ذلك بالاخوة الانسانية ، وبالتكافل الاجتماعـي ، والايثار القائم على الاختيار لتوثيق الروابط الانسانية .

● ونؤمن بأن لكل فرد في الدولة حقا وعليه واجبا يكافيء هذا الحق.

● وان على الدولة لكل فرد فيها واجبا ولها عليه حقا يكافيء هـذا الواجب .

... فهي تبعات متبادلة بين الحكام والمحكومين ، ليس فيها قهر ولا اذلال ولا تسلط ولا طبقات قليلة العدد من السادة وطبقة ضخمة من العبيد.

هذا ديننا وذاك دين الشيوعية ...

فلتؤمن الشيوعية بما تشاء وتكفر بما تشاء ، فليس يعنينا ما تؤمن به وما تكفر !... وإنما يعنينا ان نؤكد إيماننا بديننا الذي ندين الله عليـه ونترسم دستوره فيما نعمل لأنفسنا ولقومنا ...

كل ما بيننا وبين الشيوعية في مذهب الحكم أو في مذاهب الحياة ، أن الشيوعية دين ••• ولنا دين ؟

ولسنا تاركين ديننا من أجل دين الشيوعية » •

ونحن نصدق كل حرف في هذه المقدمة •

ولكن وسائل الاعلام لدينا لا تنفذ منه حرفا ، بل هي دائبة على خلق أجيال تكفر بالله وتنكر وحيه • أجيال تهش للشيوعية وتستروح لمبادئها •

الفصل الثالث

● حكم فردي صارم وشعب مسير صامت
● الشيوعية تخشى اطلاق الحريات لتستديم وجودهـا
● الثورة الصينية وظروفها
● سر الشيوعية بين بيئتين
● تقرير من داخل روسيـا
● الجاسوسيـة والتعذيب
● معنى الحرية فى المجتمع الشيوعي

الشيوعية والحريات

طراز الحكم في البلاد الشيوعية معروف الشكل والموضوع •

•••إنه حكم فردي أو طائفي يفرض نفسه على كل شيء ، ولا يسمح بته بمعارضة أو تذمر ، ولا يأذن بميلاد فكرة مخالفة بله حزب يمثل وجهه نظر مغايرة •••!

وأسلوب العيش في ظل هذا النظام يجعل الطعام اليومي للأفراد والأسر مارا من تحت يد الحاكم ومن ثم فلا مجال للافلات من قبضته •••!! •

ولم تعرف الدنيا في تاريخها الماضي ، ولن تعرف في تاريخها المقبل ، حكما ممدود الرهبة ، مشدود الوثاق ، يحول البلاد الى سجن كبير،ويحول أهلها الى قطعان مسيرة مثل ما عرف في الأمم الشيوعية •

والغريب حقا أن ذلك كله يقع باسم الشعوب •••!!

باسم الشعب تخنق الآراء ، وتخمد الأنفاس ، وتذل النفوس الكبار، ويقدس اسم واحد او عدة أسماء •

والشعب ليس الا ستارا تختفي وراءه حفنة من الناس تملكتها رغبة مجنونة أن تفرض تفكيرها ومذهبها على الآخرين ولو كانوا كارهين •

وهذا الشعب الذي تفعل باسمه العظائم يحيا على الضياع والبأساء ،

... إنه يشبه الخليفة في بغداد يوم قيل فيه :

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شيء في يديه !

ومن المقطوع به أن الشيوعية في أي بلد وفي أي زمان لا يمكن أن تصل إلى الحكم عن طريق انتخاب شعبي حر ...

وإذا حدث لأمر ما آن استولت الشيوعية على الحكم بفوز شعبي جزئي ، فانها لا تبقى في الحكم فترة قصيرة حتى ينصرف الجمهور عنها فلا تعتمد في بقائها إلا على السياط والرماح ...

إن سيادة الحرية في الأرض تعني زوال الشيوعية منها ، فما تقوم حكومة شيوعية الآن الا في غيبة الشورى ، ويأس الجماهير من التغير .

والأمر لا يحتاج إلى لف أو دوران .

إن الناس يرضون عن الحكومة يوم تكون مصالحهم في ظلها مكفولة نامية ، ويوم تكون عقائدهم وآراؤهم محترمة مصونة ...

فإذا نظر إنسان فرأى الحكم الشيوعي قد قلل دخله ، وضيق عيشه وإذا نظر فرأى أنه قد آهان دينه ، وصادر حريته .

فما الذي يحمله على الرضا بذلك الحكم المشئوم ؟

ومن الذي يسره أن يخسر دنياه وآخرته على هذا النحو الذليل ؟

إن سياسة الشيوعية أعرف الناس بهذه الحقيقة ، ولكنهم أصحاب عقيدة يريدون بكل وسيلة أن يفرضوها ، وأن يزيحوا العوائق من أمامها .

وقد خاضوا في سبيل ذلك لججا من الدماء المراقة ، والكرامات المستباحة وهم ماضون في طريقهم ما بقيت في أيديهم السطوة والسلطة .

والحكم الشيوعي يعتمد في الداخل على شبكة من الجواسيس تحصي على الناس أنفاسهم ، وتكاد تطلعه على خطرات قلوبهم ، كما يعتمد على سلطان مطلق في الخفض والرفع والحياة والموت ...!!

فمن أيسر الأمور أن يكون المرء وزيرا اليوم ، ثم يعزل غدا ، ثم يرمى في السجن ، ثم يقتل لأنه خان الحزب ...

وذلك كله في ظل قضاء طيّع ، وصحافة خرساء ، وجمهور مستكين ونفر من المتطلعين يشقون طريقهم إلى مستقبلهم على أنقاض غيرهم ،

ويتم ذلك كله باسم الفلاحين والعمال !!

ولقد تتبعت أقوال « ماركس » و « انجلز » وتصرفات « لينين » و « ستالين » فرأيت أناسا مملوئين من نواصيهم إلى أقدامهم بالفكرة التي يعتنقونها ، سكرى بخمرتها فما يفيقون أبدا منها ، يظنون العالم كله مبطلا وهم المحقون .

ثم رأيت بعض الشباب الذي افتتن بهؤلاء وتبعهم ، فرأيت أناسا أضراهم الحرمان أو التطلع ، يحسبون أن الشيوعية ستحولهم إلى ملوك بين عشية وضحاها ، فهم ينصرونها بكل ما في غرائزهم من قوة ونشاط .

وقد تكون الشيوعية ملتقى الأماني الجائعة ، والخيالات الرائعة !

بيد أنها عندما تلتقي بالواقع وتمشي على الأرض تتكشف عن فراغ وخداع لا آخر لهما ..

وعندئذ ينصرف عنها من اغترّ بها ، ولا يتعصب لها إلا من يريد عن عمد نشر الالحاد والعبودية بين الناس ، باسم مناصرة العمال والفلاحين .!!

★ ★

وقبل أن أتعرض لمأساة الحرية في الثورة الروسية أسوق مثلا قريبا من الثورة الشيوعية الأخيرة في الصين .

لقد جاء « ماوتسي تونج » يقود جحافل الشيوعيين .

جاء في أعقاب حكم ساقط حافل بالفوضى والرشوة والفساد،تبرأ منه الأمريكيون أنفسهم وهم الذين طالما أغدقوا عليه وأيدوه !!

وانتصار الشيوعية غالبا يتم في هذا الجو المليء بالضيق والانكار ،

وشرع الحزب الشيوعي ينفذ برنامجه الاصلاحي المستمد من تعاليم « ماركس ولينين » .

وكان «ماوتسي تونج» كبير الأمل في اجتذاب الألوف حوله،والافادة من الاخطاء الفادحة التي خلفها الحكم السابق .

ولم تكن هناك حاجة للاستبداد ومصادرة الآراء الأخرى .

كان يبدو أن الحرية مأمونة العاقبة !!

ولكن أبواب الحرية ما كادت تفتح حتى هبت منها رياح تريد اقتلاع الشيوعية من أصولها ، كأنما كان الناس في لهفة للخلاص منها ...

وهنا أسرع « ماوتسي تونج » إلى اغلاق الأبواب بقوة وندم ...!!

يقول الكاتب محمد عوده :

« في بداية عام ١٩٥٦ أعلن ماوتسي تونج « شعار » : « دعوا مائة زهرة تتفتح ، ودعوا مائة مدرسة مختلفة تتصارع » وأصدر بحثه المشهور عن الطريقة الصحيحة لمعالجة المتناقضات في صفوف الشعب !! ..

« وبعد ذلك بقليل انعقد المؤتمر العشرون ـ الشهير ـ للحزب الشيوعي السوفيتي ...

« وقال كثيرون : ان ما أعلنه من خطوات جريئة وتحررية هو من تأثير الصين الشعبية ، وان هناك مرحلة تحول تاريخية في آراء وسياسات المعسكر الشيوعي كله .

« ولكن انتهت هذه المرحلة فجأة وتحولت الصين الشعبية من النقيض إلى النقيض وأسدل الستار على « المائة زهرة والمائة مدرسة مختلفة » وبدأ « خط » جديد في الداخل والخارج .

« وقيل في تفسير هذا التحول المفاجيء والمناقض لطبيعة الثورة الصينية وتطورها حجج وأسباب كثيرة ربما كان أقربها إلى المنطق هذه الحجج :

« ان تطبيق الحرية الفكرية على النطاق الواسع الذي طبقت فيه خلال عامي ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ الصين قد كشف للحكومة الصينية عن قديم كامن كبير من المعارضة الهدامة !!

« وهي المعارضة التي لا تريد النقد ، ولا تريد تدعيم وتلافي نقائص النظام ، ولكن تريد التشكيك في أسسه الفلسفية والعقائدية ، وفي نظمه وسياساته ، وتريد بذلك تقويض دعائمه ...!!

« وقد خرجت في هذه الفترة أصوات كثيرة وقوية ومن جهات لم يتوقعها أحد تضع موضع التساؤل والاستنكار الفلسفة الماركسية وقيادة الحزب الشيوعي ومشاريع التنمية والاصلاح .

« وقد وجدت هذه الأصوات فرصتها كاملة على صفحات الجرائد والمنابر الصينية ، وتركت مرارة عميقة في نفوس القادة الصينيين وصدمتهم صدمة استخلصوا كل مغزاها ...!!

« وكان الشيوعيون الصينيون قد استولوا على كثير من أجزاء الصين

بغير قتال • ونتيجة لتخلي الشعب كله عن حكومة « تشيانج كاي شك » التي وصل فسادها وخيانتها إلى حد تخلي الامريكيين وهم حلفاؤها وسندها عنها •

« وأدرك القادة الصينيون أن رواسب التربية والعقلية الاقطاعية والبورجوازية لا تزال قوية راسخة في أرجاء كثيرة من الصين •

« وأن فترة طويلة من التصفية العقلية والروحية لهذه المخلفات لا بد أن تقوم [1] •

« والحجة الثانية هي أن : عملية البناء الاشتراكي في بلد مثل الصين والانتقال من اقتصاد استعماري اقطاعي في أشد مراحل التخلف إلى اقتصاد إشتراكي صناعي حديث ، هذه العملية في شعب تعداده ستمائة مليون ويزداد بنسب مخيفة أقنعت القادة الصينيين أنه لا بد من تعبئة حازمة صارمة لكل الموارد الاقتصادية والبشرية ، وأنه لا يمكن قطع الخطوات السريعة التي تريد الصين قطعها للحاق بالدول المتقدمة بغير التقشف العام والتعبئة العامة •

« والحجة الثالثة [2] : أن سياسة التحرر التي أعلنها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفيتي وتطبيق هذه السياسة قد أدى الى أحداث المجر وبولاندا • ولو انفجرت مثل هذه الانتفاضات في الصين وامتدت الى نطاق واسع لأدت الى أخطر النتائج •• ولا يعجز الاستعماريون والرجعيون المحاصرون للصين عن تدبير «هنغاريا ثانية» ولا بد من تلافي هذا الخطر» •

★ ★

لهذه الاسباب ولغيرها ، قرر الحزب الشيوعي الصيني أن يستبد بالامر ، وأن يسكت الأصوات المعترضة مهما بلغت كثرتها •••

وذلك خشية وقوع هنغاريا ثانية ، كما يقول « محمد عوده » وهو يشير الى مأساة المجر التي وقعت أخيرا • فان الشعب المجري الذي أكرهته

---

(١) اي أدركوا ــ في ايجاز ــ ان الامة ليست معهم وأنها ترفض الشيوعية أسلوبا لحياتها الاجتماعية والسياسية .

(٢) ملحق بالاعتذار السابق عن بقاء الشيوعية مع كراهية الخاصة والعامة لها . . !!

ظروف مفتعلة على قبول الشيوعية في بلاده لَمّ شمله،وقام بحركة مستميتة استرد بها سلطته ، وحرر بها مشيئته ..

غير أن الأوامر صدرت للجيش الأحمر بعلاج هذا المتمرد .

فاذا ألوف الدبابات تنطلق من مكانها مجتازة المدن والقرى ، ودافنة الثوار تحت أنقاض الخرائب ...

وبين عشية وضحاها كانت الدور مقابر ، والمحافل الهائجة لا نسمع لها همسا .

ثم عادت السلطات للشيوعيين . أو بالعبارة اللاذعة عاد الحكم للعمال والفلاحين أصحابه الشرعيين !!!

وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني سنة ١٩٥٦ قرر إرغام الجماهيرعلى تنفيذ خطته وقبول فلسفته فإنه لم تمض عشر سنين حتى أحس «ماوتسي تونج» مرة أخرى أن الأرض تميد من تحته .

فان جمهرة المثقفين رأت أن هناك برامج أفضل للنهوض بالبلاد من الطريقة التي يلتزمها الشيوعيون الحاكمون .

وهنا تقع عملية تطهير كبرى تشمل أساتذة الجامعات ، ورؤساءالصحف، وقادة الجيش ، وتمتلىء السجون بالمعارضين .

بل ان الشبيبة الشيوعية تذهب الى بيوت معينة لتلقي أثاثها في الطريق ، وتطرد أصحابها منها بحجة عدم ولائهم للزعيم «ماوتسي تونج» .

وما يفعله الحرس الأحمر هناك ملأ الدنيا .

ونحن لا ندري إلا القليل من أحوال تلك البلاد القصية ، لكنا نستطيع أن نفرق في تقبل الشيوعية بين بيئتين :

● ان الهندوس والبوذيين وطوائف الوثنيين قد ينتقلون الى الشيوعية دون عناء طويل ...

● أما أصحاب الديانات السماوية فان إيمانهم الوطيد بالله ، وشعورهم بالرضا مع تعاليمه الصحيحة ، يجعل قبولهم للشيوعية عسيرا أو مستحيلا ..

يقولون : إن الهندوسي الذي يبيع الفاكهة يشعر بسعادة كبرى عندما يمر به عجل ، ويدس فمه في أقفاص الفاكهة ، يأكل منها ما يشاء !!!

هذا الهندوسي عندما يعتنق الشيوعية يشعر انها نقلته الى طور أرقى من تقديس البقر ...

ويبقى الامر عنده مجرد مقارنة بين كسبه الشخصي في ظل الشيوعية أو كسبه في ظل الرأسمالية .

وتحوله عن الشيوعية إلى نظام أرقى ــ بعد الـدرس والتجربة ــ يحتاج الى أمد يطول أو يقصر ..

ولذلك فان حركات التطهير التي اقترنت بها الثورة الصينية كانت محدودة وعلى فترات متباعدة ــ وإن كان الحرس الأحمـر الصيني قد ارتكب ضد خصومه جرائم مجنونة ...

لا نستثني من ذلك إلا المقاومة الباسلة المريرة التي أبدتها الشعوب الاسلامية الى آخر رمق ، قبل أن تقع فريسة الزحف الاحمر ...

أما الثورة الروسية في خريف سنة ١٩١٧ فقد وقعت بين شعوب ثلثها مسلم تقريبا والباقي مسيحي ..

وهؤلاء وأولئك لا يبيعون ربهم بثمن بخس ولا غال .

ثم إنهم جربوا نوعا من الحياة أرقى ، أو على الأقل تحس ضمائرهم هذا النوع الأرقى من الحياة الانسانية ، أو يسمعون عن تطبيقـه لدى جيرانهم الأقربين .

ومن ثم لجأ الشيوعيون إلى وسائل مضاعفة من العنف والجبروت لاخماد روح التمرد بين هؤلاء النافرين ، ولجعلهـم يرضـون بأساليب الشيوعية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

فهل أفلحوا ؟ كلا . ان الاقتناع بالشيوعية لا يتجاوز لفيفا من أعضاء الحزب الشيوعي .

أما عشرات الملايين المبعثرين في طول البلاد وعرضها فصدورهم مطوية على البغضاء والانكسار ...

وما قيمة جموع انفرط عقدها ، واستذلها الجوع والخوف ، ينظر الواحد منهم الى أقرب الناس اليه فيتخيله عينا عليه ! فهم كما قيل :

وعلى الذم باتوا مجمعين وحالهم   من الذعر حال المجمعين على الحمد

ومن الظلم أن نقول ان هؤلاء المكسورين استسلموا دون مقاومة .

لا • ان الامر لم يتمهد للشيوعيين إلا بعد مجازر مروعة لم تعهد البشرية مثلها •

ثم شاء القدر أن تصير الأمور الى ما صارت اليه •

وقادة الشيوعية يعلمون جيدا ما يريدون ، انهم يقولون في وضوح:

سنبني عالما آخر غير ما عهدت الانسانية في تاريخها القديم والحديث•

عالما خاليا من حق التملك وحق التدين •

الناس في هذا العالم آلهة هذه الأرض • وهم يولدون فيها ويخرجون منها دون أن يكون لأحدهم ملك خاص • والدنيا وما فيها مرفق عام للكل •

تلك هي المزاعم التي يرددها القوم !! ••

وعندما واتت فرصة التطبيق ، وتولى القوم الحكم ، نبذوا الدين جانبا وطاردوا المتدينين في كل مكان •

ثم انتزعوا من الناس أملاكهم كبرت أم صغرت ، وشرعت الدولة تباشر أو تشرف على شئون الزراعة والتجارة والصناعة وعشرات المهن التي يرتزقون منها ••

لقد تحول الكل إلى أجراء عند مالك واحد هو الدولة ••• !!

وكان هذا الزلزال الاجتماعي والنفسي شديد الوقع عسير القبول •

فالتدين فطرة ، والتملك غريزة ••••

نعم قد يدخل الفساد على معاني الدين ومظاهره • وقد يدخل الحرام في مصادر التملك ومصارفه !!

لكن العلاج ان نجعل الدين حقا لا باطلا ، وأن نجعل الملك من حلال لا من حرام • وأن تكون النفقة معقولة لا سرف فيها ولا ترف •

لكن الشيوعية حكمت بالاعدام على الايمان والملكية •

فلما شرعت تسوس الأمور بأساليبها هي ، ورّطت الجماهير في سلسلة من الضوائق لم يعانوا ظلمتها في ظل القياصرة البغاة !!

وأصبح الجوع والخوف يتقاسمان البلاد الشيوعية ، وكأنهما في تلازمهما الليل والنهار •

السعداء هناك هم أتباع الحاكم وحواشيه ، ومنفذو مشيئته ••

وفي الدنيا ركام كثيف من هؤلاء الأذناب !!

هناك مرتزقة يخدمون أنفسهم تحت أي لواء •

ناس يخدمون النقيضين ، فهم في ظل الحكم الملكي يقبلون أقدام الملك ، ويعيشون بالولاء له ، وهم في ظل النظام الجمهوري حملة رايته ، والمسبحون بحمده ، والمتعصبون له •••

في الدنيا ناس كثيرون هدفهم الأكبر أن يوائموا بين أنفسهم وبين الأوضاع القائمة حتى يعيشوا ناعمين • بل قد يتقنون الزلفى حتى يعيشوا متصدرين ••• !!

وفي كل زمان ومكان تظفر الأنظمة المتقلبة بأعوان من هذا الصنف القلّب •

وقد استطاع قادة الشيوعيين أن يؤلفوا أحزابا قوية من هؤلاء الامّعات الخادمين • فكانت هذه الاحزاب ولا زالت القنطرة التي يعبر عليها الالحاد والاستبداد الى غاياته المشئومة •

وقد يوجد في هذه الأحزاب رجال لهم قلوب حية يؤذيها ما تشهد من كفر وانحراف ومظالم • لكن ما عساها تفعل ؟

إنها تخشى ما يقع بين الحين والحين من حركات التطهير التي تنكل بكل ذى رأي حر •

يقول «فكتور كرافتشنكو» [1] ــ وهو شيوعي روسي ــ بعد أن عاد من المزارع الجماعية وشاهد ما يعانيه فلاحوها من بأساء وضراء :

«بدأت في طوية نفسي ، وثنايا ضميري فكرة أن اعتزل الحزب ، فالمفازع التي شهدتها في الريف تركت في نفسي جروحا هيهات أن تندمل ••• !

---

(١) مهندس كبير ممن أقاموا الصناعة في الاتحاد السوفيتي وكان والده ممن اشتركوا في الحركة الثورية الشيوعية وأمضى شطرا كبيرا من عمره سجينا على عهد القياصرة . وقد بلغ « كرافتشنكو » مكانة مرموقة في روسيا الا أنه سئم العبودية الاجتماعية والسياسية التي تسود بلاده،وتبرم بالنفوذ الهائل الذي تملكه دائرة المخابرات السرية فانتهز فرصة ايفاده الى الولايات المتحدة في مهمة تجارية وقرر بعد انجازها الالتجاء الى حماية الرأي العام الامريكي . وكتب وصفا مسهبا للمآسي التي تسود بلاده تحت عنوان « آثرت الحرية ... » وعن هذا الكتاب اقتبسنا هذه الفقرات .

«ومع ذلك فلهذا السبب عينه آخذ عقلي الواعي يتلمس تلمس اليأس طريقا يهادن به ضميري • وما أحسب أن قد كان أمامي طريق آخر في ظروف تحتم عليك اذا أردت أن تعيش أن تذعن للأمر الواقع الذي لم يكن منه مهرب لهارب •••

«انه ليس في مقدور إنسان أن يترك الحزب حين يشاء ، بل ليس في مقدور إنسان أن يتراخى في نشاطه إزاء الحزب ، أو أن يبدي من الأمارات ما ينم عن ضعف ايمانه به •••

« فإذا ما التحق انسان بالحزب فقد وقع في الفخ إلى الأبد •

«نعم يجوز للحزب أن يطرده ويكون معنى ذلك أن تنزل به الكوارث، لكن ليس في وسعه هو أن يتنحى منشقا عليه •

« فلو كنت أظهرت ما يدور في صدري من عواطف على حقيقتها لكانت النتيجة إبعادي عن المدرسة ، ووصمي بالعار ، وتعقبي بألوان الاضطهاد !!! ••

« بل ربما كانت النتيجة المحتومة أن يزج بي في معسكرات الاعتقال أو ما هو شر من ذلك وبالا ••

« كان لزاما علي أن اكتم عواطفي بين جوانحي ••• كان لزاما علي أن أدسها دسا في أعماق فؤادي ، هذا الى ما بذلته جاهدا أن استعيد للحزب ولائي •

« فلئن كان ذلك ضرورة في الظروف المعتادة • لقد كان عندئذ أشد ضرورة لان حركة التطهير قد نشرت قلاعها للريح •

« عينت مئات من لجان التطهير ، ولم يكن ليمضي طويل وقت قبل أن تعقد تلك اللجان اجتماعاتها العلنية في المصانع والمكاتب ودور الحكومة والمعاهد ••

« وكان على كل شيوعي في البلاد أن يذعن لما يطالب به من محاكمة واعتراف •••

« واشتد شعورنا عندئذ بأننا محاطون من كل جانب بالعيون الرواصد والآذان المنصتة • تلك العيون والآذان التي تخفى عن النظر لكنك تحس وجودها في كل مكان •

« وكذلك اشتد شعورنا بالاضابير الضخمة التي سجلت في أوراقها دخائل حياتنا الخاصة ، ومكنون أفكارنا ، وبأعدائنا الذين قد ينتهزون الفرصة ، فيبرزون ما لنا من سقطات ، ما هو حقيقي منها وما هو من نسج الخيال ...

« كان السؤال الذي يسبق إلى ذهني والى ذهن كل شيوعي إذ ذاك هو هذا :

ترى هل تمضي عني موجة هذه المحنة سالما ؟

« هذا سؤال رن صداه في كل وجه من وجوه نشاطنا ، وفي كل عبارة من أحاديثنا ... لم نعد ندبر للمستقبل سبيلا فلا مستقبل هناك الا اذا اجتزنا في سلام تلك العقبة الكأداء .

ثم قال : « ... الشرط الأول لاحتفاظك بعضوية الحزب هو أن تكن للقادة ولاء لا ذبذبة فيه ، وأن يكون ولاؤك ناصعا لا تشوبه شائبة لـ « ستالين » بوجه خاص [1] .

« وانه ليكفي ان يشيع عنك فلان عن فلان تلميحا خفيفا يفيد «انحرافك» عن جادة الولاء الخالص لكي تورد مورد الهلاك .

« بل ان أخص خصائص الحياة الداخلية لمن وقع عليه التطهير ، وما يدور في رأسه من خواطر في كل الشئون كائنة ما كانت . مستهدف لهجمات الناس علانية دون أن يروا في ذلك ما يعاب .

« وكانت اجراءات التحقيق تحتوي على أفظع الفظائع التي عرفت في حمل المتهم على الاعتراف ، وفي جعله عرضة لشهادة الزور ، وفريسة لألوان التعذيب على أيدي الشيوعيين .

أما الفريسة القنيصة فقد كانت ترى ـ وقت المحاكمة ـ محنة رهيبة .

وأما النظارة فكانوا في أغلب الاحيان كأنما يشاهدون مسرحا لترويض الوحوش .

« وكان حضور هذه المحاكمات خلال أسابيع التطهير كلها الزاما

---

(١) كان ذلك على عهد «ستالين» قبل أن يهلك ويتولى «خروشوف» .

محتوما على كل من ينتمي للحزب ، وأما من ليسوا في الحـزب أعضاء فيغرونهم بالحضور بشتى وسائل التشجيع •

« ولم يكن أحد من الشيوعيين ليخطر قبل محاكمته بالتهم التي يكون في النية توجيهها اليه • فكانت هذه القلقلة أشد ما يحرج الصدر من عناصر المأسـاة •

« اذ كان عليك أن تتحسس طريقك في الظلام لتكون على أهبة لما عسى أن يفجأك من مباغتات فتستعرض ماضيك مرة بعد مرة متسائلا : ترى من أين يأتي الخطر ؟

« ألم يحدث مرة أنك أفرطت في الحديث ذات مساء منذ ثلاثة أعوام مدفوعا في حديثك بما بعثته روح الزمالة في نفسك من طمأنينة ؟

« فقد يكون واحد مـن هؤلاء الزملاء ــ الذين ركنت الى حسن طويتهم ــ وشى بك منبئا بما أفرطت به من ملاحظات» •

وطبيعي أن تكون ألوف الشرطة السرية والعلنية هي القوائم التي يعتمد عليها هذا النظام •

وتلك حال ينتفي معها الأمان وتتلاشى الطمأنينـة ! فنصف الأمة جاسوس على نصفها الآخر ! ويكفي أن يتنفس امرؤ بكلمة لا تعجب حتى تحسب عليه وربما كانت القاضية •• !!

وقد تستغل عثرة العاثر ، أو حاجة المحتاج ليكون عينا على من حوله وإلا ••• فالويل له •

جاء في كتاب : «آثرت الحرية» على لسان فتاة اعتقل أبوها وكان أستاذا كبيرا في الجامعة وكانت تريد زيارتـه • فقالـت لرئيس مكتب الشرطة :

« أرجوك أرجوك أن تأذن بزيارتي اياه فأنت انسان من البشر أيا ما كانت الحال ••• » •

ــ ليس من هنا ناس من البشر يا ••• بل هنا رعاة الثورة •

« •• ليس هنا مكان لعاطفة وما أدواتنا التي نقاتل بها اعداء الدولة سوى العذاب والموت •

« وخير لك ان تتبيني هذه الحقيقة عاجلا والشر في التسويف !!

سآذن لك برؤية أبيك على أساس واحد وهو أني أريد معونتك ، اذهبي الى السجن ففي طريقك اليه سأرسل أمري بذلك ، وفكري في الامر الذي أعرضه عليك ، ودعي عنك هذه البلاهة الحمقاء» •

« •• فساروا بي الى عنبر حيث كان أبي وحده في غرفة نقلوه اليها استعدادا لزيارتي ــ كان راقدا على سرير من الحديد ساكنا سكون الموت، وقد طالت له لحية بيضاء في هذه الشهور التي افترقنا خلالها ، لم يبق له من جسده الا جلد وعظام •

« ورأيت على جبهته وعلى صدغيه الغائرين أشرطة قبيحة من الجلد كما رأيت أربطة على أصابعه وذراعيه ••

« دنوت من سريره فلم يكن لديه من العافية مـا يعينه على ابتسامة الترحيب •• ولما أخذ في الحديث رأيت مـا راعني اذ رأيت أن أسنانـه الامامية قد خلعت عن فكه خلعا •

« قال بصوت منكسر : « لا تبكي يا ••• » وناداني بالاسم الذي كان يدللني به منذ طفولتي •

« لقد كنت قد أوصيت أن أتحدث في أمور عائلية وألا أعرج بالحديث على شئون السياسة ، لكن الحارس الذي صحبني هاله ما رأى فأدار وجهه عنا تلميحا لنا بأنه لن ينصت الى الحديث •

« وأشار أبي إلي بأصبعه أن أنحني إليه ، ثم همس في أذني «ها أنت ذي تشهدين حالي يا •••» !!

« لقد جعلوا يضربونني يوما بعد يوم فأداتهم هي التعذيب ••

« ومئات ممن سجنوا في الحجر المنفردة ها هنا يجلـدون بالقطائل المبتلة ولا يخلى بينهم وبين النوم اسابيع متوالية •

« أو هم يوضعون في غرف هي الجليد في بردها •

« لقد ضربوني في غير رحمة لأسمي لهم شركائي في المؤامرة • فماذا أقول ان لم تكن هناك مؤامرة ؟ لم يكن هناك مؤامرة الا في خيالهم الجامح انهم بمثابة من يرى اشباحا •

« لطالما تمنيت ان يكون هناك ما أعترف به ، ولقـد تذكرت أخطاء ليست بذات خطر واعترفت بها على انها ضرب من أفعال التخريب •

ما نسجت لهم بخيالي كان من السذاجة بحيث لم يستقم امام عقولهم.

« وفيم استرسالي معك في هـذا الحديث ؟ لقـد كنت سمعت عن الشرطة السرية وأساليبها لكن أسوأ ما كان يصوره لي خيالي لم يكن الى جانب الواقع شيئا مذكورا .

« ليس هؤلاء بشرا انما هم نفر من الشياطين ، أواه يا ابنتي ... ان ما صنعه هؤلاء الناس ... » .

★ ★

ان آراء الناس تختلف اختلافا كبيرا في الشئون الاجتماعية والسياسية، ولهذا الاختلاف سببه المعقول ، فان ما يصلح لقوم ربما لا يصلح لآخرين، وما يوائمهم في عصر قد يضايقهم في عصر آخر ...

واذا كانت القواعد العامة موضع اتفاق ــ في الغالب ــ فانه عند سرد التفاصيل ومعاناة التطبيق تنبت مشكلات جمة ، وتتفـاوت وجهات النظر في أسلوب حلها ..

إن أعضاء مجلس الادارة في مصنع أو مزرعة قد ينقسمون على أنفسهم في الحكم على ظروف العمل ومقادير الربح وغير ذلك .

والمهم أن هذه الاختلافات كلها عادية ، وهي اجتهـادات في تحري المصلحة ، أو محاولات لادراك الحقيقة ، وليس لأحد أولئك المختلفين أن يتملكه جنون الاعتداد برأيه ، فيتصور أنه هو وحده المصيب ، وبالتالي أنه وحده الذي ينفرد بالكلام ..

قد أفهم أن الوحي الالهي مصدر يقين جازم عند الأنبياء وأتباعهم ، ولكن الامور المقطوع بها في الدين محدودة معدودة ، وهي أمور ينتهي عندها الجدل لان الله قال كلمته الواضحة ..

أما أن بشرا ما ، أو جملة أناس على رأيه ، يعتنقون رأيا في الاصلاح ــ على زعمهم ــ ثم يحولون هذا الرأي الانساني العادي إلى عقيدة فوق النقاش والاعتراض ، فهذا ما لا يمكن قبوله أبدا ..

خصوصا إذا كان هذا الرأي يمس حاضر الناس وغدهم ، ويشتبك مع معايشهم وضمائرهم ظاهرا وباطنا ..

ان الشيوعية في أزهى صورها نظام ييسر العمل والعدل لجماهير العمال والفلاحين !!

فاذا جرب العمال والفلاحون هذا النظام فاكتووا به ، وقرروا الخلاص منه ، فبأي حق يفرض عليهم ؟

وما هذا الحماس والتعصب الشديدان لراي كشف العقلاء سوءه ، أو ضاقت الجماهير بأثره ؟

لماذا أقسر قسرا على اتباع «كارل ماركس» وهو في نظري حائر ضل الطريق ؟ !

لماذا يقال للتجار الذين كسدت سوقهم أو للفلاحين الذين نقصت ثمارهم : لا بد أن تتبعوا هذه الطريقة بعينها في التجارة والزراعة مهما كانت النتائج .. ؟

ان هذا التقديس الغريب لرأي واحد من الناس لا يقبل ؟

وهذه الرغبة المجنونة لقلة من «المفكرين» أن تفرض فكرها على العالم أجمع .. لا تعقل ؟؟

ولكن هكذا تريد الشيوعية أن تسير ،

إنها تسير على أنقاض حريات مهددة ، وحقوق مستباحة ، وأنين مكتوم للضمائر المقتولة والكرامات الضائعة !!

★ ★

إن التماس أسانيد عقلية للشيوعية وامتدادها جهد لا طائل وراءه ، فان الاسباب الكامنة وراء التعصب الشيوعي وقسوته نفسية لا فكرية ..

فالحرمان الأليم الذي يتعرض له البعض ، وتفاوت الفرص الذي يرتفع بأقدار ويطيش بأخرى ، هذا وذاك يخلقان ظروفا مادية ومعنوية ، منحرفة مدمرة تجعل أصحابها ينطلقون وقد تملكهم شعور جارف بضرورة التغيير الشامل لأحوال العالم كلها ..

ومما يعين على ذلك تبلد الضمير الديني ، وسكوته على المناكر الاجتماعية ، واشتغاله بنوع من الفقه يرضي الناس أكثر مما يرضي الله ، ويصون العاجلة أكثر مما يصون الآجلة ..

لقد فكرت يوما في التدين المسيحي الذي يسود الغرب ، والتدين

الاسلامي الذي يسود الشرق ، فوجدت نماذج التطبيق الشائعة تعمل ضد الدين لا معه .

في الغرب توجد أبشع صور الاستعمار ، والتفرقة العنصرية والمطامع البشرية .

وعندنا ؟ ان «الملك فاروقا» تولى الحكم بضع عشرة سنة ، وكذلك «الملك سعود» ، وقد خرج كلاهما من الحكم وهو يملك القناطير المقنطرة من المال ...

والغريب أن أحدهما لما أخرج لم يوجه إليه اتهام بأخذ مال الله او مال الناس ، وانما أخرج لعلل أخرى !! كأن التخوض في المال العام انطلاق في كلأ مباح ...

ان هذه الصور المخزية تورث كفرانا ومروقا ، ولعلها تشعل في قلوب الشيوعيين أحقادا لا يخبو لها ضرام ..

ومع انكارنا نحن لهذه المآثم ـ باسم الله ـ ومع أن صوتنا كان أجهر وأسبق في التحذير منها ومن عقباها ، إلا أن هذه الأخطاء لا تسوغ الانحراف إلى الشيوعية ، ولا تعطي التفكير الشيوعي شيئا من الوجاهة .

بل لقد ظهر من التطبيق العملي للشيوعية أن «لصوص السلطة» أخطر على البشرية من «لصوص الثروة» ... وأنه في ليل الاستبداد الطويل ـ حيث تسود الشيوعية ـ يفتك الحكم الفردي بالغالي والرخيص من حقوق الجماهير كما يذهب بأقدار العلماء وأصحاب الامتياز علـى الاجمال ...

ثم أين تكافؤ الفرص يوم يكون الحكم حكرا على حفنة من الرجال الذين وصلوا بطريقة ما الى رأس الهرم ؟

ان دسائس القصور القديمة تأخذ صورة أخرى في هذا الطراز من الحكم ، فلا عجب إذا انتقل رجل من منصب الوزارة الى السجن أو من منصب الرياسة الى البيت دون تدخل الجماهير أو مشورتها ..

ومع أن الشعب آخر من يعلم بهذه التقلبات فهي تتم باسمه !!

لقد بذل العالم تضحيات جسيمة حتى ظفر بالحريـات التي تحفظ حقوقه المادية والأدبية ، بيد انه ـ من غير عوض حقيقي ـ تـرك هذه الحريات كلها ، لعصابة من الرجال الذين زعموا لنفسهم العصمة أو القداسة

أو الولاية على الشعوب ، وهذا هو لباب النظام الشيوعي .

ان الانفراد بالسلطة شيء خطير جدا ، فان نشوة السلطة أعتى من نشوة الخمر ، وإذا كان المال الواسع يورث الطغيان فإن الاستبداد بالحكم يورث الجبروت والارهاب ..

وما أتعس أمة تلقي زمامها لفرد فذ يتصرف فيه كيف يشاء ، أو للجنة مغلقة تتداول الأمر بينها ، وتستوحي فيه أولا وآخرا مذهبا اعتنقته أو رأيا تشبثت بـه .

ومن هنا فان الحكم الفردي لا ينفك أبدا عن المعتقلات المزحومة ، والمحاكمات المزورة ، والأوامر المبهمة ، وسلسلة التعليمات التي تهبط من أعلى الى أدنى دون استبانة أو استشارة ...

فمن اعترض التنفيذ ، أو أبطأ فيه ، فالسجن منه قريب !! ..

ومن شمت منه رائحة انتفاض على المذهب أو شك في قادته الملهمين فالويل لـه !! ..

★ ★

بهذا النمط من القسوة والجبروت تسير الأمور هادئة دون معارضة أو نقد . والمدهش أن في روسيا دستورا يتحدث عن الحريات الدينية .

والواقع أن الحرية الشخصية كالحرية الدينية أقوال مسطورة لا مكان لها في مجتمع يقوم على فلسفة محدودة قوامها انكار الله ، وإشاعة كل شيء .

وأي محاولة لجعل الألوهية حقيقة في ميدان التربية والسلوك ، أو لجعل المال ملكا خاصا في ميدان العمل والانتاج لا تلقى إلا اراقة الدم ، وازهاق الروح .

ذلك بالنسبة إلى المبادىء .

ولكن القداسة سرعان ما تنتقل من المباديء إلى الاشخـاص الذين يمثلونها ويحرسونها .

وهنا تحل عباذة «الزعيم» أو «الحزب» مكانـا كبيرا في نفـوس الأتباع ..

فصاحب الحظوة هو الأكثر ملقا والأشد تفانيـا . أمـا أصحاب

الشخصيات المستقلة والأفكار المتحررة فمستقبلهم كالح ، ومكانتهم مهددة ويغلب أن تقودهم هذه الخصائص إلى المنافي والسجون •

ويقول الاستاذ الشيخ «عمر الاسكندري» تعليقا على نصوص دستور سنة ١٩٣٦ الذي يحكم روسيا الآن :

« الحقيقة أن «ستالين» صرح من باديء الأمر أن دستور سنة ١٩٣٦ وضع للمحافظة على دكتاتورية الطبقات العاملة وعلى مركز الحزب الشيوعي بصفته الموجه لسياسة الحكم » •

« بل ان الدستور نفسه نص على ان الحزب الشيوعي هو الأداة الموجهة للمنظمات الخاصة بالعمال من اجتماعية وحكومية وعلى أن حق الترشيح للانتخابات مقصور على المنظمات العامة للعمال وجمعياتهم ، والنقابات الصناعية والجمعيات التعاونية ، ومنظمات الحزب الشيوعي ، ومنظمات الشباب ، والجمعيات الثقافية •

« فكأن الدستور ضمن بذلك أن يكون كشف المرشحين للانتخابات من صنع الحزب الشيوعي ! والمنظمات الخاضعة لاشرافه •

فلا عجب بعد ذلك اذا رأينا أن القوانين تمر في مجلس السوفيت بدون مناقشة وبالاجماع !! ••

« فأين هذا كله من الديمقراطية ؟ وكيف يجوز لزعماء السوفيت أن يقولوا : إن هذا النظام هو أرقى درجات الديمقراطية ؟!

« تقول الفلسفة الشيوعية : إن دكتاتورية العمال هي أرقى أشكال الديمقراطية فان الدولة بناء على هذه الديمقراطية هي ملك لطبقة العمال •

« وحيث أنه لا يوجد بالبلاد سوى طبقة واحدة فلا داعي لغير حزب واحد يمثل النابهين من أبناء هذه الطبقة ويكون واجبه توجيه وتعليم الجماهير •••

« وفي خلال دور الانتقال الذي لم تتوافر فيه بعد أركان الشيوعية الكاملة للمجتمع ، وحيث ان الصعاب تكتنف البلاد من كل جانب من نقص في الموارد الى مناوأة من العناصر المعادية يجب أن يكون للدولة السيطرة التامة على جميع الشئون ولو اقتضى الأمر استعمال القوة •

« وما دام هذا هو الأساس فمآل جميع الحريات التي يكفلها الدستور حتما الى التدهور والفناء» •

ثم يقول : «والمشكلة الكبرى في النشر أو إبداء الرأي هي : إلى أي حد يجوز النقد ؟

« لقد كانت المدة من ١٩١٧ / ١٩٢٢ عهد تسامح كبير في ذلك فكثرت مهاجمة نظام الحكم وخشي اولو الأمر سوء العاقبة فصاروا من ذلك الحين يشترطون لحرية النقد أن يكون غير متعارض مع السياسة السوفيتية صراحة أو بطريق التعريض •

« وغالوا في ذلك حتى امتدت المراقبة إلى المؤلفات الأدبية والتاريخية والعلمية والفنية بل إلى الموسيقى والنحت والتصوير !! •••

« وصار أصحاب هذه الفنون عرضة للاتهامات السياسية الخطيرة •

« وقد ضحى بالكثيرين منهم في حركات التطهير التي أجريت عامي ١٩٣٦/١٩٣٧ •

« أما ما بقي من الانتقاد الحر فهو ما يعرف بالنقد الذاتي السوفيتي•

« وهو نقد تبيحه الحكومة وتشجعه ، بل ان حركته تدار من الحزب الشيوعي بغرض اذاعة المعلومات أو الدعاية ••

« ويتناول البحث في جزئيات سير العمل دون التعرض للسياسة العامة •

«واذا تعرض للمشروعات العامة كان الاعتراض بشأنها مقصورا على المزمع منها قبل اقراره ومتى تم اقراره أقفل باب الاعتراض •••

« أما الحرية الشخصية وحماية الفرد من الاجراءات الغير القانونية فقد نص عليها الدستور السوفيتي نصا صريحا وعدد الضمانات التي تكفلها• غير أن الباب مفتوح لتقييد كل ذلك في التنفيذ العملي بحجة أن سلامة الدولة أهم من سلامة الفرد •

« وهو المبدأ الذي جاهر به «لينين» منذ قيام الحكم الشيوعي إذ قال بصراحة : أيهما أفضل :

« الالقاء في السجن بعشرات أو مئات من المتهمين مذنبين كانوا أم غير مذنبين •• أم فقد آلاف من الجيش الأحمر والعمال ؟

« ولا شك أن الاول هو أفضل الامرين واني أرضى عن طيب خاطر أن أتهم بالخطيئة والاعتداء على الحرية في سبيل مصلحة العمال» •

« وقد مضت السنون بعد ذلك ، وقننت القوانين ، ونظمت المحاكم على اختلاف درجاتها ، وعينت إجراءات التحقيق ، وبذلت الجهود لجعلها كفيلة بقدر الامكان بحماية حرية الفرد ومنع العقوبة عن البريء •

« غير أن ذلك لم يحل دون الأخذ بجوهر المبدأ الآنف الذكر •

« وفي قانون العقوبات السوفيتي متسع لما يريده رجال الدولة في هذا الشأن •

« والمعروف في أرجاء العالم الحر أن لا جريمة بدون نص في القانون على ما يرتكب من الافعال لتكوين أركانها — بعكس الحال في القانون السوفيتي فانه يكفي فيه لاعتبار أمر ما جريمة أن يكون من شأنه أن يجر خطرا على الدولة أو نظام المجتمع ، وإن لم يكن في ذاته داخلا في عداد الجرائم المنصوص عليها في القانون •

« بل يكفي للقبض على الأشخاص واعتبارهم مصدر خطر اجتماعي أن يكونوا ممن سبق لهم اتصال بنشاط قديم قضي عليه وإن لم تكن هناك جريمة من هذا الجانب !!

« وقد كان للشيوعيين في أول عهدهم بالحكم هيئة حكومية يقال لها «الشيكا» ذات سلطة هائلة تخولها اجراء التفتيش والقبض وفرض العقوبات بدون الرجوع إلى الهيئات القضائية •

« ومع أن هذه الهيئة قد أستبدل بها غيرها مرتين وأنقص من أطراف سلطتها ، فان آخر هيئة خلفتها — وهي من فروع وزارة الداخلية — ما زالت لها سلطة واسعة تؤهلها في كثير من الحالات لاجراء التحقيقات وفرض العقوبات دون الرجوع الى القضاء •

« ومن أشهر هذه العقوبات الحكم بالاشغال الاجبارية في المعتقلات الخاصة بها لمدة خمس سنوات ، والابعاد الى الانحاء النائية لمدد معينة ، والنفي خارج الاتحاد السوفيتي» •

★ ★

ولنا ملاحظات على مجالات الحرية الضيقة التي يوفرها الشيوعيون

للأمة ولننظر اولا الى ما يسمونه النقد الذاتي •

انه حق يتصل بالوسائل لا بالاهداف • فاذا تقرر حفر ترعة فالنقد مباح لمنجزات العمل اليومي مثلا ، أو لطريقة الحفر ، أو لتوزيع الأعباء ••

وإذا تقرر بناء مصنع أو تشغيله ، فالنقد مباح في نطاق ما يتمم البناء بقوة ، وعلى عجل ، وما يدير الآلات بدقة ويكفل وفرة الانتاج ••

أي أن النقد مباح في الخطة التنفيذية فقط •

أما السؤال : ما قيمة شق الترعة وجدواها ـ ما قيمة انشاء المصنع وأرباحه فذلك لا يجوز لانه يتصل بسياسة الحكومة وهي فوق النقد •

وقد كان «فكتور كرافتشنكو» [1] شيوعيا مخلصا للحزب ومتحمسا لبناء روسيا الجديدة ، واستغل حينا هذا النقد الذاتي •

ولكنه ضرب وأهين وركل بالاقدام لانه توسع في هذا النقد وأباح لفكره أن يتساءل عن المقاصد والغايات •

ثم ان هذه الخطط التنفيذية التي أبيح نقدها نظريا كثيرا ما تكون من وضع الزعيم أو رجاله المقربين ، وهنا تنعقد الألسن عن النقد ، لأن ذلك يعرض الايمان للقيل والقال ، ويجعل ولاء المرء للحزب موضع ريبة ••!!

وحيث يسود الحكم الفردي يرتفع المداحون والمتملقون ، ويتأخر من لا يحسنون الزلفى ويخاصم من يضيقون بالأخطاء ••

ولقد ألفت عشرات الكتب في عظمة «ستالين» وعبقريته فلما انتهى تبين أن هؤلاء المؤلفين كذبة •

وفي الوقت الذي كان المدح يكال «لستالين» كان أنداده من رؤساء انجلترا وأمريكا يحاسبون على تصرفاتهم ببصر نافذ واحصاء شامل •

حتى أن الانكليز أخرجوا «تشرشل» قائدهم المظفر في الحرب ، أخرجوه من الحكم وولوا من رأوه أكفأ ••!!

فما قيمة هذا النقد الذاتي الذي أباحه الشيوعيون ، وكم يساوي بالنسبة للحرية العظيمة التي توفرت في أقطار الغرب •

ان الحرية لا تتجزأ ولا يجوز أن توضع حدود أمام حرية النقد •

---

(1) مؤلف كتاب : « آثرت الحرية » السابق ذكره .

لقد أعطى «هتلر» نفسه حق العمل الذي لا يعتــرض فماذا كانت العاقبة . ؟

هل حق النقد الذاتي لخطط التنفيذ أغنى شيئا عن العــوج الاصلي ؟ كــلا ...

وانتحر المغرور بعد ما جر شعبه للكارثة ، وبعد ما فقدت ألمانيا ملايين الشباب من زهرة بنيها ..

ان الشعوب لاتستغني عن حرية النقد الشامل ما دام النقد يعتمد على وجهة نظر ممكنة القبول ، وما دام مبرأ من الاغراض السيئة .

ويعتذر الشيوعيون بأن مصلحة الدولة وحماية العمال والفلاحين هما السبب في فرض هذا الكبت .

وتقول العذر الصحيح المقبول لهذا الكبت هو حماية الشيوعية نفسها وحماية القلة المتمسكة بها ..

فما من شك في أن الحريات المطلقة تقتلع هذا النظام من جذوره كما شرحنا آنفــا .

أما التمسح بالعمال والفلاحين فهذا لغو من الكـــلام . فان العمال والفلاحين هم الضحايا الأول للنظام الشيوعي .

ولو ملكوا أمرهم لاطاحوا به الى الابد .

وسنشرح أسباب ذلك في الفصل التالي .

الفصل الرابع

- **الطبقات الكادحة وما تعانيه**
- **الاقتصاد الشيوعي سبب العلة**
- **الاسلام يحمي حرية التملك وينقي مصادر الكسب**
- **سر بقاء الشيوعية حكم الشعب**
- **نظام السخرة واستعباد المسلمين فيه...**

الأحوال الاقتصادية في ظل الشيوعية

أهم ما يسترعي الانتباه في حديث الشيوعيين غضبهم الشديد للمظالم التي نزلت بالطبقات الكادحة من فلاحين وعمال • ووعودهم المعسولة بأنهم عندما يحكمون سيصنعون العجب لتنعيم هذه الطبقات وتكريمها •

وحكم الشيوعيون في روسيا والصين وبلاد أخرى فما الذي حدث ؟

ما سألت قادما من هذه الدول الحمراء ولا قرأت كتابا محايدا الا تبين لي أن العمال والفلاحين شر الناس عيشا وأسوؤهم حالا ••

وأنهم يحيون دون أندادهم في البلاد الاخرى •

ومن المؤكد أن الشيوعيين قسمان :

١ ـ أعضاء الحزب وقادته والمتعاونون معهم من الموظفين والعلماء وأهل الفن وغيرهم وهؤلاء ينعمون بدخول مرتفعة وتتاح لهم فرص واسعة من المتع والرفاهية •

٢ ـ جماهير الفلاحين في المزارع الجماعية ، والعمال في المصانع المؤممة ، وهؤلاء يبذلون أضعاف ما يكسبون ولا يرون في مساكنهم الا الضيق أو في مطاعمهم إلا التفاهة ، أو في ملابسهم إلا الخشونة !!

وأحوالهم على الاجمال يتقسمها الاجهاد والاكتئاب •

وقرأت أن آباءهم أيام القياصرة كانوا أسعد حظوظا وأرغد عيشة •

وقائل هذا الكلام والد «فكتور كرافتشنكو» الذي قاتل القيصرية

وحبس في سجونها طويلا لنقمته على عهدها •

فلما هلك «القيصر الابيض» وخلفه «القيصر الأحمر» كان الرجل الثائر يدير عينيه في ذل الفلاحين والعمال ، ثم يطوي نفسه على الانكار والحزن ولو كان عربيا لتمثل بقول الشاعر :

ربَّ يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه •••

وسألت طلابا وأساتذة زاروا دولا شيوعية كثيرة فاتفقت اجاباتهم على أن الضنك هو الطابع السائد على الجماهير • وقالوا : لو أن أشد المتحمسين للشيوعية عندنا خبر دخائل الناس هناك ، واقترب من شئونهم الماسة لكفر بهذا المذهب الى الابد •• !!

لقد حكمت الشيوعية روسيا نصف قرن الآن ، ولى خلالــه جيل ، وترعرع جيل ، وتاح لها من الوقت والمال ما تبني به العالم الذي تريد •••

فهل تقدر على اجراء انتخابات حرة ؟ يقول الناس فيها كلمتهم ضد هذا النظام أو معه ؟

كلا •• لا تزال الحكومة تفرض نفسها بالقوانين القاسية والاوامر العسكرية وهي توقن بزوالها من الوجود لو تم الاحتكام الى مشيئة العمال والفلاحين •••

فهل معنى هذا أن العمال والفلاحين سعداء ؟

ومما لا يستحى من ذكره أن الأسر الروسية التي تجيء للعمل في مصر تشعر بسرور كبير • وتقف المرأة أمام بائع البقول والخضر والفاكهة وهي دهشــة !

أهذا كله معروض للبيع دون حرج ؟

أتستطيع أن تشتري منه ما تشاء دون قيد ؟

فلا غرو اذا سمن النحيف وطعم المحروم •

وكثيرا ما سمعت التنويه بخيرات مصر ورخائها الذي يحلم به جمهور الشيوعيين في بلادهم ذات الطول والعرض •

مع أن مصر الآن تجتاز مرحلة تقشف بسبب تنمية الصناعة وتقوية الجيش •

ومع ان مصر بلاد فقيرة بالنسبة الى بلاد أخرى ثرة الموارد •

والاخبار تتواتر لدينا عن الفروق الشاسعة بين شطري ألمانيا الشيوعي والرأسمالي ، فألمانيا الشرقية يغمرها البؤس والتطلع • أما ألمانيا الغربيةفهي متخمة بالثراء والنعيم •••

والألمان هنا وهناك إخوة لا يختلفون في المواهبالفكرية والخصائص النفسية • لكن طبيعة الفكر الشيوعي وخطته في الانتاج علة هذا التفاوت•

ولعل من أعظم الامثلة لقيمة الاقتصاد الشيوعي وغير الشيوعي حالة روسيا وألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية •

فان الروس الذين يبلغون نحو مائتي مليـون ، والذين يسكنون ويستغلون سدس الارض مشوا تحت لواء الشيوعية من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٤٠ وملأوا الدنيا أحاديث عن مشروعـات السنوات الخمس التي جعلتهم عمالقة في السلم والحرب •

فلما وقع الغزو الألماني لروسيا تكشف ذلك كله عن فراغ رهيب ••

وماذا كانت ألمانيا ؟ لقد خرجت من الحرب الأولى مجردة من سلاحها ومصانعها ومناجمها •

وفي سنة ١٩٣٣ تولى هتلر شئونها ، وخلال ست سنوات أو سبـع كانت ألمانيا أقوى دولة في القارة !!••

والألمان ربع الروس عددا ، وأرضهم أضيق رقعة ، وعمر نهضتهم أقل إلى حد الثلث من عمر النهضة الحمراء !

ومع ذلك كله فقد انطلق الغزاة الألمان في أحشاء روسيا لا يقف لهم شـيء •

ولولا مسارعة أمريكا وسائر أوروبا إلى إنقاذ الروس لبادوا •

إن العون الرأسمالي الذي تدفق سيلا لا انقطاع لههو الذي رد الحياة إلى الروس، ومكنهم من استنقاذ أنفسهم وبلادهم •

أما ما فعله النظام الشيوعي فكان مجموعة أكاذيب فضحها الواقع •

ولنقرأ هذا الكلام في تصوير مقابح الادارة الشيوعية للاقتصـاد الروسي [١] : « خرجت الحكومة السوفيتية من انتصارهـا في الحـرب

---

(١) عن كتاب «طريق الى فهم الاتحاد السـوفيتي» «لوليم س• بوليت»

الأهلية وهي متحكمة في منطقة مترامية تبلغ مساحتها سدس العالم ،غنية بالمعادن ، وتضم بلادا تجود فيها الزراعة ويسكنها : «١٦٩» شعبا وقبيلة من أهل البأس والقوة ، ولكن الحرب العالمية الأولى ، والثورة الشيوعية، والحرب الأهلية أوقعت الاضطراب والانحلال بالنظام الاقتصادي كله في هذه الامبراطورية المترامية الأطراف ، ووقع على عاتق «لنين» عبء جسيم هو اعادة تعمير بلاده ، اذ هبط الانتاج الصناعي في ١٩٢٠ الى ثمن ما كان عليه في ١٩١٣ ، كما قل محصول الحبوب من ٧٤ مليون طن في ١٩١٦ الى ٣٠ مليونا في ١٩١٩ فاضطر لينين أن يبتدع سياسة اقتصادية جديدة تبين فيها التراجع عن السياسة الشيوعية التي طبقت في ١٩١٧ ، اذ كانت الحكومة السوفيتية تستولي من الفلاحين على محاصيل الحبوب وتترك لهم منها مقادير ضئيلة لطعامهم ، فامتنع الفلاحون عن انتاج ما يزيد عن حاجتهم، وأراد «لنين» تشجيع الفلاحين ، فأمر أن يباح لهم بيع مايبقى لديهم من المحاصيل في السوق الداخلية ، بعد ان تستولي الحكومة على حصتها . واحتفظت الحكومة السوفيتية بحق احتكار التجارة الخارجية ، وأنشأت نظاما لتجميع المصانع في وحدات تخضع لاشرافها ، كما أبقت في يدها حق الاشراف على المصانع ذات الانتاج الضخم ، وأذنت للأفراد بتملك بعض المصانع الصغيرة وادارتها ، ومنحت امتيازات لرؤوس الأموال الاجنبية .

«ولكن هذه التدابير لم تكن إلا وسائل مؤقتة لزيادة الانتاج،وحسبها كثير من الأجانب دليلا على عودة روسيا الى النظام الرأسمالي ، في حين أنها عند لنين وغيره من الزعماء ، ضرب من التحول الحكيم عن تدبير يمكنهم أن يعودوا اليه فيما بعد . وقد بلغ من نجاح السياسة الاقتصادية الجديدة أن توالى ازدياد الانتاج الصناعي والزراعي فبلغ في ١٩٢٧ مستوى ١٩١٣ في عهد القيصر . فقرر ستالين أن قد آن أوان شن هجوم على الجبهة الداخلية لفرض نظام المزارع المشتركة وبسط اشراف الحكومة على الانتاج الصناعي وتقدمه في الاتحاد السوفيتي ، طبقا لبرنامج السنوات الخمس .

« وليس يتأتى لأحد إلا لديكتاتور لديه بوليس سري وفرق للاعدام، أن يفرض على شعب ، مهما بلغ صبره ، احتمال الآلام التي جرتها هذه السياسة ، والحكومات الديموقراطية واجبها أن تكفل للناخبين مستوى

معيشة كريمة وإلا هزمت في الانتخابات ، أما الديكتاتورية فتستطيع أن تنزل الشعب الى مستوى منخفض وتنتفع كما تشاء بانتاجه ، ولا تترك له منه إلا أقل قدر يعينه على الحياة •

واختار «ستالين» أن يتحول الانتاج من البضائع المستهلكة ، وهي مطلب الفلاحين ، إلى الصناعات اللازمة للحرب ، فانخفض إنتاج البضائع المستهلكة إلى الحد الأدنى ، ووظفت أموال وافرة في إنشاء مصانع الحديد والصلب والأسلحة والذخائر • وبرامج السنوات الخمس التي وضعها «ستالين» هي التي أوحت إلى «جورنج» بقوله فيما بعد : «نريد مدافع بدلا من الزبد» •

« وتتابعت برامج السنوات الخمس ، وانقلب الاتحاد السوفيتي من دولة سواد سكانها من المزارعين إلى دولة لا يشتغل بالزراعة فيها إلا نصف سكانها • وأفضى نظام المزارع المشتركة إلى اختفاء ملايين من المزارع الصغيرة التي كانت أبرز مظاهر الحياة الروسية ، وجمعت تلك المزارع وصارت وحدات كبيرة •

« وقد رضي بعض الفلاحين ممن اشتد بهم الفقر عن هذا النظام ، أما من حسن حاله منهم فقد كرهه وعارضه ، وكان أغلب أفراد الفئة الأخيرة جنودا في الجيش الأحمر أثناء الحرب الأهلية ، فلم ينفعهم سابق ولائهم ، وأطلق عليهم ، تحقيرا إسم «الكولاك» ، وصودرت مزارعهم وكل ما يملكونه ، فإذا بدر منهم اعتراض — وهذا ما فعلته الملايين منهم — قتلوا رميا بالرصاص أو أرسلوا للسخرة في سيبيريا •

« وكانت أول نتيجة لهذا الهجوم على الجبهة الداخلية ، أن تفشت المجاعة ، وهبط عدد الخيول من ٣٤ مليونا في ١٩٢٩ إلى ١٦ مليونا في ١٩٣٣ والبقر من ٦٨ مليونا الى ٣٨ مليونا ، والغنم والماعز من ١٤٧ مليونا الى ٥٠ مليونا والخنازير من ٢٠ مليونا إلى ١٢ مليونا واستولت الحكومة في شتاء سنة ١٩٣٢ — ١٩٣٣ من أوكرانيا وكوبان، رغم احتجاج الفلاحين ، على مقدار من الحبوب بلغ من وفرته أن مات من أهل الاقليمين عدد يتراوح بين ثلاثة ملايين وخمسة ملايين ، من جراء المجاعة التي أحكمت الحكومة تنظيمها ، ولكن ستالين استطاع بهذا الثمن الفادح أن يفرض نظام الملكيات

الزراعية المشتركة • ولم يبق في روسيا منذ ١٩٣٩ فلاح ينعم باستقلاله الخاص •

« وهكذا اختفت من روسيا كافة آثار السياسة الاقتصادية التي وضعها لنين • وقال ستالين في ١٩٣٩ : «لقد هلك المستغلون ولم يبق أحد ممن ينبغي القضاء عليهم» ومع ذلك ظلت الحكومة محتفظة للبوليس السري السياسي بمستوى رفيع من القوة والعدة والعدد ،لم تبلغههيئة الأوبريكينا في أيام إيفان المخيف ، والتي عرفت باسم «التشيكا» في عهد لنين • ثم باسم «الأوجينو» وهي تسمى اليوم «نيكفيدا» لقد غيرت اسماؤها ولكن طبيعتها لم تتغير • فعليها اليوم أن تتشمم خصوم الديكتاتورية تستأصلهم وبغير رحمة ، فأذنها تسترق السمع في كل مكان ، ويعيش كل روسي في رهبة من الساعة التي يسمع فيها يدها تدق بابه ليلا • ويأتمر بأمرها جيش يبلغ ربع مليون ، وأفراده أحسن أجرا ومسكنا وطعاما من جنود الجيش الأحمر ، وله مدافعه وطائراته وسجونه وأقبيته لتنفيذ الاعدام ، وفي ١٩٣٧ بلغت ميزانيته ٣ بلايين روبل ، ولا نعلم اليوم أين بلغت هذه الميزانية ، ولكن الأنباء تدل على أن جيش النكفيدا قد أصبح تعداده ٦٠٠ ألف» •

★ ★

ولعل قائلا يقول : لو كان الروس يكرهون الشيوعية كما تزعم ما استماتوا في رد العدوان عن بلادهم على هذا النحو المعجب الكريم !!

والجواب : ان سياسة «هتلر» هي التي خلقت هذا الموقف •

كانت سياسته الذبح والدمار ، والابادة الشاملة • فلم يكن أمام الروس إلا أن يتكاتفوا ضد هذا الفناء المغير •••!!

ولو كان الرجل يؤمن بكرامة البشر ، وتحرير العبيد ، وحق الشعوب الأخرى أن تشارك شعبه الحرية والمساواة ورغد العيش ، لكان الروس الآن شيئا آخر •

إن النظام الشيوعي يضعف الانتاج بقدر ما يحرج المنتجين •

إنه يوهي العمل والعمال جميعا لأنه يقتل مبدأ الملكية ، ويشل غرائز الكفاح التي غرسها الله في دماء الناس •

والدين في فجر الخليقة أباح التملك ، وصانه ، وشد به زناد النشاط الانساني ، إلى أبعد مدى •

لكن الشيوعية تصادر حرية التدين والتملك معا ، يقول الاستاذ الشيخ «محمد عرفه» (١) : «مقاصد الشيوعية العليا هي إلغاء الملكية الفردية ، وجعل المرافق العامة كالأرض والمناجم والمصانع ملكا للدولة تستغلها وتوزعها ••

« •• تستغلها بالشعب ، وتوزعها عليه ، فيبذل كل من العمل حسب قدرته ويأخذ كل من الغلة حسب حاجته •

« وذلك يستتبع اضعاف المنافسة في الصناعة وأبواب العمل الاخرى•

« وانما عمدوا الى ذلك كله لأنهم رأوا تفاوت الأرزاق واختلاف الحظوظ ، فهذا يملك الكثير وهذا يملك القليل او لا يملك شيئا •

« فقدروا نظاما تلغى فيه الملكية الفردية ، وتوسلوا الى ذلك بالوسائل التي ذكرنا •

« والاسلام يبغض نظام الطبقات المتفاوتة الشديدة التفاوت ، ويرفض ان تنقسم الامة الى قسمين :

« الثراء والجاه والقوة والترف في جانب ، والفقر والضعف والحرمان في جانب آخر •

« ولكنه لم يشأ أن يحارب ذلك بمنع الملكية الفردية ، وإهدار المصلحة الشخصية ، لأنه إذا فعل ذلك فقد ألغى الأمل وألغى بالغائه البواعث على العمل •

« وقد أوجد الله هذه النزعات في الشخص لينتج وينافس ويسبق •

« ثم هو لا يناله بعد طول الجهد الا ما ينال الانسان الجزئي المحدود القدرة والرغبات والشهوات •

« وفائض انتاجه يكون للمجتمع بحكم طبيعة الوجود ، فليس يأكل أكبر رجال المال في سبعة بطون بل في بطن واحد كسائر الناس •

---

(١) من كتابه « الاسلام أم الشيوعية » بتصرف يسير •

« وما يبذله من اختراع وابتكار وجهد مضن ليست ثمراته كلها له ، بل له منها القليل والباقي لأمته وللانسانية ..!!

« ان مثل الشيوعية في تحريم الملكية الشخصية لما تنتجه من بعض الضرر ، كمثل من رأى العين قد تنظر الى ما لا يحل فتجلب لصاحبها الهوى فكره قوة الأبصار فطلب إعدامها وحرمان الناس إياها !

« يظن الأبله أن العمى خير لان المبصر قد ينظر الى ما لا يجوز .. !!

« أما الاسلام فيرى أن في هذه القوى والملكات خيرا كثيرا فاذا نتج عنها ضرر عولج مع مراعاة الابقاء عليها والافادة منها ..

« ثم إن الشيوعية نظرت إلى المسألة الاقتصادية فقط وأخذت تعالجها، غافلة عن كل شيء غيرها ، كأن الوجود لا يعدو هذا الجسد ..

« ومن المعلوم أن الانسان ليس حيوانا فحسب ، بل هو حيوان عاقل له مطالبه الروحية ، ونزعاته العقلية ، وله أشواق مشروعة في المحافظة على نوعه والعناية بولده ...

« فعقله يحتاج إلى الحرية لينتج ويبتكر ، والمصلحة الشخصية تدفع إلى المنافسة ومضاعفة الانتاج وتقدم النوع البشري ...!!

« ومثل من يعالج جزءا من البدن غافلا عن بقية الأجزاء كطبيب يعالج جزءا مريضا فيفرط فيما يفيده ، غافلا عن أن ذلك يضر ببقية أجزاء الجسم .

« أما الاسلام فقد عالج المسألة الاقتصادية دون أن يفرط فيما عداها من المشاكل ..

« ونظر إلى حال الانسان ومستقبله ، وإلى طبيعة الوجود التي تقتضي الترقي في سباق مفتوح ، لا تزحمه العوائق المفتعلة ...

« أطلقوا هذه الملكات ، والنوازع ، والبواعث من مكامنها ، ودعوها تفعل فعلها ، ففي ذلك تقدم البشر وسير مواكب العالم نحو الرقي كما هو سير التاريخ .

« وحذار أن تلغوها أو تبطلوها فتبطلوا الحكمة من وجودها ،فقد جعلها الله وسيلة للكمال وجعل فيها حظ صاحبها لئلا يفتر .

« كما جعل في الاقتران بين الرجل والمرأة وسيلة لبقاء النوع وجعل

فيه حظ الزوجين لئلا يعرضا أو يفترا ، فتفـوت مصلحة بقـاء النـوع الانسـاني •

« لقد أجاز الاسلام التملك الفردي ، وشرع الميراث نتيجـة لـه ، وحافظ على الأملاك حتى جعل على السارق اذا تعدى وسرق مال غيره عقوبة قطع اليد [1] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من قتل دون ماله فهـو شهيـد» •

« أما تولي الدولة الانتاج والتوزيع فقد جربناه في تاريخنا الماضي أيام محمد علي باشا الكبير حين احتكر الزراعة ونزع الأرض ممن كانت تحت أيديهم ، وكان يعطي الفلاحين البذور والماشية ليزرعوها لقاء أجر يأخذونه من غلتها ، فأدى ذلك إلى أن الزراع كانوا يهربون مـن الأرض ، وقل الانتاج ، وكثرت نفقاته ، ولم يحمد هذا الاحتكار في الزراعـة والتجارة ، وعاد الامر الى الملكية الفردية تدريجيا في أيامه وأيام الولاة من بعده •

« وقد رأينا الاملاك الأميرية قديما والدولة تتولى انتاجها •

« ولعلنا نكون قد رأيناها تنتج أقل ثمرة بأكثر نفقة •

« ولعلنا سمعنا أخبار تعسف القائمين عليهـا واستبدادهم بالأجـراء والفلاحين •

« ولعله لم تغب عنا أخبار الحرب العالمية الثانية حين تولـت الدولة توزيع الطعام والكساء فرأينا الاتجار فيها كيف يكون !

« ورأينا من التجار من يأخذ آلاف القناطير من السكـر ليعمل بهـا الحلوى فيبيعها بثمن غال في السوق السوداء لمن هم في حاجـة شديدة اليهـا •

ورأينا من يملك عشرات البطاقات لشراء الصوف فيتجر فيها ومن لا يملك بطاقة واحدة •

« ورأينا من يأخذ ستين مقطعا من الاقمشة الشعبية وبجانبـه من لا يستطيع الحصول على الامتار •

---

(١) اشارة الى آية المائدة (٣٨) : «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله . والله عزيز حكيم » .

ولقد كنا نوازن بين أن تترك العوامل الاقتصادية تسير سيرها وتفعل فعلها ، وبين أن تقيد وتعطى الدولة هذه السلطات الكثيرة فنـرى الأولى خيرا ورحمة ، والثانية شرا ونقمة •

« فهل نريد أن يحكم أفراد منا في طعامنا وشرابنا وكسائنا وسكنانا ؟

« إننا نريد أن ينحصر سلطان [1] الدولة الى أضيق الحدود ولا نريد أن نعطيها هذا السلطان المطلق ، وهذا التدخل في كل شيء ، فقد جربناه فلم نحمده •

« إننا اذا قلنا ذلك قالوا الاخلاق ! ويجب أن يكون عمال الدولة من ذوي الاخلاق الفاضلة •

« ونقول : ولماذا نكون طلقاء فتلجئونا إلى أن نقيد ؟ فاذا أشفقنا من القيد وثقله ، قلتم إننا سنعمل على أن يكون قيدا من ذهب •

« على أننا سنجاريكم ، ونأخذ بالحيطة ، ونرى أنه ينبغي أن نقدم أولا تهذيب القائمين بالامر ، وتكون هذه هي المرتبة الأولى • ثم ننظر ثانيا في تسليط الدولة على كل المرافق •

« أذلك يجدي ؟ كلا ! •••

« فان طبيعة العمل المشترك تدعو إلى التساند والتواكـل ، وطبيعة اتساع نطاق سلطة الحكومة على الأفراد تدعو إلى التعدي والظلم •

« إننا نحسب أن الذين يغريهم برق الشيوعية الخلب ، يفرض كل واحد منهم أنه سينال حاجته بأقل سعي ممكن ، ويفرض أنه يهرب مـن الحمل ويحمله الآخرون •

« فيكون مثلهم مثل أهل البلد الذين أرادوا أن يقدمـوا لحاكمهم الجديد هدية برميلا من زيت ، وجعلوا على كل واحد منهم قدحـا منه ، فخطر لعمدة البلد أن يقدم قدحا من ماء ، وهو لن يعرف في وسط هـذه

---

(1) نحن نرى ان المصلحة قد تقضي بتأميم المرافق العامة ، والاحزاب الاشتراكية في دول الغرب الحرة تضع ذلك بين برامجها ، وذلـك شيء غـير فرض الشيوعية على الامم . فان الحريـات الواسعـة حيث تبقى الكرامـة الانسـانية بالدين . والشورى تصون المال العام وتدعم الحوافز الخاصة. ومن الممكن بالنقد المتاح والضمير الحي تلافي سيطرة الحكومة على هذه المرافق

الاقداح الكثيرة من الزيت فنفذ فكرته ..

« ولما قدم الهدية إلى الحاكم وفتحها . وجدها برميلا من الماء . لا نقطة فيه من الزيت إذ هذه الفكرة لم تدر بخلد العمدة وحده . بل دارت بخلد الجميع .

« ونحن إذا أرخنا الحضارة الحديثة . وبحثنا عن أصولها وأسباب ازدهارها . وجدنا سر هذا الرقي الانساني الجهد الذاتي الذي يدعو الى الامل ، والحرية في الاختيار ، ورفع سلطة الحكومة عن الافراد إلا في حدود ضيقة ...

« لماذا نترك هذا النظام إلى نظام آخر تختفي فيه المنافسة . والجهد الذاتي ، والحرية الشخصية ، وتتدخل فيه الحكومة في كل شيء .

« فليت شعري أنترك ما تحقق نفعه إلى ما لم يعلم نفعه ؟!

« أنترك هذا النظام الذي من آثاره ذلكم التقدم الانساني الرائع في الزراعة ، والصناعة . والتجارة ، والعلوم ، والمعارف ، والذي بدل الأرض غير الأرض . إلى نظام أقل ما فيه أنه مجهولة نتائجة ، بل إذا اهتدينا فيه بهدى العلم علمنا أنه يميت في المرء الهمة الذاتية ، والجهد المستمر ، وتلك آثار داعية الى التقهقر والانحطاط .

« ما من شيء يضطرنا إلى اعتناق الشيوعية ، لأنه ما من شيء يضطرنا إلى المجازفة بمستقبل الانسانية .

« وما من شيء يضطرنا إلى الرجوع بالانسانية الى عهود التأخر والانحطاط .

«نعم لا شيء إلا ما يسمونه رفع الحيف عن العمال والزراع ، ومحاربة نظام الطبقات .

«وهذا يمكن علاجه حيثما وجد بوسائل تبقي المنافسة، والجهد الذاتي والحرية الشخصية ، وتزيل عن الفقراء كل الأضرار التي يشكون منها كما فعل ذلك الاسلام ..» .

★ ★

ونحن نحس أن الحوافز الشخصية قوة تيسر الصعب ، وتورث الجرأة، وتحتال على إزاحة العوائق وتصبر على بعد الغاية والتواء المراحل .

إنه لولا عرام الغريزة الجنسية ، وعظم الطاقة الكامنة فيها لانقرض الجنس البشري . فان بقاء هذا الجنس لا يمكن لو كان مرتبطا بالمشاعر الفاترة أو الافكار العقلية . أو المكافآت التشجيعية .

ونماء الحياة وارتقاؤها يرتبطان ارتباطا وثيقا بغرائز حب النفس والولد ورغبة التفوق والتسلك .

وهي طبائع بناءة بعد ضبطها وتهذيبها ...

وشرائع الله لعباده لم تسحق هذه الطبائع ولم تدع إلى إماتتها . وانما راقبت مسيرها . وحددت وجهتها . وتدخلت بالمحو والاثبات في مقاصدها وأهدافهـــا .

وكان المفروض أن تموت الشيوعية في مهدها بعد ما صـــادرت مبدأ الملكية الخاصة في أعقاب مصادرتها للدين نفسه .

ولكن الأسلوب الذي فرضت به الشيوعية نفسها . وفر لهـــا الحياة والتقدم من ناحية أخرى .

فمبدأ «من لا يعمل لا يأكل» جعل العمل إلزاما على كل مخلـــوق ، ذكرا كان أم أنثى ...

ثم إن المرء قد يدفعه الخوف المزعج كما يدفعه الشوق المقلق .

وقد استطاع الشيوعيون إقامة نظام بالغ الرهبة شديد الصرامة ،يجعل الناس ليلا ونهارا في شغل شاغل ونصب دائم .

وربما أعطيت المجتمعات الرأسمالية رذائل الفراغ والعطل . وضياع الأوقات والطاقات سدى .

أما هؤلاء الشيوعيون فبلادهم خلايا دائبة الحركة . موصولة الطنين، قد أصبحوا فيها آلات حيوانية . أو حيوانات آلية ...

ومثل هذا النشاط يغطي عيوب النظام . ولو إلى حين . !

لكن هل اختفى تفاوت الطبقات ؟ أو بعبارة أخرى هل جمهور الامة سعيد بعد ما زالت الثروات الكبيرة وأصحابها ؟

والجواب : كلا كلا . فدائرة البؤس في ظل الاقطاعيين بقيت كما هي أو انداحت أطرافها ...!!!

فمدير المزرعة أو المصنع حل محل مالك الأرض ، أو صاحب الشركة.

والعصا التي كان يساق بها العامل أو الفلاح تغير اسمهـا فقط • أو تغيرت الذراع التي تبطش بها •

ترى هل ذلك يغير من وقعها ولذعها ؟

★ ★

لقد كان من الأقدار الحسنة أن يقع في يدي وأنا أخط هذه السطور كتاب يتضمن رأي الكاتب الفرنسي «آندريه جيد» في الشيوعية •

وقد كان هذا الكاتب أول أمره شديد الحماس للشيوعية قوي الأمل في مستقبلها • فاستدعاه الروس ليطلعوه على أحوال بلادهـم ومظـاهر النهضة فيها ليزداد ايمانا بها •

وذهب الرجل إلى روسيا وشاهد ما ظهر وما خفي من احوالهـا . ثم قفل كافرا بالشيوعية ، ومنددا بسياستها الاجتماعية ••!!

وهذا الكاتب لا يهتم بقضايا الايمان ، ولا يعنيه أن ينتصر الدين أو ينكسر ، **إنما يعنيه أمر الانسانية في حاضرها ومستقبلها على هذا التراب** فقط ، ويغلب على ظني أنه وجودي ••

وما أبهت لكلامه إلا لأنه روى بأمانة ما رأى ، وأحس العيوب الجسام التي يحاول الشيوعيون سترها . ثم تحدث عنها دون وجل . أو دون تأثر بإكرام الروس لشخصه !!

وقد طعن الشيوعيون في نقده ونسبوه إلى الهوى ، بيد أنه ينفـي ذلك فيقول :

« أعتقد انه من الخير للقضية التي يمثلها الاتحـاد السوفيتـي أن أتحدث عنه بغير تكلف ولا ادعاء . ولا غمط ولا اعتداء •••

« وليس في نفسي شخصيا ما أشكو منه خلال رحلتـي في بلاده ، رغم كل تلك التعليلات الناقمة الساخطة التي انتحلت فيما بعد لتفنيد مـا قلته ، وتسفيه ما نشرته . ورغم قولهم إن انتقادي إنما جاء نتيجة استيـاء شخصي وتذمر خاص ••

« وهو قول جد سخيف ، وأبعد ما يكون من الواقع . فلم أتنقـل يوما في حياتي بذلك الترف الذي أحاط بي في روسيا . ولا كنت يومـا أوفر متعة ، وأكثر تكريما •

« ففي كل مكان وجدت آفخم السيارات لمركبي . وإذا سافرت في القطار خصصت مركبة لمنزلي . وأفردت لي الفنادق أبدع الحجرات،وقدمت لي أطيب المآكل والوجبات .

« ولم يكن ـ على طول المدى ـ يقدم لي إلا ما هو أبدع وأفخم وأطيب .

« ولله أي استقبال كنت في كل موضع أجده ؟ وأية حفاوة تلك التي لقيتها أينما نزلت ! لقد كنت أبدا موضع التكريم والترحاب ، وكان القوم يرون كل هذا قليلا في حقي ، ويسيرا لمثلي .

« حتى لقد عدت وأنا حافل الذاكرة بآيات الحفاوة التي شهدتها والخطوات التي ظفرت بها .

« ولكنها مع ذلك ظلت تذكرني أبدا بالامتيازات والفوارق التي كنت أرجو أن أرى «المساواة» في مكانها ، والمعدلة قد حلت في روسيا محلها .. !

« وحين هربت من كبار الموظفين ، ومضيت اختلط بالعمال تبين لي أن آكثرهم يعيشون في أبشع صنوف الفاقة ، في الوقت الذي كنت أجلس فيه الى مأدبة فاخرة كل ليلة . وأرى الخوان حافلا بالأطايب ، ومختلف المشهيات ..

« حتى لتكفي هذه المشهيات لاشباع النفس قبل أن يبدأ الطعام ذاته !

« .. وهو عشاء من ستة ألوان منوعة . يستغرق المرء في الجلوس اليها عدة ساعات . ولم أترك مرة واحدة حرا أدفع قائمة الحساب .

« وليس في امكاني أن أقدر نفقات هذه المآدب . ولكن صديقا لي أوتي علم الاسعار في روسيا آنبأني أن الشخص الواحد في هذه الولائم يكلف مائتي روبل أو ثلثمائة ، بينما كان العامل الواحد من العمال الذين لقيتهم لا يتقاضى من الأجور أكثر من روبلات في اليوم ، وهو القانع بالخبز الأسود والسمك المجفف .

« وكان اعجابي موجها بنوع خاص في روسيا إلى الانبعاث غيرالمألوف نحو التعليم والثقافة . ولكن المحزن أن التعليم الذي يتلقاه الشعب لا

يتعدى تلقينه الزهو والتفاخر بالحاضر .والايمان المطلق بالاتحاد السوفيتي.
وأن الثقافة انما ترمي إلى هدف واحد هو تمجيد هذا الاتحاد والتسبيح بحمده .

« فهي ليست ثقافة نزيهة مجردة من الهوى . ولا هي تثقيف للعقول وتربية لملكة الحكم على الاشياء .

« إن النقد لا وجود له مطلقا في تلك البلاد ..

« ولست أجهل أنهم يجعلون من انتقاد أنفسهم استعراضا،ويتظاهرون به تظاهرا ، حتى لقد اعتقدت في بداية الامر ورجوت أن يـؤدي هـذا النزوع إلى نتائج طيبة إذا هو طبق التطبيق الصادق الصحيح .

« ولكنني لم ألبث أن أدركت أن النقد في روسيا لا يتعدى البحث فيما إذا كان هذا الأمر أو ذاك متفقا مع سياسة الحزب أو غير متفق لا أكثر ولا أقـل .

« لأن هذه السياسة لا سبيل إلى مناقشتها أو انتقادها .

« غاية ما هنالك البحث عن مدى اتفاق آية فكرة أو رأي أو تصرف مع تلك السياسة المقدسة ، أو مبلغ اختلافها معها .

« وهي حال ذهنية ليس ثمة أخطر منها على الثقافة الصحيحـة ، ولا أشد أذى لهـا .

« فلا غرو إذا ظل أفراد الشعب في جهل تام بكل مـا يدور خـارج بلادهم . بل أدهى من ذلك وأمر أن يقال لهم : ان كل ما في الخارج دون مثيله في الداخل بمراحل ...

« ولم يعد اختفاء الرأسمالية من روسيا على العمال فيهـا بخير أو نفـع !!...

« ولم يسق إليهم الحرية التي كانوا لها ناشدين !!..

« فلتدرك الطبقات الكادحة خارج الاتحاد السوفيتي هـذه الحقيقة كل الادراك .

« ولست أنكر أنهم لم يعودوا ألعوبة في أيـدي أصحـاب رؤوس الأموال وحملة الأسهم والسندات يستغلونهم كيف يشاءون .

« ولكن الواقع أن الاستغلال لا يزال قائما ، وانما أصبح مقرونـا

بأعجب الوسائل وأعكرها وأشدها التواء . بحيث لم يعد القوم يعرفون من هم الملومون فيه . ومن هم الذين يؤاخذون عليه ...

« فان معظم أفراد الطبقة الكادحة يعيشون تحت مستوى الفاقة !!..

« بينما أتاحت أجورهم التي لا تسمن ولا تغني من جوع الفرصة لزيادة مكاسب العمال الممتازين ، أو معاشر الخانعين المسلّمين بكل ما يطلب منهم القائلين : نعم في كل شيء .

« ولا يسع المرء إلا الدهشة من فرط الاستخفاف الذي يبديه أهل السلطان نحو من دونهم من الأفراد .

« وكذلك شدة الخنوع والذل اللذين يظهرهما هؤلاء لأولئك .

« إن الانكسار الذي يبديه الفقراء ومعاشر المكدودين لرؤسائهم سقوط إنساني ذريع ..

« وأنا أسلّم جدلا بأنه لم تعد في روسيا طبقات ولا فوارق ، ولكن الواقع ان فيها فقراء ، بل إنهم الكثرة البالغة ...

« وكنت أرجو ألا أجد منهم أحدا ، أو بعبارة أصح ، لقد ذهبت الى روسيا لكيلا أجد للفاقة فيها أثرا ...

« ولكن الفاقة هناك يعبس في وجهها أينما سرت ، وتقابل بالاعراض والتجهم والاشمئزاز من السادة الذين حالفهم الحظ .

« حتى ليخيل للمرء أنها الفاقة الأثيمة الناشئة في أحضان الاجرام . فلا تثير شفقة ولا تبعث على العواطف والاحسان ، بل ينظر اليها بعين الازدراء والاحتقار .

« وما أولئك الذين يتراءون متكبرين مزهوين الا الذين اشتروا كبرياءهم وتوفيقهم بثمن هذه الفاقة العامة : وعلى حساب هذا الفقر الشامل .. »

★ ★

هذه الصورة الكالحة هي صورة المجتمع الانساني الراقي كما نسجت الشيوعية خيوطه وأوضحت معالمه ..!!

ولما كنا في عصر يجيد اللعب بالالفاظ فان هذا الهوان العام سمي حكم الشعب واعتبر تحقيقه تلبية لنداء الجماهير !!

وقد ألفنا في الشيوعية أن الحاكم بأمره يتحدث دائما باسم الأمة •
وأن حراس الارهاب المسلح يسمون أنصار السلام !!
وأن نقض دعائم الدين يسمى المنهج العلمي !!
وأن العودة إلى الحيوانية الأولى تسمى تقدمية إلى غير ذلـك من المتناقضات •••

وظاهر من الدراسة والتطبيق معا أن الشيوعية مذهب سياسي يتوسل بالوسائل الاقتصادية لادراك مآربه • وأنه لو كان فكرة اقتصادية لمصلحة الجمهور لكان الجمهور هو صاحب الرأي الأول والأخير في أخذ أو ترك ما يراه أضمن لمصالحه وأضبط لشئونه •

لكن ما يقع هو العكس ، فالجمهور يتجرع كارها متاعب هذا المذهب ونقائضـــه •

فإذا تململ قيل له : حـــذار أن تتحرك !! لا بد أن ترضى بما يملى عليـــك !!

ومن الذي يصدر هذه الاوامر ؟

حفنة من الرجال أحاطوا أنفسهم بقداسة مبهمة ، وجعلوا من امتلاكهم للمال العام أو من سيطرتهم عليه فرصة لاتراف أنفسهم وأشياعهم ، ثــم توزع المسكنة والبأساء على سائر الناس •••!!

ان التاريخ لم يعرف حكما استبداديا حصّن نفسه بشل هذه السلاسل من الحصون •••

★ ★

ونعود الى استكمال الصورة الاقتصادية للمجتمع الشيوعي •

هناك نظام السخرة . وهو نظام يتيح للدولة تجنيد الألوف المؤلفة من العمال والفلاحين للكدح في كل شيء دون مقابل ، أو مقابل كسرة خبز وكسوة تداري ما تيسر من الجسم •••!

ويقول الشيخ الاستاذ «عمر الاسكندري» في كتابه «الشيوعية على حقيقتهـــا» :

« كان المظنون أن بلادا كروسيا السوفيتية قامت دعائم الحكم فيهـــا

على أساس تحرير العمال واكرام مثواهم . ألا يجد الانسان فيها للاعمال الاجبارية أو التسخيرية أي أثر ...

« ولكن الواقع الذي شهدت به المصادر العديدة الموثوق بصحتها أنه يوجد في روسيا من العمال المحكوم عليهم بالاشغال الاجبارية تحت الحراسة ــ ومعظمهم بدون أجر سوى فتات القوت الذي لا يكاد يفي بأودهم ــ ما يقدر عددهم بالملايين .. وذلك في أنحاء نائية تبعد آلاف الأميال عن مقرهم الأصلي .

« والحكومة تبذل كل جهد لاخفاء وجود هؤلاء العمال ، ولا تذكر عددهم صراحة في احصاءاتها بل تدرجهم تحت عنوان «عمال» فقط أو لا تدرجهم مطلقا .

« كذلك لا تسمح لاي أجنبي أو مراسل صحفي بزيارة معاقلهم أو محاولة البحث عن أماكنهم .

« وقد حدث مرة أن صحافية كندية احتالت حتى تمكنت من دخول أحد هذه المعسكرات فأمر الاتحاد السوفياتي بطردها من البلاد في الحال .

« ومع ذلك فقد وصلت الى العالم الخارجي معلومات تفصيلية عن هؤلاء العمال ، وذلك عن طريق من تمكن منهم من الفرار ، ومن الكتاب الروسيين المقيمين الآن في الخارج أو من الامريكيين الذين مارسوا اعمالا في روسيا أو عاشوا فيها أو ساحوا في أرجائها .

« وقد اختلفت هذه المصادر اختلافا كبيرا في تقدير هؤلاء العمال بسبب البيئة التي وجدوا فيها . أو السنة التي حصل فيها التقدير ، اذ أن عددهم في ازدياد مستمر ...

« فقال بعضهم انه نحو ستة ملايين ، وقال آخر انه عشرة ، وآخر انه أربعة عشر . وآخر انه ثمانية عشر مليونا !!..

غير أنهم كلهم مجمعون على أنهم يقدرون بالملايين ، وأنهم يعاملون معاملة المساجين تحت حراسة صارمة ، وأنه خصصت مصالح حكومية هامة لتعيين أو ادارة الأعمال التي يسخرون فيها ، فمنها إنشاء الطرق والسكك الحديدية ، وردم المستنقعات ، وإزالة الأشجار ، واستصلاح الأراضي النائية ، واستخراج الملح أو الذهب من المناجم ... فضلا عن الكثير من

الاعمال الصناعية الثقيلة التي يسخرون فيها داخل معتقلات خاصة بذلك •

« ومعظم هؤلاء العمال من المغضوب عليهم سياسيا بسبب معارضتهم لمباديء الحزب أو مشروعاته •

« ومنهم طائفة «الكولاك» وهم أغنياء الزراع الذين لم يقبلوا الاندماج في سبل الزراعة الجماعية •

« وأضيف اليهم في السنوات الاخيرة الكثيرون من أبناء الشعوب الغير الموثوق بولائها ومن سكان الجهات الواقعة على حدود الاتحاد السوفيتي من جهة أوربا وآسيا على السواء» •

والشيء الذي لم يذكره للأسف الأستاذ المؤلف : أن السواد الأعظم من هؤلاء العمال المسخرين هم جماعة المسلمين المستذلين •

هم المؤمنون الأحرار الذين أبوا ترك دينهم ، وبيع بلادهم ، وتسليم مقاليدها للاستعمار الأحمر •••

هم أبناء التركستان والقوقاز والقرم وغيرهم الذين قاتلوا عن عقائدهم ومواطنهم الى آخر رمق •••

فلما انكسر في أيديهم السلاح وسقطوا هم وأولادهم في الأسر ، كتب عليهم أن يعيشوا في هذه السخرة الدائمة حتى يدركهم الموت •••

وقد آن الأوان لكشف هذه الفواجع ، وإماطة اللثام عنها والاستماع إلى ضحاياها وهم يئنون ويستصرخون •••!!

وذلك ما نبدأ الحديث فيه •••

الفصل الخامس

- من هم ؟ وما بلادهم ؟
- حول الاستعمار الروسي
- حديث ذو شجون الى العرب الغافلين
- فصل الاجناس الاخرى
- نجاح الحملة الصليبية الروسية
- النداء الشيوعي للمسلمين الروس
- موقف الجمهوريات الاسلامية منه
- عودة الاستعمار الاحمر
- الابادة الجماعيـة
- شكوى الى هيئة الامم المتحدة !!

المسلمون في الاتحاد السوفياتي

روسيا شيء والاتحاد السوفيتي شيء آخر !!

انهما في المجال العملي والدولي شيء واحـد . ولكنهمـا من ناحية الواقع والتاريخ شيئان مختلفان !!

كانت روسيا دويلة محدودة المساحة والقدرة . تقع في الركن الشمالي الشرقي من أوربا لاتزيد أرضها عن الجمهورية العربية المتحدة !!..

ثم أخذت تتسع وتبتلع أقطارا أخرى مجاورة ؛ حتى بلغت الآن خمسة عشر ضعفا من حجمها الأول ، فوصلت الى البحر الأسود ولم يكن لها عليه موضع قدم الى عهد بطرس الأكبر ، وأطلت على البلطيق غربا ، وعلى المحيط الهادي شرقا ، واستوعبت عددا كبيرا من القوميات واللغات المختلفة ...

والأقاليم المسيحية التي شملها هذا التوسع الروسي ضئيلة المساحة ، فقيرة الموارد ، وهي لاتزيد عن ــ أوكرانيـا ــ واستونيا ــ ولاتفيا ــ ولتوانيـا .

أما الأقاليم الاسلامية التي انساح فيها الروس فهي رقع فيحاء ، بعيدة المدى ، تزيد مساحتها عن القارة الأوروبية كلها عدة مرات !!

وتشمل (١) الأورال (٢) إسترخان (٣) سيبيريا (٤) القرم (٥)القوقاز (٦) التركستان أي الشمال الشرقي من العالم الاسلامي أجمع •

ومنذ استولى أباطرة روسيا على هذه البلاد ــ خلال المائة وخمسين سنة الأخيرة ــ والجهود دائبة على سحق الاسلام فيها ، ومحو معالمه الثقافية والاجتماعية •••!!

والسياسة الروسية في هذا الميدان جزء من المخطط العالمي الصليبي للاتيان على الاسلام كله ، ودك قواعده •••

وقد تكفل الاستعمار الغربي بمحاربة الاسلام في إفريقية كلها ، وجنوبي آسيا •

ومن حسن حظ المسلمين في هذه البلاد . أن كتابا كثيرين فضحوا هذه الغارة . ونبهوا إلى أخطارها •••

أما مسلمو أواسط آسيا وشمالها فقد نشب القتال بينهم وبين الروس خلال قرنين مشئومين كالحين . داخ فيها الاسلام . وذل ، وتفانى أهله واستهلكوا •••

وذلك كله وراء حجب من الصمت تشقها بين الحين والحين صيحات الفارين من الاضطهاد ، أو المنسحبين من أرض المعركة بعد ما طال بلاؤهم وسقط لواؤهم •• •

كان المسلمون ضحية تعصب القياصرة قبل الثورة التي أطاحت بهم •

ثم كانوا بعد انتصار الشيوعية في روسيا ضحية الالحاد الذي يكره الدين كله ••

واليوم يتكون الاتحاد السوفيتي من أرض تسعة أعشارها كان اسلاميا ، ومن عدة قوميات كان أغلبها اسلاميا في ثقافته وعبادته ، ثم حافت عليه الليالي ••

★ ★

خذ مثلا «سيبيريا» التي يظنها جمهور المثقفين عندنا أرضا خالية ،ينفى اليها المضطهدون الذين تريد الدولة الخلاص منهم •

هذه الارض كانت جزءا من الدولة المغولية الكبرى التي أسسها الامير «باطو» بن «جنكيز خان» •

. وقد اعتنق المغول الاسلام . وتحمسوا له . وحكموا باسمه آمدا طويلا . وبلغ من سطوة المغول أن «بارسلوف» دوق روسيا الأعظم اضطر أن يقسم يمين الولاء للأمير «باضو» . وأن يعلن هو وسائر أمراء الروس خضوعهم لسلطته ••

وظلت «سيبيريا» بلادا اسلامية خالصة حتى القرن السابع عشر للميلاد ــ الحادي عشر للهجرة ــ •

ولم تسقط في يد الروس الا بعد حرب دامت ٥٦ سنة •

وكان السلطان «كوجم» آخر حكامها المسلمين •

وقد عرض عليه الروس بعد ما انهار جيشه أن يقبل الاحتلال الروسي ويعيش ملكا تابعا لهم •

ولكن السلطان الشجاع أبى هذا العرض وآثر أن يقاتل دون كل شبر من «سيبيريا» المسلمة •

ففي أعقاب احدى المعارك رئي هذا الملك يمشي هائما على وجهه وقد فقئت عينه . ومن حوله أكداس القتلى من جنده البواسل !!

فعرض عليه السفير الروسي أن يقبل حماية دولته ، فأبى الا الاستماتة في أداء واجبه ••!!

وجاء في رده على الروس : لا أقبل عيش الأسير ، ولا موت الذليل •

ولست أحزن لفقد أموالي وأملاكي ، وانما حزني من أجل أولئك التعساء الذين يعيشون تحت نير الاستعباد الروسي •

واستشهد هذا السلطان البطل في حرب المقاومة كما استشهد من بعده ابنه السلطان علي •••

ووضع الروس أيديهم على هذه الارض الشاسعة وأسموها «سيبيريا» وهو لفظ محرف من «صابري» الاسم القديم لهذا الاقليم ••

★ ★

ومضى الروس في طريقهم يسابقون إخوانهم من غرب أوربا في الانقضاض على هذه البلاد الاسلامية وتقطيع أوصالها •

يقول الاستاذ محمد سامي عاشور عميد معهد المعلمين :

« وفي خلال هذا التكالب الاستعماري من ناحية الغرب ، انتهزت

روسيا القيصرية الفرصة فأنشبت أظافرها في البلاد الاسلامية في أواسط آسيا . وهي البلاد التي تقع ما بين حدود «منغوليا» «وبحر قزوين» من ناحية وبين «سيبيريا» الى الافغانستان والهند البريطانية من ناحية أخرى..

« بل لقد شرعت روسيا تناوش بلاد الأفغان في الوقت الذي اتفقت فيه مع بريطانيا على تقسيم إيران إلى منطقتي نفوذ ، واحدة في الشمال خصت بها نفسها . وآخرى في الجنوب كانت من نصيب بريطانيا .

« وتشغل هذه البلاد الاسلامية في أواسط آسيا التي استولت عليها روسيا القيصرية وقتئذ رقعة تزيد على رقعة أوروبا كلها .

« وإذا كان العالم الخارجي لم يتنبه في ذلك الوقت إلى خطر الاستعمار الروسي في أواسط القارة الآسيوية فمرد ذلك إلى عوامل مختلفة .

« فمن جهة كان الناس في ذلك الوقت ينظرون إلى التوسع الروسي في تلك الجهات على أنه امتداد طبيعي فيما خالوه جزءا متمما لبلاد سيبيريا التي كانت روسيا تتملكها منذ القرن السابع عشر [1] .

« وساعد على ذلك أن آسيا الوسطى سواء من حيث موقعها الجغرافي أو من حيث ظروفها الأخرى كان يكتنفها ستار من الظلام ، فبدت كما لو كانت جزءا متمما لأملاك روسيا الآسيوية التي لم يكن يعرف عامة الأوروبيين عنها في ذلك الوقت الا القليل .

« ومن جهة ثانية فان الاستعمار عن طريق البر أو الاستعمار «من الباب للباب» لم يكن لافتا للنظر كاستعمار البلاد النائية التي تقع فيما وراء البحار .

« ومن جهة ثالثة فان معظم شعوب آسيا وافريقية التي كان لها وعي سياسي أو قومي كانت الحملات القومية في هاتين القارتين كلها منصبة على بيان مساويء الاستعمار الاوربي وحده .

« بينما كانت روسيا تتسلل في غفلة من الناس الى البلاد الاسلامية التي تشغل أواسط القارة الآسيوية دون أن تلتفت اليها الانظار .

---

(١) كانت سيبيريا أمة اسلامية كما قرات آنفا احتلها الروس بالسلاح.

« وهكذا كان من حسن حظ روسيا القيصرية ــ شأنها في ذلك شأن روسيا السوفيتية الآن ــ أنها لم تكن مضطرة الى ركوب البحر في توسعها الاستعماري • على خلاف ما كانت عليه حال الدول الاستعمارية الأخرى التي كانت مضطرة بحكم موقعها الجغرافي الى البحث عن مستعمرات لها فيما وراء البحار • في بلاد لا تربطها بها روابط الجوار الجغرافي •

« لذلك كان توسع الروس في أواسط آسيا يجري في ذلك الوقت بعيدا عن أعين الناس رغم أنه كان استعمارا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى •

« وأما المسلمون أنفسهم في سائر بلاد العالم فانهم لم يشعروا بوطأة هذا الاستعمار الخفي ولم يدركوا ما سوف يكون له من أثر في حياة نيف وأربعين مليونا من اخوانهم المسلمين يعيشون تحت ظل روسيا القيصرية لأنهم كانوا في شغل شاغل بشئونهم الخاصة ، يحاولون استخلاص أنفسهم وحرياتهم من براثن استعمار آخر أكثر وضوحا وأشد نكاية ابتلوا به من ناحية الغرب ، ولان مصائرهم العليا من ناحية أخرى كانت في يد دولة منهارة وخلافة كانت هي نفسها تلفظ آخر أنفاسها ولها من مشاغلها السياسية والعسكرية ما كان له أثر مدمر على الشعوب الاسلامية عامة ، تلك هي الدولة العثمانية •

★ ★

« ولم تلجأ روسيا في احتلال البلاد الى الاساليب الاستعمارية المستحدثة بل اعتمدت كل الاعتماد على جحافلها وجيوشها ، وعلى ما تستطيع تلك أن توقعه بالناس من قتل وفتك وسلب ونهب •

« كان احتلالا يمثل الاستعمار في أبشع صوره • وينزع الى انزال الشعوب المستعمرة بمنزلة العبيد •

« ولم يستسلم المسلمون في تلك البلاد لسلطان الروس مع ذلك بل جعلوا يقاومون ويستبسلون ، متحملين في ذلك كل أنواع التضحية وهم يحاولون رد هذا الطغيان عن بلادهم وأوطانهم •

« ففي بلاد الشركس والقوقاز استمر جهادهم على أشده حتى سنة

١٨٦٤ الى أن وقع زعماؤهم المجاهدون ومن بينهم الامام « شـاول » في قبضة الروس •

« بل لقد أشاد «كارل ماركس» نفسه ببطولة المسلمين في القوقـاز واستبسالهم في دفاعهم عن أوطانهم في ذلك الوقت •

« ومن عباراته المأثورة في ذلك نداؤه للشعوب المستضعفة الذي يقول فيـه :

« يا شعوب العالم ! ليكن قتال القوقازيين من أجل حرياتهم درسـا لكـم !!

تعلموا منهم فن الدفاع عن الحرية القومية!» •

« والمؤرخ الروسي «فادييف» نفسه لم يتردد في القول بأن الحرب في شمال القوقاز شلت حركات الجزء الأكبر من الجيوش الروسية بعض الوقـت •

« كما اضطر الى الاعتراف بأنه « لولا الحرب القوقازيـة التي عاقت تقدمنا لاستطاعت الجيوش الروسية أن تحتل الشرق بأجمعه من مصر الـى اليابان وهي تسير على نغمات فرقها الموسيقية» •

« ولم يكد يستتب الأمر لروسيا في منطقة القوقاز حتى أخذت تسير جيوشها نحو التركستان وغيرها من البلاد الاسلامية في أواسط آسيا الى أن تم لها في النهاية اخضاع المنطقة كلها •

« ومنذ ذلك الحين أخذت تستخدم أساليبها الاستعمارية التقليديـة لتقويض كيان تلك البلاد ، فعمدت الى تقييد الحريات الى أدنى حد ممكن، واستغلت كل ما فيها من موارد من القطن والمعادن استغلالا سافرا لا يمنعها من ذلك مانع» •

* *

وقبل أن نتكلم عن الأرض الاسلامية المنهوبة ، والشعوب الاسلامية الذائبة داخل الاتحاد السوفيتي أرى أن أتوجه بالحديث الـى المسلمـين العرب ، وهو حديث ذو شجون ومآخذ •

وخير لنا أن نتصارح بأخطائنا وخطايانا قبل أن نلوم غيرنا •••

ان الناس هنا يسمعون أخبار المسلمين في أرجاء العالـم وكأنهـم يسمعون أنباء جنس غريب •

ويصغون إلى أحوال المسلمين تحت الحكم الشيوعي وكأنهم يصغون الى أحوال العالم الآخر ، عالم ما وراء المادة !!

لقد تمزقت الجامعة الاسلامية شر ممزق ، ونال منها الشيطان مبتغاه!!

أما التاريخ الاسلامي العام لهذه الامة الاسلامية الكبيرة منذ انطلقت مع الزمان السائر ، تؤدي رسالتها ، وتبلغ هدايتها فهـو للأسف تاريـخ غامض ••

كنت يوما في الجامع الأزهر متجاوزا صحنه المكشوف الى أروقتـه المغطـاة •

وفي بقعة مهجورة يداريها باب شبه خفي وجدت مقبرة بها جثمـان جوهر الصقلي باني الأزهر والقاهرة •

فقلت لصاحب يسير معي : هل يدري الأزهريون شيئا عن موطن هذا الرجـل ؟

ان جمهرتهم وجمهرة المثقفين معهم ، لا يدرون متى دخل الاسـلام صقلية ، ولا كيف أبيد فيها ، أو انسحب منها ؟؟

وكذلك الحال بالنسبة الى جزر البحر الابيض كلها ، والـى مواطن اسلامية كثيرة في أوربا وآسيا وافريقية ••

ان تاريخ الاسلام السياسي لا يدرس للأسف البالغ دراسة تمحيص واستيعاب •

بل ان مسار الدعوة الاسلامية لا يتابع في الجامع الازهر متابعـة تعرّف واستقصاء !!

ونشأ عن ذلك أن القافلة الاسلامية التي انطلقت برسالتها الجليلة منذ أربعة عشر قرنا عرضت لأهلها محن رهيبة خلال القـرون الأخيرة • كان يجب أن تعرف بدقة لتحظى بفكر واحد وشعور مشترك •

لكن التقطع الذي عرا المسلمين في أعصار مذلتهم حصر هذه المآسي في محالها ، وحبس الألم منها في جلود أهلها ••

ولولا جهاد بعض الزعماء الاسلاميين الكبار لوصل ما انقطع ، لكان

ذلك ذريعة ضياع المسلمين أجمعين ، والاسلام أيضا ..

ان الأخوة الاسلامية تفرض علينا نحن العرب أمورا مهمة تتذاكرها بصراحة ونقررها في ايجاز !!

لقد كان العرب أول شعب آمن بالاسلام ، وحمل رايته ، وهزم القوى الشريرة التي اعترضته ...

وتلك مفخرة للعرب تنضاف إلى أن الوحي بلغتهم نزل ، وأن قياد الاسلام الروحي والعقلي ممتزج بالعروبة إلى آخر الدهر ..

لكن الاسلام ليس دينا لجنس معين ، إنه لأهل الأرض كلهم ما بقي على ظهرها انسان ...

إنه لجميع الأمكنة والألسنة والازمنة .

ومن ثم كان طبيعيا أن تدخل في دين الله أجناس وخلائق لا عداد لها ، وكان على العرب في سبيل نشر الاسلام امران :

● أولهما : تعريب جماهير غفيرة من كل لون ليشتركوا مع العرب أنفسهم في فقه الرسالة وابلاغ هداياتها .

● والثاني : نقل هدايات الاسلام نفسها إلى لغات وآداب الأمم الأخرى ، لان استعراب الناس جميعا مستحيل .

فليبق أمام أهل كل لغة شعاع يربط الناس بحقائق الدين ، ويصلهم في حدود مستواهم برب العالمين .

وقد كان جهاد آبائنا في الميدان الأول أوسع منه في الميدان الآخر .

ثم خلفت خلوف كانت قصيرة الباع في الناحيتين معا ..

ولا ريب أن ذلك أساء الى الدعوة الاسلامية .

وأشاع نوعا من الوحشة بين الاجناس الداخلة فيها . حتى لترى اليوم الجماعات الهائلة من المسلمين الهنود والزنوج والأتراك لا يكاد العرب يحسنون التفاهم معهم ، لقصور العرب في اشاعة العربية لسانا عالميا ، ولتقصيرهم في فهم اللغات القومية لهؤلاء الاخوة في العقيدة والعبادة وسائر شرائع الاسلام !!

وأمران آخران نذكرهما في هذا المجال .

الاسلام دين ودولة :

● في صدر تاريخه كان الحكم في يد العرب وذلك أمر لا غرابة فيه إذ هم اصحاب الرسالة الذين بذلوا التضحيات الغالية في سبيل حمايتها وازدهارها •••

ولما كانت هناك أجناس راقية ارتضت الاسلام دينا ، ولم تر نفسها دون العرب قدرة على أداء حق الله وخدمة دينه ، فقد توفرت على النواحي الثقافية وبرزت فيها •

وقد ذوب الاسلام في حضارته الفوارق الجنسية ، فتآخت مواهب كثيرة وخصائص عالية على اعلاء شأنه وتعميق مدنيته •

«وفي ذلك فليتنافس المتنافسون» (١) •

● ثم انتقل الحكم الى أجناس غير عربية لأسباب شتى •

وكان حق الاسلام على العرب إذا فقدوا الصدارة السياسية ألا يفقدوا السيادة العلمية •

كان يجب عليهم أن يشتغلوا بفنون الثقافة الاسلامية ، وأن يتوفروا على توسيع دائرة الدعوة بطريقتي التعريب والترجمة ، وأن ينسابوا في أرجاء الهند والصين والقوقاز والتركستان وجنوب البلقان ووسط أوربا •• الخ •

لكن الذي حدث أن العرب قصروا وتخاذلوا •••

وأن الترك الذين حكموا الامة الاسلامية لم يؤازر نشاطهم العسكري فتح علمي ومدد روحي •••!!

فاذا الدفعة الأدبية الأولى النابعة من إخلاص السلف ، وكفايتهم تتلاشى كما تتلاشى الموجة على رمال الشاطيء •

وإذا المسلمون المبعثرون في القارات الثلاث ينفرط عقدهم وتتناكر أنفسهم ، ويحيون بلا إمامة روحية ولا ثقافة عقلية ، ولا روابط إدارية ، ولا وحدة جامعة •

وتحركت الصليبية كما ذكرنا لتثأر لهزيمتها الأولى •

---

(١) سورة المطففين : ٢٦ .

ورأينا الروس يحتلون نصف آسيا الاسلامية وأغلب المسلمين لا يدري !!

ولا تزال الغشاوة السميكة مضروبة على ألوف الابصار الى الساعة التي أكتب فيها هذه السطور ...!!

★ ★

لقد وقعت في احدى الليالي السود مذبحة قتل فيها الزعيمان الاسلاميان «أحمدو بللو» و «أبو بكر تفاوه» ومئات من زعماء المسلمين في نيجيريا .

وكان القتلة من الفجور والتبجح بحيث لم يحاولوا اخفاء وجودهم ، ولا غسل أيديهم .

وبدا كفلق الصبح أن اسرائيل والاستعمار الغربي الصليبي من وراء هذه المجزرة .

ومع هذه الدناءة كلها فسرعان ما أهيل التراب على المأساة وأسدل ستار الصمت الخسيس على فصولها !!

لماذا ؟

لان قتل «أحمدو بللو» و «أبي بكر تفاوه» مسألة إسلامية تتصل بمستقبل ثلاثين مليونا من مسلمي نيجيريا وهذا أمر تافه !!

إن العمل للاسلام لا يؤبه له ، ولا يذكر صاحبه ...!!

إن الأخوة الاسلامية شعور رجعي يجب بتره !!..

وإذا جاشت عاطفتها يوما فليس من اللائق الاسترسال معها ، بل ينبغي فورا البحث عن مقادير من الماء البارد لاطفاء جذوتها !!

ومتى يحدث ذلك ؟

في الوقت الذي تشتغل فيه صحف العالم واذاعاته بمقتل «لوممبا» أو خطف «ابن بركة» وهما زعيمان يساريان !!

الخلود لهؤلاء !! والفناء لرجالات الاسلام وقادته وساسته ...

إنني أتوجه بالحديث إلى العرب المسلمين أسائلهم ما دهاهم ؟

إذا لم يرفعوا لواء الاسلام فما يرفعون ؟

وإذا لم يشتغلوا بدعوته فبم يشتغلون ؟

لقد استطاع الاستعمار أن يعلقهم بقوميتهم الخاصة ، وأن يجعل من خرافة البعث العربي ارتدادا جديدا عن الاسلام في هذه الآونة العجفاء •

ألا يعلمون أن انسلاخهم عن الاسلام هو خزي الدنيا والآخرة •

وأن تجاهلهم لقضايا إخوانهم المسلمين في المشارق والمغارب هو الذي سيحفر مقابرهم ويطوي آثارهم •

إنني أهيب بقومي أن يعودوا إلى الاسلام وأن يحسوا آلام اخوانهم في كل قارة •

اننا معشر العرب لا نمثل أكثر من سدس المسلمين في العالم ، ولسنا أولى بالله من غيرنا ، ولن يبالينا الله باله إذا فرطنا في أمره •

ومن حق مسلمي العالم أن يستغنوا عن العرب ـ ولا كرامة ـ إذا استغنى العرب عن الاسلام ، ولم يكترثوا لقضاياه ومشكلات أتباعه في العالمين •

وندع هذا الحديث ذا الشجون ونعود للكلام عن القارة الاسلامية المفقودة داخل الإتحاد السوفيتي ••!!

★ ★

إن تاريخ الاسلام وأهله هناك يحتاج إلى ايضاح كثير •

لقد دخل الاسلام القوقاز بعد سنين قلائل من دخوله في مصر ،وانتشر في التركستان انتشارا كبيرا على عهد الأمويين •

ويمكن القول بأن التركستان اصطبغت بالعروبة في وقت مبكر جداء

ونظرة سريعة إلى الذين خدموا الاسلام من أهل تركستان تشعرنا في هذه الايام بغصة :

● فمنهم أمير المؤمنين في السنة النبوية أبو عبد الله «محمد بن اسماعيل البخاري » صاحب الصحيح المشهور ، وكذلك « الترمذي » و«النسائي» •

● ومنهم شيخ المفسرين العلامة «جار الله الزمخشري» وكذلك «أبو البركات عبد الله بن احمد النسفي» •

● ومنهم أئمة التأليف في البلاغة واعجاز القرآن «الشيخ عبد القاهر الجرجاني» و «سعد الدين التفتازاني» و «يوسف السكاكي» •

● ومنهم قادة الفكر الفلسفي في الاسلام «الحكيم أبو نصر الفارابي» و «الشيخ الرئيس علي بن سينا» •

● ومنهم علماء الرياضة والفلك «خالد بن عبد الملك» مدير مرصد المأمون والجغرافي الاصيل «أبو زيد البلخي» و«بنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن» علماء الجبر والهندسة والحساب •

● ومنهم « أبو ريحان البيروني » المؤلف الكبير في الملل والنحل «وأبو منصور الماتريدي» الامام المعروف في علم العقائد «وأبو بكر الخوارزمي» الاديب المترسل ، «وشمس الدين السرخسي» صاحب المبسوط أعظم كتب الفقه في مذهب الأحناف ، «والجوهري» صاحب الصحاح في علم اللغة •• الخ •

والعجيب أننا في الأزهر الشريف نعتمد في ثقافتنا الاسلامية على الكثير من هذه الكتب •

أفليس ما يدعو إلى الحسرة أن نجهل البلد الذي أنجب أصحابها ، وأن نتركه في صمت فريسة للشيوعية الغازية بعد ما أثخنته الصليبية العادية ؟؟

فاذا تجاوزنا الفضل العلمي لهؤلاء الأئمة طالعنا فضل عسكري آخر ينبغي التنويه به في هذه الايام •

فان سقوط فلسطين وبيت المقدس في أيدي الصليبيين الأقدمين إبان حملتهم الأولى ، جاء نتيجة محتومة للنزاع المستمر بين الحكام العرب ، ونكوص هؤلاء الحكام أمام تبعات الدفاع الشريف ••

وقد نقلنا في كتابنا «مع الله» الوثائق التاريخية لهذه الحقيقة •

ولو ترك أمر المنطقة للساسة العرب وحدهم ، ما خرج الصليبيون منها •

فان تحاقد هؤلاء ، ودورانهم حول مصالحهم الخاصة ، داء عياء ••!!

ولكن الله قيض بطلا «كرديا» هو «صلاح الدين الأيوبي» التف حوله المخلصون من العرب وجماهير كبيرة من «التركستانيين» الشجعان فكان كفاح هؤلاء السبب الاكبر لطرد الصليبيين من الشرق الاوسط ••

ولا تزال القاهرة تحمل أسماء تركستانية هي بقايا هذا الماضي المجيد•

فـ «حديقة الأزبكية» في قلب القاهرة وعشرات المساجد الشامخة في أحيائها ما زالت مرتبطة بأسماء بناتها الأولين من هذا الجنس المخلص لله ورسوله ..

والمسلمون في شمال آسيا وغربها ، في أجزاء كبيرة من شرق أوربا، أغلبهم من التتار ، والاتراك ، والبشكير ، والتركمان ، والاكراد ، والقازاخ والأوزبكيين .

ويلاحظ أن هذه البقاع هي التي تؤلف الآن جمهوريات الاتحاد السوفيتي مع الروس والسلاف وغيرهم ..

★ ★

وتاريخ الاسلام داخل الامبراطورية الروسية محمر الجنبات ، كئيب الصفحات ،

وهو يمثل أسوأ ألوان الصراع التقليدي بين المسيحية والاسلام .

لقد كانت هذه الشعوب الاسلامية وثنية الأصل ، وقد عانى الاسلام منها أشد الويلات .

ومعلوم أن المغول في جاهليتهم دمروا الخلافة الاسلامية ، وأحالوا المدائن العظام ترابا ، وقد فعلوا قريبا من ذلك بشرق أوربا .

ثم خالطوا المسلمين والنصارى ، وتعرفوا على ما لديهم من إيمان وشريعة ، وشاء الله أن يختاروا الاسلام ، ويشيعوه بينهم ...

وهنا تضاعف حقد الأوربيين عليهم ، وبيتوا لهم أسوأ النيات !!

ووددت مع كثير من العقلاء لو انتهى العراك الدامي الناشب من قديم بين النصرانية والاسلام .

وهو عراك يمكن أن تنطفيء ناره لو تخلصت الصليبية من رغبتها المجنونة في محو الاسلام ووقف انتشاره .

إن في الأرض متسعا للفريقين ، ومن الميسور في ظل معايشة سلمية شريفة أن يبقى الاسلام وتبقى المسيحية ...

ولكن قتل الآخرين بحجة الدفاع عن النفس نزعة لا يبقى معها سلام .

وقد كانت روسيا ــ كما رأينا ــ دويلة لا تعدو مساحتها أربعمائة

ألف كيلو متر . وعندما كان المسلمون أقوياء استفادت من ارتقائهم العمراني ..

بيد أن عقدة الصليبية ضد الاسلام هاج غليلها منذ اعتنق التتار الاسلام وارتضوا الحياة في ظلاله ، وهنا أخذ الروس يتحرشون بالمسلمين، ويتربصون بهم الدوائر ..

وحانت فرصة الهجوم الروسي بعد وفاة السلطان «بركة خان» وانقسام مملكته الواسعة الى ثلاث دويلات « القرم » و « قازان » و « استرخان » .

فان هذه الفرقة كانت بداية الانهيار السياسي والعسكري للمسلمين، اذ استطاع القيصر «ايفان» الرابع أن يقود حملة صليبية ناجحة ظلت تشق طريقها حتى اجتازت الأورال وتغلغلت في الأراضي الاسلامية الرحبة وراء جبالها ...

ولم تمض فترة كبيرة حتى أصبحت مساحة روسيا لا «أربعمائة ألف كيلو متر» بل «أربعة عشر مليون كيلو متر» على حساب الأقطار الاسلامية في آسيا وأوربا ..!!

لقد نجحت هذه الحملة الصليبية أيما نجاح !!!

قد يقال فأين المدافعون ؟ وماذا قدموا لدينهم ؟

والواقع أن المسلمين في هذه البلاد المعزولة لم يبخلوا بالدم والمال ذيادا عن أرضهم وعقائدهم ، وقد قرأت تصريح «كارل ماركس» وهو يشيد بالمقاومة الهائلة الباسلة التي أظهرها المسلمون في حروبهم الطويلة للقياصرة وجيوشهم .

ويقول الجنرال «تشرنايف» فاتح «طشقند» سنة ١٨٦٥ : « ان المدينة كانت مستعدة بأكياس الرمال في جميع الشوارع ، وكانت المقاومة عنيفة جدا ، وقد مات كثير من الناس وهم يهاجموننا جماعات أو فرادى، ولم يستسلم أحد قط فقد فضل الكل الموت على أسنة الرماح ، وعانى جنودنا الكثير وهم يجتازون الشوارع في وجه قتال مر ، ولم نضع أيدينا على مجتمع أو ناد إلا بعد أن سبحت جنودنا في مجار من الدماء..» .

هكذا سقطت «طشقند» المدينة الاسلامية البائسة ، وهي نموذج

لمئات المدن والقرى الاسلامية التي استقتلت في سبيل دينها ومستقبلها ..

وبدل أن نسأل : ماذا فعل هؤلاء للدفاع عن أنفسهم ، نسأل العرب لم لم يردوا الجميل القديم ؟

فان هؤلاء المسلمين القادمين من تركستان وما فوقها هم الذين أعانوهم على تطهير بيت المقدس وإحباط الحملات الصليبية ضد مصر والشام والحجاز !!

وعلى كل حال فان الهزائم التي نزلت بالمسلمين لم تفقدهم الأمل في غد أفضل ، فظلوا في القرم والاورال وتركستان والقوقاز وغيرها متشبثين بعقائدهم متحاكمين الى شرائعهم ..

وكان القياصرة لا يفتأون يغتصبون أموالهم ، ويصادرون حرياتهم وحقوقهم ، ويحاولون جهد الطاقة فتنتهم عن دينهم ...

وبقيت هذه الحال الكئيبة تنشر غيومها على أراض اسلامية ذاهبة في الطول والعرض .

المسلمون صامدون ، والحكومة مصرة ، والبغضاء تنفث سمومها حتى اندلعت الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ .

وهنا هب المسلمون في أقاليمهم الرحبة ينشدون الحياة والأمان والحرية .

لقد وهت قبضة موسكو على أعناقهم ، وحانت فرصة ثمينة للنجاة بالعقيدة والنفس والدنيا والآخرة ...!

وكان البلاشفة يعلمون مدى ما أجرم القياصرة السابقون في جنب المسلمين ، بل كانوا ــ وهذا هو المهم ــ يريدون توفير ضمانات النجاح لثورتهم ، واستثارة المضطهدين كي يخمدوا أنفاس القيصرية معهم .

قال الاستاذ محمد سامي عاشور :

« لم تكن مهمة البلاشفة في أول الامر بالمهمة السهلة الميسرة .

فمن جهة كان جزء كبير من الشعب الروسي لا يزال مترددا في معاونتهم . بل كان بعضهم يناوىء حكمهم ، ويجهر بعدائه لهذا الانقلاب الجديد .

« ومن جهة ثانية فشلت دعوتهم في استهواء أفراد الطبقات العاملة في

غرب أوربا .. ولا سيما في ايطاليا وفرنسا ، فلم يسيروا في ركابهم كما كان البلاشفة يؤملون .

« ومن جهة ثالثة فان قوات روسيا البيضاء المناهضة لهم كانت قد أخذت تستجمع قواها بمعاونة بعض الدول الاجنبية استعدادا للقضاء على الثورة البلشفية بقوة السلاح .

« ولذلك فلم يبق أمام البلاشفة بعد ذلك إلا أن يولوا وجوههم نحو مستعمراتهم السابقة في الشرق يلتمسون من أهلها العون في محنتهم . فلم يكد يمضي شهر واحد على استيلائهم على مقاليد الامور في روسيا وعلى وجه التحديد في ٧ ديسمبر سنة ١٩١٧ حتى أصدر مجلس فوميسيري الشعب البلشفي نداء له مغزاه موجها الى شعوب روسيا من المسلمين .

وكان من بين من وقعوه لينين ، وستالين ، وقد جاء فيه :

«ان امبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار،والأرض التي تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل نارا .

« وفي وجه هذه الاحداث الجسام تتجه بأنظارنا اليكم أنتم يا مسلمي روسيا والشرق ، أنتم يا من تشقون وتكدحون ، وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق أنتم له أهل .

« أيها المسلمون في روسيا :

أيها التتر على شواطيء الفولجا وفي القرم :

أيها الكرغيز والسارتيون في سيبيريا والتركستان :

أيها التتر والأتراك في القوقاز :

أيها التشيشيين :

أيها الجبليون في أنحاء القوقاز :

أنتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم ، وقبوركم ، واعتدي على عقائدكم وعاداتكم ، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم :

« ستكون حرية عقائدكم ، وعاداتكم ، وحرية نظمكم القومية ، ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم ، لا يطغى عليها طاغ ولا يعتدي عليها معتد !!!..

« هبوا اذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم ، فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل !!••

« ان ذلك من حقكم إن كنتم فاعلين !!!••

« واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن حقوق سائر أفراد الشعب الروسي تحميها الثورة بكل ما أوتيت من عزم وقوة وبكل ما يتوفر لها من وسائل ، جند أشداء ، ومجالس للعمال ، ومندوبين عن الفلاحين •

« واذن فشدوا أزر هذه الثورة • وخذوا بساعد حكومتها الشرعية !

« أيها المسلمون في الشرق :

أيها الفرس والاتراك والعرب والهندوس : أنتم جميعا يا من وطيء الاوربيون القراصنة أرضكم ، وتاجروا بأرواحكم وأملاككم وحرياتكم قرنا بعد قرن :

أنتم جميعا يا من يحاول اللصوص الذين أشعلوا نار الحرب أن يقتسموا بلادكم بينهم :

« ••• إخلعوا عن أعناقكم نير هؤلاء اللصوص !

« ••• أولئك الذين يستعبدون أهلكم ويستبيحون دماءكم وأرواحكم ، فان من المستحيل عليكم بعد الآن أن تظلوا قابعين لا تحركون ساكنا في وقت تهز فيه الحرب عرش النظام القديم ، وتشتعل فيه نفوس العالم كله حنقا على الغاصبين المستعمرين ، وتمتد فيه شرارة الغضب فتصبح ثورة تأتي على كل شيء •

« حذار أن تضيعوا وقتكم دون أن تلقوا عن كاهلكم نير المستبدين، والظالمين الذين استبدوا بكم وبأوطانكم !

« إياكم أن تدعوهم يسلبونكم ما أوتيتم من خير بعد اليوم !

« وعليكم من اليوم أن تشيدوا صرح كيانكم بأنفسكم وبطريقتكم الخاصة ، وفق ما تحبون وتختارون •

« فان من حقكم أن تفعلوا وانكم لفاعلون وها هو مستقبلكم في أيديكم •

« أيها الرفاق ! أيها الاخوة !!••

« لنتقدم سويا في عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطي !!••

« ان رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة في أرجاء العالم!!••

« أيها المسلمون في روسيا !!••

« أيها المسلمون في الشرق !!••

« اننا ونحن نسير في الطريق الذي يؤدي بالعالم الى بعـث جديد تتطلع اليكم لنلتمس عندكم العطف والعون» •

★ ★

ولا يجوز أن يمر هذا النداء دون تدبر ودرس ••

فان حكام روسيا الجدد اعترفوا بما اقترفه الحكم الديني السابق من دنايا وآثام في جنب المسلمين ، وبشروا بانتهاء عهد الآلام والمصائب •••

ولما كانت الأمة الاسلامية المهيضة قد فقدت الرعاية السياسية العامة، وتعرضت في أماكن كثيرة لأشد ضروب الفتك المادي والأدبي فمن حقنا أن نسـأل :-

هل وجد المسلمونما ينشدون لانفسهم من أمان وراحة ؟

إن هذا النداء الشيوعي ظهر سنة ١٩١٧ أي منذ خمسين سنة •

فلنتجاوز هنيهة أحوال المسلمين في روسيا من قبل ومن بعد •

ولنرمق أحوال المسلمين تحت الحكم الصليبي في شرق أفريقيـة ، وغربها ، ووسطها ، وفي أقطار أخرى كثيرة من آسيا وأوربا ، فماذا نحن واجدون ؟

التعصب القاتل يفرض سلطانه على كل شيء ••!!

ووراء مؤامرة من الصمت حبك أطرافها المغفلون من ساسة المسلمين، والماكرون من ساسة الصليبية . بادت مجتمعات اسلامية ، وهلك مجاهدون وانطوى تاريخ !!!

وما زلت أناشد الجامعات الاسلامية الكبرى أن تعيد كتابة التاريخ الاسلامي الحديث ـ لا ـ بل تبدأ كتابته فهو لم يدون بعد !!

وعليها أن تكشف الحقائق المستخفية ، وتضع تحت أنظار المسلمـين المعاصرين مقدار ما عانى آباؤهم من هوان وإذلال في سبيل العيش بدينهم والذود عنه !!

إن الجامعات الاسلامية في «القاهرة» و«النجف» و«المدينة» ،وغيرها

لا تزال مشغولة بمسائل تاريخية تافهة جرت أحداثها في القرون الأولى ..
ومذهولة عن قضايا الموت والحياة التي تواجهها اليوم !!

وليس ذلك في مجال العمل السياسي فقط . بل في حقيقة الدعوة الاسلامية ذاتها ، وهذا هو البلاء المبين ...!!

★ ★

ونعود إلى الشعوب الاسلامية المنكودة تحت الحكم الروسي القديم، ماذا صنعت بعد أن سمعت النداء الموجه اليها من الساسة الحمر ؟؟

إنها بداهة لم تضع الفرصة السانحة .

فسرعان ما أعلنت استقلالها ، واستعادت سياستها على أرضها ، وشرعت ترسم الخطط لتصوغ مجتمعها وفق إرادتها ومصلحتها ..

واتقدت مشاعل الحرية من سيبيريا إلى القرم .

وتكونت جمهوريات إسلامية عديدة في هذه الاقطار المترامية .

واعترفت الدول المجاورة بهذه الحكومات الفتية ، وعقدت معها المعاهدات .

لكن روسيا في ندائها السابق طلبت من مسلمي الشرق ــ خصوصا مسلمي المستعمرات الروسية ، العون والنصرة ،فماذا تفعل هذه الجمهوريات الاسلامية المتحررة ؟

إن المسلمين حيث كانوا يمكن أن يساعدوا الشيوعيين في ظروف إنسانية محددة :

ــ فإذا حاول الجنس الأبيض فرض سيطرته على الأجناس الاخرى ، وقرر إهانتها وإضاعتها ، فإن المسلمين يقاتلون هذا البغي ، ويعاونون الشيوعيين على ردعه ...

ــ وإذا حاول الاستعمار نهب الاقطار المتخلفة ، وسرقة ثرواتها ، واستغلال أهليها . فان المسلمين يقاتلون هذه اللصوصية ، ويعاونون أي مخلوق على استئصال شأفتها ...

ــ واذا جاشت الأحقاد التاريخية ، وراودت أحلام الاستعلاء والبطر بعض المتآمرين فتآمروا على اجتياح قطر من الأقطار ، وإبادة جنس من الأجناس ، كما يحدث الآن في «فلسطين» و «إرتيريا» ، وغيرهما من

البلاد الاسلامية ، فان المسلمين يضمون جهودهم إلى جهـود الشيوعيين ليمنعوا هذه الآثام في المجتمع العالمي ••!!

ولا يقال عندئذ ان الشيوعيين كفار ، والصهيونيين والصليبيين أهل كتـاب !!

فإن التحالف الصهيوني الصليبي عندما ارتكب جريمتـه ، ومضـى لغايته ، كان لا يعرف ربا ، ولا كتابا ، ولا حلالا ، ولا حراما •

كان لا يعرف إلا الأثرة والضغينة •

ومن حق المسلمين أن يقفوا هذا الطغيان بشتى الوسائل ••

واستعانتهم بقوى الشيوعيين في هذا الميدان سياسة لا غبار عليها ••

★ ★

تلك أمثلة في نظرنا لما يمكن أن يكون من تعـاون بين الحكومات الاسلامية والشيوعيين !!

غير أن روسيا فيما ظهر طلبت غير هذا !!!

طلبت أن تكون الشيوعية صبغة الحكومات الاسلامية المتحررة قريبا منهـا •

فهل كانت الدول الاسلامية في «القرم» «والأورال» و«القوقـاز» «والتركستان» الخ ••• مستعدة لهذا التحول ؟ كلا ••

لقد قامت استجابة لآمال المسلمين المقهورين ؛ وتجسيدا لمشاعرهم••

والنظام الشيوعي في سبيل توطيد أركانه قتل حرية التدين وحريـة التملـك •

ووظيفة الحكومة الشيوعية وهي تباشر سلطتها أن تقصي التدين عن الحياة العامة ، وأن تغرس مكانه الكفر بالله وشرائعه ••

لقد وعينا ما جاء في برنامج المؤتمر الشيوعي الدولي السادس المنعقد سنة ١٩٢٨ : «••• ان الحرب ضد الدين ـ أفيـون الشعوب ـ تشغـل مكانا مهما بين أعمال الثورة الثقافية •

« ويلزم أن تستمر هذه الحرب باصرار وبطريقة منظمـة ، وحكومة العمال والفلاحين تعترف بحرية الضمير (١) ولكنها في الوقـت نفسـه

---

(١) هذا الاعتراف لون من النفاق السياسي ، والواقع ينفيه ..

تستعمل كل الوسائل التي تملكها للقيام بالدعاية ضد الدين وتنظم التربية على أساس التصور المادي للدنيا» .

هذه وظيفة الحكومة الشيوعية . ومن السخف القول بأن للاسلام مكانا في هذا الجو الوبيء .

نعم هناك نوع من الحكم يسمح بحرية المتناقضات ، يسمح للايمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، والعفة والزنا ، والسكر والصحو ، والتعليم الديني والتعليم المدني ، والمحاكم لشرعية والمحاكم المدنية .. الخ .

والديمقراطية الغربية تمنح شعوبها هذه السعة ..

وكثير من الذين تعلموا في الغرب يودون لو كانت الحكومات العربية من هذا الطراز المرن ...

وهم يرون أن هذا اللون من الحكم أفضل من الحكم الشيوعي ، وأخف ثقلا وأرحب فكرا ..!!

فلير هؤلاء ما يرون ، لكننا نريد أن نقول لهم ان الحكم الاسلامي شيء غير هذا وذاك .

إنه حكم يسير في عكس الاتجاه الشيوعي تماما ...

فهو يرى الحاكم رجلا يؤمن بالله ، ويغرس الايمان في المجتمع .

يصلي لنفسه ، ويؤم الناس في الصلاة .

ويخرج الزكاة ، ويشرف على جمعها من الآخرين .

يصوم رمضان ، ويرقب حرمة الشهر في أرجاء المجتمع .. الخ .

ثم ان الاسلام عقيدة في القلب ، وقانون في الحكم ، وقواعد في الاخلاق ، ونظام في المجتمع ، ورباط عام بين أتباعه .

وتقاليده تنظم البيت والشارع ، وتستغرق العمر من المهد إلى اللحد ..

وقد فصل الكتاب الكريم والرسول الذي جاء به كيف يحيا المرء لنفسه ولأمته ولربه ..

وظاهر من هذا الاستغراق والشمول أن الاسلام شيء ، والميوعة

الغربية شيء آخر • وأنه ـ من باب أولى ـ لا يمكن أن يلتقي مع الشيوعية في تنظيم سياسي أو اجتماعي •••

من هنا لا نعجب اذا رأينا المستعمرات الاسلامية الروسية بعدتحررها تنحاز بعيدا ، وتحاول بناء كيانها وفق طبيعتها الدينية العتيدة •

على أن اليد التي أسداها الشيوعيون أول أمرهم لضحايا القيصرية البائدة كان لها أثر حسن في نفوس الكثيرين •

ثم ان مباديء العدالة الاجتماعية التي قدموها بين يدي ثورتهم كان لها بريق وإغراء ، وقد هش بعض الشباب للشيوعية ، يحسبها لا تعني إلا هذا التحرر الاقتصادي •

ولعله قارن بينها وبين ما في الاسلام من ضمانات للعاملين ، وبر بالمعوزين ، فظن التقارب ممكنا ••

ولكن لم تمض فترة طويلة حتى تكشفت الحقيقة كلها ، وبرز الخطر على الكيان الاسلامي برمته ، فاستمسك الناس بدينهم وآثروه على أي نزعة أخرى •

وحاول نفر من المهيجين أن يثيروا الفلاحين والعمال على أصحاب الأرض والمصانع • بيد أن هذه الطريقة فشلت هي الأخرى ، لأن أصحاب الأموال كانوا أرعى لله ، وأحنى على عباده من أن يظلموا عاملا ، أو يحرموا بائسا ، فلا وجود للحقد الطبقي الذي تنفخ الشيوعية في ناره •

ما العمل اذن ؟

لا بد أن يتدخل الجيش الأحمر ••

لا بد أن تفرض الشيوعية بالسلاح على من يكرهونها أشد الكره !!

وقام الجيش الأحمر بمهمته على شر وجه ، وقضى قرابة ثلاث سنين سوداء وهو يحصد هذه الجمهوريات الاسلامية من شاطيء المحيط الهادي إلى جبال أورال ••

وماذا عسى تملك هذه الجمهوريات الوليدة ؟

انها ما كادت تسترد أنفاسها بعد ما عانت تحت ضغط القيصرية المتعصبة ، حتى بوغتت بهذا العدوان الجديد •

فقاومت جهد الطاقة ثم تساقطت دولة بعد أخرى •

ولم تغن التضحيات على جسامتها في دفع هذا البلاء •

قال السيد نور محمد خان : «كانت الجيوش الروسية مدربة تدريبا حسنا ، ومزودة بأحدث الأسلحة من طائرات ، ودبابات ، وسيارات ، مصفحة ، ومدافع بعيدة المدى ، بينما كانت الحكومات الاسلامية التي تمتد من سيبيريا شرقا إلى جبال الأورال غربا لا تملك منها شيئا ، جيوش غير مدربة وأسلحة قديمة •••

« ما يجدي الايمان والحالة هذه ؟

« وفي إبريل سنة ١٩١٨ أصدر «لينين» أمرا بالزحف على البلاد الاسلامية دون إنذار سابق ، فأخذت الدبابات تحصد المدن حصدا وتدك الحصون والقلاع ، والطائرات تمطر البلاد سيلا من قنابلها دون تمييز بين عسكريين ومدنيين •

« وفي نهاية هذا العام كان الروس قد استولوا على جمهورية «ايديل أورال» ، وشمال القوقاز ، وحكومة «خوقند» في تركستان ، وتأخر الاستيلاء على شبه جزيرة القرم لعنف المقاومة فيها •

« وفي سنة ١٩١٩ استولت روسيا على جمهورية «ألاش أوردو» •

« وفي أبريل سنة ١٩٢٠ انتهت من احتلال القرم ثم استأنفت الهجوم على جمهورية «أذربيجان» واستطاعت اخضاعها •

« ثم حاصرت جمهورية «خيوه» من ثلاث جهات فدافع عنها أهلها التركمان دفاع المستميت ولكنها سقطت في نهاية عام ١٩٢٠ •

« وفي سنة ١٩٢١ استأنفت الروس الهجوم على جمهورية «بخاري» ودار بينهم وبين أهلها قتال مرير •

« ودافع أحفاد «البخاري» عن وطنهم بكل ما لديهم من بأس ، فلما انهزمت جيوشهم المنظمة شنوا حرب العصابات نحو عشر سنين ، ولكنهم فشلوا في إدراك النصر لعدم وجود أية مساعدة خارجية من العالم الاسلامي !!!» •

هذا هو الوصف السريع للقتال الذي نشب بين المسلمين والجيش الشيوعي المكلف بإخضاعهم والسيطرة على بلادهم ••

وهو وصف لا نقف طويلا عنده لأن المحزن المبكي هو ما وقع بعده •

فان الروس الحمر شرعوا يوجهون جهودهم لنقل البلاد بما عليها ومن عليها إلى المذهب الجديد ، وهنا بدأت الكوارث الشداد ..

فالمسلمون حراص على دينهم متمسكون بتعاليمه في ظاهر أمرهم وباطنه .. ولقد صابروا الليالي في ظل الصليبية المدبرة وها هم آولاء يلقون عدوا أكفر بالله ، وأجحد لشرائعه فهل يستسلمون ؟ كلا ..

وعاد الصراع الجائر مرة أخرى .

والثورات حين تريد فرض نفسها وإثبات وجودها على واقع مخالف لا ينبض قلبها برحمة إزاء معارضيها .

فكيف إذا كانت هذه الثورات لا تعرف ربا ، ولا ترجو آخرة ، ولا تخشى حسابا ؟

إن الشيوعيين يعبدون هذه الدنيا ، ويرونها وجودهم الأوحد ...

وهم يرون أعداءهم وكأنهم عوائق دون ثروات يجب أن يستمتعوا بها وخيرات يجب أن يضعوا أيديهم عليها ..

ومن ثم ترى الواحد منهم يقاتل وكأنه يسترد حقا شخصيا سلب منه ، فمن وراء قتاله نهمة للحياة لا تشبع وثأر عند الآخرين لا يهدأ ...

فإذا كان الاسلام ينتصب سدا منيعا أمام هذه المآرب ، وإذا كان المسلمون يشكلون باسم دينهم مجتمعا أبعد ما يكون عن هذه الافكار فهيهات أن يلقوا من الشيوعيين مهادنة أو رحمة ..

وذلك ما وقع في أسلوب تقشعر منه الجلود .

★ ★

كان التعذيب قديما يشبه أسلحة الحرب التقليدية من بنادق ومدافع، أما التعذيب الذي اخترعه الشيوعيون ، أو افتنوا في تطبيقه فهو يشبه القنابل الذرية يمتد دمارها إلى نطاق بعيد ..

لقد قرر الروس الحمر أن يغيروا البلاد الاسلامية ويحولوا تاريخها كله من مجرى إلى مجرى آخر .

فكانت الأوامر تصدر بهجرات جماعية واسعة المدى يتحول بها الناس من وطنهم الأول الى بلاد لا يعرفونها ..

وتصور أمرا عسكريا يصدر مثلا الى المصريين كي يتركوا بقضهم

وقضيضهم بلادهم الحبيبة ويسكنوا «كينيا» أو «أنجولا» وأمرا آخر الى سكان آخرين ان يحلوا محل المصريين في الاقامه بربوع النيل •

هكذا شرعت الحكومة الشيوعية في تغيير معالم البلاد الاسلامية ، وقطع الصلات بين حاضرها وماضيها •

فاستقدمت الألوف المؤلفة من الروس والسلاف والأكران ، وشحنت بهم أذربيجان وتركستان والقرم •

ونقلت جماهير المسلمين إلى براري سيبيريا وأواسط آسيا •

وعند تنفيذ هذا المخطط الرهيب قاوم الفلاحون دون أرضهم ، وقاوم الكثيرون دون بيوتهم وحياتهم فكان الفناء الذريع جزاءهم •

ولا تسل عن تعداد الهالكين عند تنفيذ هذا البرنامج الفظيع ••!!

لقد كان هم الشيوعية الأكبر أن تفرض نظامها •

ولما كان المجتمع الذي يلتصق بالعقيدة الاسلامية يأبى كل — أو أغلب — ما تريده الشيوعية فكان لا بد من فنائه لتبقى !!

ثم إن الأرض الاسلامية التي يعيش عليها جمهور المسلمين مليئة بخيرات زراعية ومعدنية ضخمة •

والشيوعية في استعدادها لحرب عالمية حاسمة بحاجة إلى هذه الخيرات كي تعزز قدرتها العسكرية ••

إن كل ما تستخرجه روسيا من بترول يسرق منجمهورية«أذربيجان» الاسلامية ، وانظر إلى ما في تركستان فقط من ثروات معدنية • تعرف أن الروس يغترفون من كنوز لا تنفد !!

ففي هذه الجمهورية الاسلامية «٢٥» منجما للذهب ، «١٦» للفضة، «٤٦» للحديد، «٣٢» للرصاص ، «٢٤» للبترول ، «٧٠» للفحم ، «١٣» للكبريت ، «٦٣» للصوديوم • هذا عدا عن «الأورانيوم» «والفرام» و «الزئبق» «والنحاس» «والقصدير» «والبلاتين» • وتوجد من المعادن الأخيرة مقادير كبيرة ••

وقد قسمت روسيا تركستان إلى عدة جمهوريات منفصلة إمعانا في محو تاريخها ووحدتها ••

ولا نشك أن روسيا إذا فقدت الأراضي الاسلامية فانها تتحول إلى دولة من الدرجة التاسعة أو العاشرة •

ونريد أن نري القاريء صورة من صور التحويل الاشتراكي للجمهوريات الاسلامية . أو بتعبير دقيق للمستعمرات الاسلامية التي استولى عليها الروس •

وذلك بنقل الأحداث الكالحة التي وقعت في شبه جزيرة القرم بعد ما هزمها الجيش الاحمر ••

تقع شبه جزيرة القرم على الشاطيء الشمالي للبحر الاسود ، وكان سكانها المسلمون يبلغون «خمسة ملايين» ، وقد استطاعوا الظفر باستقلالهم أول ما استولى الحمر على السلطة في موسكو ، وسرعان ما انعقد مؤتمر وطني من أعضاء انتخبهم الشعب المسلم انتخابا حرا ــ فق ما يحدث في الغرب ــ وتمكن هذا المؤتمر من وضع دستور تحكم البلاد وفق نصوصه

ولم تترك روسيا الشيوعية أهل القرم يستمتعون بحريتهم الدينية والسياسية فوجهت جيشها للقضاء عليهم ، ويقال انها كانت ترمي الى جعل القرم وطنا قوميا لليهود بدل فلسطين •

وليس في ذلك من عجب فان أول لجنة للشيوعية في موسكو كانت كثرتها من اليهود ــ ستة أعضاء من عشرة ــ •

وعلى أية حال فان مسلمي القرم قاوموا العدوان الروسي ببسالة فائقة •

اعتصم الجيش بالجبال ودافع دفاع الأبطال ، وأعانه الأهلون بما يملكون من زاد وقوة •

فلما رأى الروس أن حبل المقاومة طويل ، لجأوا إلى حرب التجويع فنقلوا ما في الجزيرة المكافحة من أقوات وتركوا سكانها للضياع !!

وهنا تعرضت البلاد لمحنة لم تخطر ببال • فان العسكريين والمدنيين والأطفال والرجال أشرفوا على الهلاك طلبا للاقوات المفقودة •

وقيل ان بعض الاشخاص أكلوا أولادهم ••

وقد نشرت جريدة «ازفستيا» في عددها الصادر ١٥ يوليه سنة١٩٢٢ تقريرا للرفيق «كالينين» عن مجاعة القرم جاء فيه : «بلغ عدد الذين أصابتهم

محنة الجوع في شهر يناير «٣٠٢٠٠٠» !!•• مات منهم : «١٤٤١٣»وارتفع عددهم في شهر مارس إلى «٣٧٩٠٠٠» !!•• مات منهم «١٩٩٠٢» وبلغ في إبريل «٣٧٧٠٠٠» !!•• مات منهم «١٢٧٥٤» وفي شهر يونيه بلغ ٣٩٢٠٧٢ • ولم يذكر عدد الموتى إلا أنه قال : ان أكل لحم الانسان لم يكن من الحوادث التي يستغرب لها ، أو تبدو عجيبة في بابها ••

والروس في نظرنا مسئولون عن هذه المأساة ، وسياستهم بعدما سادوا الجزيرة المثخنة بالجراح ، المتهالكة من الاعياء تدل على ذلك •

فقد جردوا المسلمين من أملاكهم وما لديهم من ثروات •• وشرعوا يهدمون المساجد والمعاهد الدينية فلم يبق من ١٥٥٨ مسجدا بالقرم إلا آحادا تافهة •

أما جمهرتها الكبرى فقد أزيلت أو تحولت الى أنديه وقهوات ودور لهو واصطبلات للخيل وحظائر للماشية •

ثم بدأت عملية محو المعالم الاسلامية عن طريق اجتثاث الجذور ، أو نقل السكان أنفسهم على ما ذكرنا آنفا فماذا كانت النتيجة ؟

كان سكان القرم خمسة ملايين مسلم سنة ١٩١٧ فأمسوا سنة ١٩٤٠ «٤٠٠٠٠٠» فقط أي أقل من عشر السكان !!

أين ذهب أولئك المسلمون الذين توارثوا أبا عن جد عمارة هذه الأرض ، وتكونت لهم فيها صبغة خاصة وحضارة معينة ؟

أمسوا عمالا هائمين على وجوههم في فيافي سيبيريا وغيرها ،

ليست لهم أسر ، ولا ذكريات ، ولا أواصر تاريخية ، ولا روابط روحية ، ولا أذان ولا جماعات •• ولا •• ولا ••

لقد صدرت الأوامر بنقل أهل هذا القطر إلى قطر آخر •

لا • بل بتشريدهم في أقطار أخرى فمن عاش عاملا مسخرا عاش ، ومن هلك هلك ••!!

والقرم نموذج لشتى المستعمرات الاسلامية التي تعرضت لمثل ذلك المصير الأشأم •

وإذا كانت المساجد رمزا للعبادة الاسلامية فقد تجاوز ما دمر منها

عشرات الألوف ، أما بقية ما يكون الشخصية الاسلامية فقد تلاشى أو هو في طريقه الى الفناء ...

★ ★

وليس هذا حال المسلمين تحت الشيوعية الروسية وحدها ، كلا ، ففي كل دولة قام فيها الحكم على هذا النحو الكفور ، تعرض الاسلام وأمته للذوبان والمحق ، وراء ستار حديدي من الصمت .

انه تنافر حقيقي بين نزعتين ووجهتين ، وشرعتين !!

ولم يكن عجبا أن ينجو بنفسه من يستطيع النجاة من هذا الجحيم .

ومن عشرات السنين ونحن نرى مسلمين ممن استولى الشيوعيون على بلادهم يعيشون بين إخوانهم في القاهرة ودمشق وبغداد ومكة والمدينة ..

كانت قلوبهم تبكي وألسنتهم تروي ، وعنهم سجلنا ما سجلنا من حقائق .

وفي أحد الايام اتفق الشيخ «محمد عبد اللطيف دراز» (١) مع نفر من هؤلاء المهاجرين أن يبعثوا بشكاة موجزة الى هيئة الامم المتحدة كي تحقق فيها وتنصف ذويها ..

وكتبت الشكوى وأرسلت الى «مستر تريجفاي» سكرتير الامم المتحدة .

وتلقى السياسي العالمي الشكوى ثم أرسل الى الشيخ «دراز» هذا الرد :

« تلقينا شكواكم غير المؤرخة وأمرنا بتوزيع نصها على الأعضاء ...!!» .

لكن الهيئة التي أكلت عرب فلسطين مستعدة لأن تأكل مسلمي آسيا وإفريقيا جميعا .

إن مستر «تريجفلي» نفسه رجل صهيوني !!..

والأعضاء الكبار في هيئة الامم المتحدة هم دهاقين الاستعمار العالمي، والصليبية الحاقدة .

---

(١) الوكيل الاسبق للجامع الازهر والوكيل السابق لجماعة الشبان المسلمين .

فأي خير يرتجيه المسلمون من هؤلاء ؟

★ ★

وإلى القراء نص الشكوى (١) التي أرسلها وكيل الجامع الأزهر السابق ورئيس جماعة الكفاح الاسلامي :

« تتشرف برفع هذه الشكوى إلى هيئتكم الموقرة ، باسم الشعوب الاسلامية التي ترسف في أغلال الذل والعبودية تحت وطأة الحكم الشيوعي الذي امتدت سلطاته حتى شملت البلاد الواقعة بين شبه جزيرة البلقان والمحيط الهادي .

« ويقيم على هذه الرقعة أكثر من «مائة مليون» من المسلمين في أحوال وظروف تفوق في فظاعتها وقسوتها أظلم عصور التاريخ الغابرة .

«حتى أن الأجيال المقبلة ستستحي وتخجل من مدنيتنا الحديثة المعاصرة ومن نظمنا السياسية والخلقية والفلسفية جميعا ، عندما تذكر هذه الظروف القاسية التي يعيش فيها «مائة مليون» من بني الانسان ، دون أن تتحرك الهيئات العالمية لنجدتهم .

« تلك الهيئات التي أسست لحماية الكرامة الانسانية ، ولضمان أبسط الحريات التي نؤمن وتؤمنون معنا بوجوب توفرها للناس أجمعين ، من غير نظر إلى دينهم أو جنسهم أو لونهم أو لغتهم ..

« فإن هناك قاسما مشتركا بين بني البشر جميعا ، وهو الانسانية ..

« اننا نجأر بالشكوى لدى هيئتكم الموقرة ضد نظام الحكم المفروض بقوة السلاح على هؤلاء الناس ..

« وهو نوع من الحكم يسعى إلى هدم كل ما بنته يد الانسان منذ آلاف السنين ، ويحاول أن يدوس بأقدامه كل ما قدسته الانسانية منذ القدم ، ليخلق عالما جديدا خاليا من الاعتقاد بالله ! لا عبادة فيه إلا للقوة الغاشمة والمادة الفانية ...!!

« وخليق بنا في هذا المقام أن نذكر أن التجارب والحوادث الواقعة

---

(١) كتبت هذه الشكوى بلغة رديئة ، ولم تسرد الوقائع بترتيب دقيق ، ويبدو ان الحقائق أخذت سردا عاما من افواه اللاجئين . . .

أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن لا فرق بتاتا بين الشيوعية القوميـــة والشيوعية العالمية •

« وأن الدول التي تفرق بين هذين النوعين من الحكم ، إنما تزعــزع إيمان الأحرار في كل مكان . وتخلق بلبلة عامة في الأفكار •••

« لانها باظهار سخطها على الشيوعية العالمية ومساعدتها غير المشروطة للشيوعية القومية تظهر للعالم بأسره أنها لا تناويء الشيوعية كمبدأ هام ؛ وإنما تعارضها كحكم سياسي ينافسها في السيادة العالمية ••

« إن أكثر من مائة مليون من المسلمين مهدد كيانهم في بــلاد كانت يوما ما مركزا للحضارة الاسلامية بل الحضارة العالمية جمعاء •

« وسنوجز هنا الطرق التي دأبت الشيوعية على سلوكها في سبيــل اضطهاد المسلمين ، ومحو معالم دينهم ومدنيتهم ، مدعمين كل طريقة منهــا بالأمثلة الحية من الوقائع والحوادث الثابتة :

« (١) ــ الابادة الجماعية أو نفي جزء من الشعب أو الشعب كله من وطن آبائه وأجداده إلى سيبيريا أو الى مناطق أخرى حيث يفقدون الصلــة بوطنهم الأصلي ويضيعون بمرور الزمن ••

ونستدل على ذلك بالوقائع الآتية :

(أ) ● قتل الشيوعيون في التركستان وحدها سنة ١٩٣٤ مائــة ألف مسلم من أعضاء الحكومة المحلية والعلماء والمثقفين والتجار والمزارعين •

● وفيما بين سنة ١٩٣٩/٣٧ ألقــت روسيا القبض علــى ٥٠٠ ألف مسلم ، وعددا من الذين استخدمتهم في الوظائف الحكومية ، ثم أعدمت فريقا ، وأرسلت فريقا آخر الى مجاهل سيبيريا •

● وقتلوا سنة «١٩٥٠» : سبعة آلاف مسلم ونفــوا من التركستان. سنة «١٩٣٤» ثلاثمائة ألف مسلم •

● وقد هرب من التركستان منذ سنة ١٩١٩ حتى اليــوم مليونــان ونصف مليون من المسلمين •

● وفي سنة «١٩٤٩» هرب ألفان من التركستان الشرقية ولاقى حتفه من هذا الفريق الهارب «١٢٠٠» وهم في الطريق إلى الهند •

● وفي سنة ١٩٥٠ هرب من التركستان ٢٠٠٠٠ من المسلمين التجأوا الى البلاد الاسلامية في الشرق الأدنى ٠

● ومن سنة «١٩٣٢/١٩٣٤» مات ثلاثة ملايين تركستاني جوعا نتيجة استيلاء الروس على محاصيل البلاد وتقديمها الى الصينيين الذين ادخلوهم إلى تركستان ٠

● ونتيجة لقانون مزج الشعوب في الاتحاد السوفيتي ، نفت روسيا «٤٠٠٠٠٠» مسلم تركستاني إلى أوكرانيا وأواسط روسيا فاندمجوا في تلك الشعوب وفقدوا وطنهم الأصلي ٠

● وفي سنة «١٩١٥» ألقي القبض على ١٣٥٦٥ مسلم في التركستان وأودعوا المعتقلات ٠

(ب) ● أبادوا في القرم سنة «١٩٢١» مائة ألف مسلم بالجوع وأرغموا خمسين ألف مسلم على الهجرة في عهد «بلاكون» الشيوعي الهنغاري الذي نصبوه رئيسا للجمهورية القرمية الاسلامية ٠

● ٠٠ وفي سنة «١٩٤٦» نفوا شعبين اسلاميين كاملين وهما شعب جمهوريتي القرم وتشيس الى مجاهل سيبيريا وأحلوا محلهم الروس ٠

● ٠٠ وقد قلد الشيوعيون في شرق أوربا رفاقهم في الاتحاد السوفيتي ، فأبادوا في يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ٢٤ألف مسلم (١٥ ألف من مقاطعة طوزلا ، ٣ آلاف في مدينة سراييفو ، ٦ آلاف من ماكيدونيا وكوسوفا ــ أتوا بهم الى مدينة دوبرونيك ثم أبادوهم) ٠

(٢) ــ هدم المساجد وتحويلها إلى دور للهو واستخدامها في غايات أخرى واقفال المدارس الدينية ٠٠٠

(أ) ● قد بلغ مجموع المساجد التي هدمت أو حولت إلى غايات أخرى في التركستان وحدها ٦٦٨٢ جامعا ومسجدا منها أعظم المساجد الأثرية مثل «منارة مسجد كالان» في مدينة بخاري و«كته جامع» في مدينة قوقان و «جامع ابن قتيبة» و «جامع الأمير فضل بن يحيى» و «جامع خوجه أحرار» في مدينة طشقند ٠

● ومجموع عدد المدارس والكتاتيب التي اقفلوها في التركستان يبلغ «٧٠٥٢» مدرسة منها «ديوان بيكي مدرسة» في مدينة بخاري و «بكلريك

مدرسة» و «بران خان مدرسة» في مدينة طشقند وغيرها من المدارس التاريخية التي كانت يوما ما مناهل للعلم والعرفان •

(ب) ـ وفي القرم طمسوا معالم الاسلام بما فيها الجوامع الأثرية في مدينة «باغجه سراي» عاصمة القرم الجميلة مثل «جامع خان» وجامع «طوز يازار» و «جامع أصماقويو» وغيرها جميعا •

(حـ) ● وهدموا في مدينة زغرب في يوغوسلافيا جامعا عظيما شيد رمزا لوحدة عنصري الشعب الكرواتي المسلمين والكاثوليك •

● وأغلقوا في مدينة سراييفو «الاكاديمية» الاسلامية العليا للشريعة الاسلامية ، وجميع المدارس الدينية باستثناء واحدة فقط أبقوا عليها للدعاية •

(٣) ـ قتل رجال الدين، أو نفيهم ، أو الحكم عليهم بالاشغال الشاقة، أو منعهم من الحقوق السياسية ، بل والحقوق الانسانية ، وإيجاد أية عقبة أخرى تحول بينهم وبين مزاولتهم لمهنتهم :

(أ) ـ لقد قامت روسيا بعدة حملات على رجال الدين المسلمين في التركستان وغيرها من المناطق الاسلامية الشاسعة المندمجة في امبراطوريتها الحمراء ، وقتلت كثيرا منهم ومن ضمنهم فضيلة الشيخ «برهان البخاري» قاضي قضاة،وفضيلة الشيخ «خان مروان خان» مفتي بخاري،والشيخ الجليل «عبد المطلب داملا» ، والشيخ «محسوم متولي» ، والشيخ «عبد الأحد داد خان» ، والشيخ «الحاج ملا يعقوب» ، والشيخ «ملا عبد الكريم»،وغيرهم كثيرون !!••

(ب) ـ وكذلك عملوا في القرم حيث أضافوا إلى وحشيتهم مع رجال الدين ، حرق المصاحف الكريمة في الميادين العامة •

(حـ) ● وفي يوغوسلافيا قتلوا مفتي كرواتيا فضيلة الشيخ «عصمت مفتيتش» ، والعالم الفاضل «الشيخ مصطفى يوصولاجيتش» •

● وحكموا بالاشغال الشاقة مددا مختلفة على «١٢» عالما دينيا بعد محاكمة صورية في مدينة سراييفو ، منهم فضيلة الشيخ «قاسم دوراجا» شيخ علماء البوسنه والهرسك ، وفضيلة الشيخ «عبد الله دروبسيوفتش» ، وكلاهما من علماء الأزهر الشريف •

(٤) ــ قتل الزعماء السياسيين أو نفيهم من أمثال ذلك ان الشيوعين قتلوا في التركستان الشرقية سنة ١٩٣٤ الحاج «خوجه نياز» رئيس الجمهورية ، ومولانا : «ثابت» رئيس مجلس الوزراء ، «وشريف حاج» قائد مقاطعة آلتا ، «وعثمان أوراز» قائد مقاطعة كاشغر ، «ويونس بك» وزير الدولة ، والحاج «أبو الحسن» وزير التجارة ، «وطاهر بك» رئيس مجلس النواب ، «وعبد الله داملا» وزير الأشغال وغيرهم كثيرون لا يتسع هذا المقام لذكر أسمائهم •

● •• وكلما أحس الشيوعيون ببوادر أية حركة قومية أو إسلامية بين التركستانيين قاموا بحملة التصفية وهي حملة يراد بها القضاء على كل من تحدثه نفسه بما قد يخالف تعاليم آلهة الشيوعيين ••• «ماركس» «لينين» «ستالين» •

(ب) ــ وفي القرم قتلوا سنة «١٩٢٨» «ولي إبراهيم» رئيس الجمهورية مع جميع وزرائه • وفي سنة ١٩٣٠ قتلوا «محمد قوباي» رئيس جمهورية القرم مع هيئة وزرائه جميعا ، وفي سنة ١٩٣٧ استدعوا الى موسكو «الياس طرحان» رئيس جمهورية القرم أثناء محاكمة المارشال «تحاتشنفسكي» وأعدموه رميا بالرصاص مع أعضاء حكومته •

حـ ــ وفي يوغوسلافيا حكمت محكمة «اسكوب» في ماكيدونيا سنة ١٩٤٧ على سبعة عشر زعيما ألبانيا من الالبانيين المقيمين في يوغوسلافيا وفي نفس السنة حكمت محكمة «بريشتينا» على «٣٧» من الأعيان الألبانيين ثلاثة منهم بالاعدام والباقي بالاشغال الشاقة • وفي سنة «١٩٤٩» أي بعد انفصال يوغوسلافيا من دول الكومنيفورم حكمت محكمة سراييفو على ١٣ زعيما من المنتمين إلى «جمعية الشبان المسلمين» المنحلة أربعة منهم بالاعدام والباقي بالأشغال الشاقة •

(٥) ــ منع المسلمين من التمتع بالنظم الاسلامية في دائرة الأحوال الشخصية ، فقد ألغيت المحاكم الشرعية في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي، وفي يوغوسلافيا نشرت جريدة Novodobe الصادرة في سراييفو بتاريخ «٢٢ مارس سنة ١٩٤٦» قانونا بالغاء المحاكم الشرعية في جميع أنحاء يوغوسلافيا ، ومعنى ذلك خروج الأسرة الاسلامية من دائرة توجيه الشريعة

الاسلامية إلى دائرة القوانين الشيوعية التي تنادي بالاباحية التامة وبانحلال الروابط الطبيعية بين أعضاء الاسرة الواحدة .

« ... هذا الى جانب نهب البلاد الاسلامية ونقل ثروتها الى مقاطعات أخرى وتمزيق أوصال كل بلد اسلامي واحد وخلق قوميات مستقلة على أساس لهجات لغة واحدة بقصد تشتيت المسلمين من نفس الجنس واللغة وخلق منازعات مصطنعة بينهم ، كما قسموا تركستان الى ستة جمهوريات على هذا الاساس الواهي .

« ثم نذكر أن الشيوعيين يقومون بشتى أنواع الدعاية اللادينية من غير أن يسمحوا بالدعاية الدينية .

« من أمثال ذلك : قيام الشبيبة الشيوعية وجماعة الملحدين الرواد بمظاهرات لا دينية صاخبة في مواسم الاعياد الاسلامية وإهانة كل ما يقدسه المسلمون .

« بناء على كل ما سبق نتشرف برفع هذه الشكوى إلى هيئتكم الموقرة رجاء بحثها واتخاذ قرار فيها يرد «لمائة مليون» مسلم حقوقهم الطبيعية والأنسانية ويرفع عنهم هذه المظالم البشعة ليتمكنوا من الاشتراك مع غيرهم من بني الانسان في بناء عالم أفضل يسوده العدل والحرية والمساواة ويكون أساسه تمتع كل شعب بحق تقرير مصيره .

هذا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ...»

★ ★

وقد أخذت هذه الشكوى طريقها إلى سلال المهملات ، فما اهتم لها عدو ولا اكترث لها صديق !!

أما الأعداء فقد سرهم ما تلقاه الأمة الاسلامية من هوان ، وما تتعرض له من إبادة ، تلك أمانيهم ..!!

وأما الأصدقاء فقد أخرسهم الرعب وقيد حركاتهم ، وآثروا النجاة وحدهم ...!!

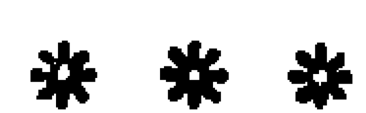
ولعل النزعات القومية الضيقة التي سيطرت على العالم الاسلامي وقسمته دويلات شتى لا تهتم دولة بأخرى ولا تتدخل في شئونها الخاصة(!)

... لعل هذه النزعات بعض ما أطفأ حماس العقيدة الدينية وجعل الأخوة الاسلامية أثرا بعد عين ، فوقعت هذه المذابح بين مسلمي آسـيا ، ووقف جيرانهم الأقربون والأبعدون مكتوفي الايدي بازائها ..

ولست ألوم خصومنا فنحن أولى بالملام !!..

إن مصابنا جاء من عند أنفسنا قبل أن يجيء من الضـائقين بنـا ، والحاقدين علينا ..

وحتى نلتقي مع ديننا يكون الفلاح ويتحقق وعد الله ...



الفصل السادس

- عود على بدء
- بين الاسلام المشوه والاسلام المدعى
- الحكم الاسلامي ظل فى قمة الانسانية الف عام
- أسباب الانهيار : الحكم الفردي ، العوج الاقتصادي ، العجز فى الحياة
- الحكم الاسلامي بعيد عن هذه الادواء
- أدعياء الاسلام الجدد
- هل العروبة ستار لترك الاسلام ؟
- هل نميت بعض الاسلام ونترك بعضــه الاخر ؟
- طريق الرشد فى السياسة الداخليـــة ، والخارجية
- الحكم المدني ذريعة الارتداد التام عـــن الاسلام ، بحث علمي جيد لمجاهد مغربي
- واجب الشعوب .

الإسلام بين الحياة والموت

هبت أعاصير الشيوعية على العالم العربي والاسلامي وهو خائر القوى ، مكدود الأعصاب .

كانت علله القديمة قد برحت به . وأفسدت تصوره للحياة ، وأرعشت خطاه على صعيدها ، فما يستطيع أن يثبت لله ولا لنفسه حقا ..!!

ثم جاء الاستعمار الصليبي الحديث مزودا هذه المرة بالعلم الواسع ، والهمة البعيدة ، والباع الطويل .

وسرعان ما تساقطت البلاد الاسلامية كلها بين أظافره فمرغها في تراب الهزيمة كيف شاء ..

وما كادت تستجمع رغبتها في الحياة ، وتعاود النهوض من وهدتها حتى أقبل الزحف الأحمر لا بارك الله في طلائعه !!

فماذا وجد ؟

وجد دينا جريحا فقرر الاجهاز عليه ، ولفه في أكفانه !

•• وجد الاستعمار الصليبي الذي سبقه قد مهد له نصف الطريق ، ووفر عليه نصف العناء ، فلم يستصعب القيام بالنصف الباقي •••

•• وجد الغرب المسيحي قد طوى أكثر ظلال الاسلام عن التعليم والقانون والآداب والمعاملات •

وخلق أجيالا تضيق بالقرآن ، وتنفر من أحكامه •••

وتجهل الرسول وتزيغ عن سنته ••

وتضيع الصلاة والصيام جهرة ، وتتبع الشهوات ، وتقرب بعيدها ، وتجيد كل لغة إلا لغتها ، وكل فقه وتاريخ إلا فقهها وتاريخها ••!!

وفي فوضى تربية بعيدة عن الدين ، وحكومات غير متقيدة بأحكامه وأهدافه ، أخذت الشيوعية تلقي بذورها وتكوّن عشاقها ••

وقد تفاوتت مكاسب الشيوعية في شتى الأقطار الاسلامية تفاوتا بعيدا وذلك حسب أمرين :

- الاول : قحط التراث الاسلامي ، وفراغ البيئة منه •••
- والآخر — جور الصليبية الى الحد الذي يزهق الروح وينشر اليأس •••

لقد سيطرت الشيوعية في السودان على جمهور مفزع من المثقفين ، كما انتشرت بين عدد ضخم من اللاجئين الفلسطينيين •

وكادت الشيوعية تغرق «اندونيسيا» كلها، بل إن زعيمها «سوكارنو» أعلن دون ما حياء أنه «ماركسي» •

وتوجد الآن في كثير من البلاد العربية والاسلامية طوائف من الشباب الفارغ القلب ، الشارد الخطو ، تستهويه الشيوعية ، وتظهر أعراضها في صلاته الجنسية ، وملاحظاته الفكرية والخلقية ، وأحكامه على الشئون العامة والخاصة ، كما يوجد حكام يمهدون — بسياستهم الداخلية — لجعل البلاد شيوعية إن لم تكن اليوم ، فان غدا لناظره قريب !!



ونحن بداهة نرفض هذا المصير الكالح ونعترض المزالق التي تؤدي إليـــه ...

ونرى النجاة في شيء واحد اسمه الاسلام !!!

لكن ما الاسلام العاصم من الغرق ؟

إن هناك عشرات من الدول تعتنق الاسلام ، وتقر النسبة إليه ، ومع ذلك فان أحوالها لا تسر حبيبا ولا تسيء عدوا ... !!

.. أمم انزوت عن طريق الحياة كما تنزوي العربات العاطلة على جانب الطريق ، تنظر الى السائرين المنطلقين وهي واقفة في مكانها ، لعطل آلاتها، أو لنفاد وقودها ، أو لعدم وجود قائد ..!!

فهل أغنى عنها هذا الاسلام ؟

ونحن نسرع بالجواب : لا.. لم يغن عنها هذا الاسلام ..!

ومثل هذا التدين لا يزيد أهله إلا جمودا وخبالا ..

وما عنيناه قط ، ونحن ندعو إلى دين الله ..!

إننا عندما نتفرس في شئون قومنا الآن ، نجد نوعين من الاسلام ،أو بتعبير أدق ، نوعين من ادعاء الاسلام .

كلاهما بعيد الصلة أو ضعيفها بكتاب الله وسنة رسوله .

هناك إسلام مشوه محـرف مأخوذ من أعمال المسلمين ، وسياستهم المعتلة إبان ذهاب دولتهم . وانهيار حضارتهم ، وشيوع الخرافة والهوى في أدمغتهم وأفئدتهم ..

وهذا النوع من الاسلام مرفوض ...!!

وهناك إسلام مدعى مفتعل يجري على بعض المعـاصرين المفتونـين بحضارة الغرب الرأسمالي أو الشرق الشيوعي ، وهـو إسلام لا يعـدو استجلاب عنوان ديني لجملة حقائق مدنية ، وأفكار بشرية ، خطؤها أكثر من صوابها .

وأكثر الساسة يتبنى هذا الاسلام المفتعل ويرتضيه !!...

وهو إسلام مرفوض كذلك !

إن الاسلام الذي ندعو اليه شيء آخر غير تخليط الجاهلين ، وخداع المضللين ...!!

وهو إسلام لا ينبع من بعيد ..

إنه ينبع من الكتاب الذي نستمع إليه آناء الليل وآطراف النهار ، ومن الرسول الذي نعرف جيدا : كيف عاش ؟ وكيف عبد ؟ وكيف جاهد ؟ وكيف ... وكيف ..؟

ذلكم هو الاسلام الحق ؛ وما عداه فهراء ...!!

★ ★

لقد قامت – بالأسلام الحق – دولة يانعة الحضارة ، واسعة السلطة ، عظيمة الهيبة ؛ ظلت في المجال العالمي الدولة الأولى بين أترابها لا عشرات السنين بل مئات من السنين قاربت الألف عام ..

وهذه الدولة الاسلامية انفردت بالصدارة دهرا طويلا ، ثم شاركتها في هذه المكانة بعد قرون طويلة دون أخرى ..

وإذا كانت الولايات المتحدة الامريكية ترى في عصرنا هذا أعظم دول الأرض ينازعها في ذلك الاتحاد السوفيتي ، فان الدولة الاسلامية في عصرها الطويل المديد ، كانت أشرف مكانة وأعز نفرا .

وقد ظلت أمدا غير قصير لا يجرؤ أحد على مطاولتها ..

ولم يكن هذا السبق العالمي غرور جنس . او ادعاء ملوك ورؤساء ! – كلا – بل كانت أحوال المسلمين العلمية والخلقية والمدنية والعسكرية ترجح كفتهم في كل موازنة ؛ وتعلي رايتهم في كل سباق .

ولم يكن هذا الرجحان وليد حضارة قديمة انتفع الاسلام بها ، أو نتيجة ارتقاء محلي مشى الاسلام على قمته !!

لا هذا ولا ذاك ...

لقد نزل الاسلام بين العرب وهم يومئذ أهون ناس في الدنيا ..!

فما زال يربيهم من جاهلية ، وينظمهم من فوضى ، حتى أحالهم خلقا جديدا لم يكن له في أرضهم ولا تاريخهم نظير ..!

ثم خرج العرب من جزيرتهم ثوارا على ما حفلت به القارات القديمة من فساد في الاعتقاد ، وانحلال في الأخلاق ، وعوج في السياسات ،ونظام في المجتمع ؛ وعجز في الحياة ؛ والتصاق بالأوهام والدنايا ..

فكان العرب ــ بالاسلام الذي حملوه ــ عافية العالم من سقـامه . وشفاءه من أوهامه ...!!

والمعجزة التي صنعها الاسلام في خلقه للعرب ، وتحريكه للعالم الهامد، وتطويره للنشاط الانساني كله . هي من السطوع في آفاق التاريخ بحيث لا ينكرها إلا من ينكر وهج الظهيرة ، وأشعتها الحادة البريق ...!!

ثم هي معجزة ممكنة التكرار ما بقي الليل والنهار ؛ لأنها تقوم علـى كتاب ينطق بالحق ، ونبوة تعلي قدر البشر ...

فإذا قلنا : لا نهضة لنا إلا بشيء اسمه الاسلام . فان هذا الكلام لا يتعاظمه إلا غر يجهل التاريخ ، أو حاقد على الله ورسوله يكـره القرآن والسنة . لان عقله من صنع الغزو الثقافي الذي بعثر الاستعمار أوزاره في كل ناحية ...!

وطبيعي أن تتعرض الدولة الاسلاميـة الكبرى للنصر والهزيمـة ، والتقدم والتأخر ، تبع علل عارضة «وتلك الأيام نداولها بين الناس» (١).

لكنا نعترف أن هنالك عللا باطنة تكونت ، في كيان أمتنا كانت تتغلب عليها إبان قوتها .

ثم استفحلت هذه العلل ، ووهت المقاومة ، فإذا الدولة الرفيعة الشأن تنحط من عليائها . وتأخذ شمسها في الأفول رويدا رويدا ، حتى عم الظلام بعد انحدار شمل القرون الثلاث أو الأربع الأخيرة ..

ونحن المسلمين متشبثون برسالتنا السماوية ، وسائرون على سناها ، ووقافون عند حدودها ..

وعندما نستعيد نشاطها القديم ، ونستحيي ماضيهـا الأول ، فإنمـا نستعيد بداهة الامجاد لا العلل ونستحيي الصواب لا الخطأ ..

ولنعترف أن لآبائنا وأجدادنا أخطاء قلت أو كثرت .

وما نستطيع القول بأن خطاهم لزمت الصراط المستقيم ، فما زاغت ولا تعثرت ...

إن هذا القول عمى عن الواقع ، وجهل بالدين ، واستدامة لأسبـاب الهبوط والهزيمة ...

---

(١) آل عمران : ١٤٠ .

ولنعترف طائعين بأن الاستعمار الذي استباح حرماتنا بين المحيطين الهادي والأطلسي شرقا وغربا . وبين سيبيريا على شواطيء المحيط المتجمد شمالا ، وتحت الصحراء الكبرى وأعماء أفريقيا جنوبا ، لنعترف بأن هذا الاستعمار كان نتيجة لأخطاء جسام ارتكبها المسلمون ، وتفريط قبيح طعن رسالتهم في صميمها ، وكبا بتاريخهم في تلك الهاوية السحيقة !!

لنعترف بأننا ابتعدنا عن كتاب الله ، وسنة رسوله في كثير من ميادين العلم والسياسة ، واننا حين نصطلح مع الوحي وصاحبه ، فليس عن طريق الجمود العلمي أو الفساد السياسي . وهما علتان أزرتا بتاريخنا كله في الحقب الأواخر ...

ومن حسن الحظ أن أصول الاسلام النظرية محفوظة وفيها تصوير كامل للحق .

وأن التطبيق الحسن لا يعجز مؤمنا يدين لله بالسمع والطاعة ...

والذي يتصور الاسلام بعض الآراء ، أو بعض الأعمال التي وقعت في قرن كذا أو قرن كذا مخطيء كل الخطأ .

فان آراء الناس وأعمالهم على امتداد القرون يحكم عليها ولا يحتكم اليها .

يحكم عليها بما قال الله وقال الرسول ، وليست أسوة يتأسى بها الأخلاف أو يحتجون ..

فملوك «بني أمية» ، «والعباس» ، «وعثمان» رجال فيهم البر والفاجر ، والمخطيء والمصيب . وسياستهم قد تضل وقد ترشد .

وما تؤخذ الأسوة الحسنة إلا من صاحب الرسالة وخلفائه الراشدين .

ومؤلفو كثير من الكتب الدينية قد يوفقون وقد ينحرفون ، وأقلامهم قد تسطر الحق وقد تسطر الباطل .

وما ينسب العصمة لهم إلا مغفل .

فمنابع الهدى النقي في الاسلام معروفة ..

لكنا في زمان لا يزال يرزح تحت ثقل من التصورات الدينية المستغربة !!

حتى خيل للبعض أن الاسلام هو بعض الكلام المجوج في الآلهيات ، أو بعض البدع المحدثة في العبادات ، أو بعض المراسم المقترنة بعهود

السلاطين ، أو ما أشبه هذا وذاك من أهواء الحكــام الجائرين ، وأقــوال العلماء الجامدين ••!!

لقد حاربت في هذا العصر ــ وما زلت ــ حكاما وعلماء ظهــر لهم نظراء خلال التاريخ الاسلامي كله . ونأسيت في هذه الحرب الراشدة بأهل الحق من أسلافنا وهم بحمد الله كثر ••

وهؤلاء الحكام والعلماء هم الذين فرضوا آهواءهم على الدين ، ولم يتقوا الله في عباده أو يحسبوا حسابا للقائه ••

وتزوير الاسلام هو جريمة الجرائم . وفاحشة الفواحش ، لأنه تعويق حقيقي عن الايمان . وصد عن سبيل الله ••

★ ★

ونحن نلفت النظر في هذا المجال الى ثلاثة أمور :

(١) ــ كل حكم يقوم على اغتصاب إرادة الأمة ، والاستبداد بأمورها ، وعدم الاكتراث بمشورة عقلائها ، فهو باطل من أساسه •

وهو ضرب من الوثنية السياسية ينكره الاسلام أشد الانكار •

وقد حدث في الماضي والحاضر أن وثب إلى المناصب العليا في الأمة رجال أقزام أو عمالقة عن طريق الارث ، أو الغصب . لا عن طريق البيعــة الصحيحة والانتخاب الحر ••

تستطيع الحكومات من هذا القبيل أن تنتحل لنفسهــا أي صفة الا الاسلام •

فإن الاسلام يجعل الشورى قاعدة سياسته ، ويأبى شانيه من الضيم أو الافتيات تنزل بالجماهير ••!!

•• إن الاستبداد السياسي كان في مقدمة العاهــات التي أقعــدت المسلمين ، وأذلت جانبهم . وعطلت رسالتهم ••

وكل متحدث عن الاسلام في عصرنا هذا يخرس عن ذكر هذه العلة ، فهو مريض القلب أو العقل ••

والمسلمون أحوج أهل الأرض إلى تقرير الحرية السياســية ، اذ في جوها الطليق تنتعش تعاليم الاسلام وتنمو ، كما أن في جوها يذوق الناس طعم العدالة والأمان •

إن الحكم الفردي فساد عريض في الأرض والسماء ، وبيئـة خصبة للرياء والملق والعبودية . ووسيلة فذة لتكبير الصغار ، وتصغير الكبـار . وغمط الكفايات ورفع التفاهات ..!!

ويعجبني في تصوير مآسي الحكم الفردي قول الشـاعر «محمـد الأسمر» :

« ضاق على الضرغام يوما غابه
« وانقطعت من رزقه أسبابه
« فقال : للفهد أشر بما ترى
« فقال : إن الخير في ترك الشرى
« فمشيا في الأرض حتى وجدا
« غابا حوى من الوحوش عددا
« وبصرا بالقرد وهو يحكم ..!!
« يومىء باللحظ ولا يكلم ...
« منتفخ كالليث وهو قرد !
« منفرد بالحكم مستبد ...
« له بطانة بها الحمار ...
« مدخر للرأي مستشار ...!!
« والبغل فيها الشاعر المقدم
« وقنفذ الجحر الكمي المعلم ...
« والبوم للبشرى بكل خير ...!
« والببغاوات لحفظ السر ...!
« والضفدع الصداح والمغني ...!
« والذئب قائم بأمر الأمن ...!
« والجرذ القائم بالاصلاح ..
« والهر طاهي اللحم في الأفراح ..

« والدب للزمر وقرع الطبل !••
« والفيل للألعاب فوق الحبل !
« رأى الهزبر ما رأى فزأرا
« وقال للفهد : أحق ما نرى ؟!
« فقال : يا مولاي حق صدق
« جميع ما يفعل هذا الخلق ••
« ليس الذي ترى من الغرائب
« فنحن في مملكة العجائب !!••» •

★ ★

هذه الصورة الضاحكة الباكية لمملكة العجائب . هي التعبير الدقيق لأحوال الحكم الفردي . وما يشيع في أرجائه من أوضاع مقلوبة ، وألقاب مكذوبة •••

ومن المحزن أن هذا الحكم كان من أعظم البلايا التي أصابت الاسلام وأمته في الماضي والحاضر ••

إن الحكم المقبول هو ماكان ترجمة أمينة لرغبة الأمة ورأيها •

والحاكم الشرعي هو الذي ينظر اليه الجمهور على أنه وكيله وأمينه وحبيبه •

ومن الأقوال الشائعة : ألسنة الخلق أقلام الحق •• وهذه كلمةأصدق ماتكون في موقف الأمة الاسلامية من حاكمها •

فان كنت تثني عليه . وينشرح صدرها به . فهو حبيب الله : وموضع رضاه : وان ضاقت به وازورت عنه : وشهدت ضده ، فهو عدو لله ••

وفي الحديث عن ابن ماجه والامام احمد بن حنبل أن رسول اللهصلى الله عليه وسلم قال : «يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم» قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : « بالثناء الحسن والثناء السيء • أنتم شهداء الله في الأرض» •

والواقع أن الانتخابات الحرة هي الطريق الفريد لاختيار الحاكم الصالح ••

وأن الأمة الاسلامية يجب أن تتوفر لها جميع الضمانات المنتجة لهذا الاختيار الحر •

وإذا كان الحاكم الفرد شرا يجب اجتنابه . فلنتذكر هنا أن الحكم الشيوعي لا يعرف إلا هذا الأسلوب الشرير في تنصيب الحاكمين •

وأن مثالب الاستبداد التي تنسب للملوك هي أقل شرا مما يفعل حكام الشيوعية حيث كانوا •

والشعوب في ظل الأمراء الحمر أخفض صوتا . وأوطأ ظهرا ، وأضيع حقا ، منها في ظل أي حكم آخر ••

والنهضة الاسلامية التي تمد شعاعها اليوم ، تريد أن تجنب البشر هذا الهوان ، أيا كان مصدره . وتريد أن تحمي المسلمين من لوثات المستبدين . ومن جنون العظمة الذي يجري في دمائهم ••!!

★ ★

(٢) ــ وللمال آثار بعيدة المدى في معاش الناس ومعادهم ، وهو دون ريب قوام الدنيا وسياج الدين ••

وفي الاسلام مجموعة هائلة من النصوص التي تحكم تداوله وتوارثه وتبين كيف ينفق وكيف يكسب ••

ومعالم الحلال والحرام هي الدين كله • وفي الحديث «الحلال بين والحرام بين . وبين ذلك أمور مشتبهات لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام . فمن تركها استبراء لدينه وعرضه فقد سلم • ومن واقع منها يوشك أن يواقع الحرام • كما أنه من رعى حول الحمى أوشك أن يواقعه • ألا وان لكل ملك حمى • ألا ان حمى الله محارمه» •

وهذا الحديث لا يحتاج الى تعقيب في ضرورة تحري الحلال الصرف، وترك الحرام والتنزه عما جاوره ••

وضمائر المؤمنين هي المرجع الأول في هذا المسلك الشريف •

لكن دور القانون في تنقية المكاسب ، وحراسة الحقوق الخاصة ، والعامة ، لا يمكن تجاهله •••!

وقديما كان المحتسبون ينطلقون في الأسواق يمنعون الغش ،

ويرقبون الموازين ، ويضبطون المعاملات التجارية بضوابط الشريعة ، ويؤدبون من يحاول الاعتداء على حدود الله ..

ووظيفة المحتسب جزء من عمل الدولة قديما في تنقية المكاسب ، ونصب مصفاة للحلال والحرام ...

فهل بقيت مصافي الحلال والحرام مبثوثة في أنحاء المجتمع الاسلامي ترد السحت ، وتفرش العفة ، وتقيم حدود الله ؟؟

يبدو أن الحكام قديما شغلتهم الشواغل عن القيام بهذا الركن !!

أهو فرط ثقة بضمائر الناس ؟ ربما !

أهو قلة اكتراث بتعاليم الدين ؟ ربما !

لكن الذي نقف عنده متأملين . أن الخليفة الاول قاتل مانعي الزكاة .. فهل قاتل أحد بعده أولئك المانعين ؟

قد يقال : انهم لم يمتنعوا بعد ، أو امتنعوا سرا فلم تقم لهم عصبية مسلحة تقاومها الدولة بالسيف !

ومبلغ علمنا أن فريقا كبيرا من المؤمنين حريص على إيتاء الزكاة فور وجوبها في ماله ، وأن فريقا آخر يبخل بحق الله ، وأن الدولة المقصرة في وظيفتها لم تؤد واجبها في استخراج هذا الحق ، وايصاله إلى الفقراء والمحتاجين ...

والناس بازاء المال صنوف :

● فيهم من يسميه العامة بالنهاب الوهاب !!

والنهاب الوهاب رجل يجيد اصطياد المال حيث بداله ، فإذا امتلكه لم يلبث في يده إلا ريثما يعرف الوجهة التي يذهب إليها فهو كما قال الشاعر :

« لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق »

وعيب هؤلاء أن رغبتهم في الانفاق الخاص والعام ، تجرئهم على الكسب السليم والمريب ، وتدفعهم إلى استباحة أمور كثيرة ، وهم يعتذرون لأنفسهم في ضمائرهم بأن لا حرج في ذلك ما داموا لم يدخروا ما كسبوا ..!!

والاسلام يأبى هذا السلوك . وعنده أن العجز عن النفقة في الخير أشرف من السلب والتصدق ...!

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اكتسب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع ذلك كله جميعا فقذف به في جهنم» .

ومن نكت المصريين أن أحد حكامهم جمع مالا خبيثا ، وبنى منه مسجدا فكانوا ـ على طريقتهم في غمز الحكام الجائرين ـ يمرون بالمسجد ويقولون : هذا هو المسجد الحرام !!

● وإلى جانب النهاب الوهاب ترى الجوع المنوع !

وهذا صنف تتملكه شهوة الثراء ، والرغبة في الاكتناز . فهو يطوف بثروته كما يطوف الوثني بصنمه !..

.. وما يخرج منه شيء لله أو للناس إلا بخلع الضرس !!

والكانزون للمال على هذا النحو يحبسون خير الله عن التداول والنفع . ويملأون المجتمع بالعقوق والحقد ..

وفيهم يقول الله جل جلاله : «والذين يكنزون الذهب والفضةولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» . [1]

● ومع هؤلاء وأولئك ترى النقائض !..

فهناك الورع الذي يترفع عن عنبة أو بلحة من طريق مريب ،ويقيم رقابة دقيقة على فمه وما يدخل فيه ..

● وهناك من يسرق الضياع الرحبة ، والقصور المشيدة ، ويمشي فيها مختالا كأنه ما صنع شيئا !!!

واختلاف المسالك والمشارب لا غرابة فيه ..

لكن السؤال الذي تجب الاجابة عنه هو : هل الحكومة الاسلامية تقف محايدة بازاء هذه المسالك ؟

---

(١) التوبة : ٣٣ ــ ٣٤ .

لقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يأتـي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ أمن حلال أم من حرام» .

فهل الدولة تتفرج على هؤلاء ؟

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فأجاب : «الفم والفرج» ...

فهل وظيفة الدولة تنتهي عند ايراد هذا الوعيد ؟

الواقع أن اقامة حدود الله في الميدان الاقتصادي هو من صميم عمل الدولة .

وأن مصافي الحلال والحرام التي نوهنا بها آنفـا يجب أن تنصب عند كل مورد ومصرف تصل إليه يد القانون ..

★ ★

وعندما تتفرس في تاريخنا الماضي نجد الضمير المسلم كان يقظا على الاجمال في شئون الحلال والحرام . وإن كانت الطبقات الحاكمة ومـن اقترب منها قد تخوضت في مال الله بغير حق . وآلحقت بالاسلام وأمته إهانات وجراحات ..

بيد أنه من الانصاف القول بأن حساب الأرباح والخسائر يبقـى حصيلة تجعل الأمة الاسلامية أعصى على الشيوعية ، وأبعد عن الاصابة بهـا ..!

ذلك أن جمهرة العمال والفلاحـين في أنكد العهـود يطعمون ويكتسون أحسن مما يطعم ويكتسي فلاحو المزارع الجماعية ، وعمـال المصانع المؤممة في البلاد الشيوعية ..

ولا نحب أن نقارن بين شرين لنختار أهونهما ..

ولكنا نقول : إن المسلمين في أسوأ ظروفهم كان لديهم بقايا مـن تعاليم الدين تطعمهم من جوع وتؤمنهم من خوف ..

على عكس المجتمعات الأوربية والصينية وأشباهها ..

فان الأزمات قد تمر برجلين ، أحدهما مكتنـز ، والآخر نحيف . فينجو الأول ويهلك الأخير .

والثروة الطائلة من تعاليم الاسلام المالية قـد يذهب الاضطـراب

الاقتصادي بالقليل والكثير منها . بيد أن ما يبقى منها سيكون له أثره في تماسك المجتمع ...

أما الديانات الأخرى فان هزالها في هذه التعاليم يعصف بكيانها كله ، وذلك سر انتشار الشيوعية في أوربا وآسيا ..

لقد امتدت في فراغ ..

ومرة أخرى أرفض اعتبار هذا الكلام دفاعا على العوج الاقتصادي الذي عرا أمتنا في الأعصار الأخيرة .

فإن خلوها من المصفاة الدقيقة المنسوجة من تعاليم الشريعة في شئون المال ، جعل :

أغنياء كثيرين يثرون من سحت !..

- وعاملين يكدحون دون عوض مكافيء ..
- ومترفين يسرحون في ساحات البطالة ..
- وناسا يتقدمون بقوة المال مع فراغهم من المواهب ...
- وآخرين يتأخرون للاقلال الذي أحاط بهم دون سبب .....

الخ .

أترى هذا الفساد يعالج ببعض الأفكار الشيوعية ؟

ان ذلك كمن يعالج جريحا نزفت دماؤه بقارورة دم من فصيلة أخرى !!

إنها لن تجدد حياته بل ستسلبه حياته ..

إن الأمة الاسلامية لا تستشفي من عللها ــ لو أرادت العافية ــ إلا بتعاليم دينها وحده ..

★ ★

ومنذ أيام لقيني بعض الشباب لا أدري أهم يساريون حقا . أم أنهم يرددون ــ دون وعي ــ بعض الأفكار الحمراء ؟!

قالوا لي : ماذا لو ألغت الملكية الفردية ؟ أفي الدين ما يمنع ذلك ؟

واسترسلوا : لقد جاء الاسلام قديما فوجد مجتمعات تقر هذا الحق فلم يشأ اعتراضها ، ولو وجدت مجتمعات تنكر مبدأ التملك

الفردي لتركها ، وما ترى ؟

فقلت لهم : إنكم تريدون أن نقبل النظرية الماركسية باسم الاسلام!
أتعرفون هذه النظرية جيدا ؟

إنها قبل أن تكون إنكار حق التملك الفردي ، فهي إنكار للعقائد والعبادات ، ورفض بات للألوهية ، والنبـوة ، والوحـي ، والبعث ، والجزاء .

وقد يهز بعضكم رأسه استخفافا بهذه الأمور جميعا ، ويقول :نحن نبحث في الجانب الاقتصادي ...

وأقول لكم في حسم : ان الأمر عندنا ليس إقامة مجتمع من الدواب المتخمـة ...

إن أمعاءكم لو انفجرت من مقادير الطعام التي تزحمها في ظل نظام يوفر لها هذا العلف فهي عندنا مجتمعات حيوانية .. لا أكثر .

إن شئون العقيدة ، والعبادة ، وأساس السمع والطاعة لوحي الله كله ، أمور نعدها نحن في رأس القائمة لا في ذيلها ..

ثم أجيبكم بعد هذا التمهيد إلى ما تطلبون ...

إن الاسلام يصون الملكية الفردية صيانة تامة ، ما دامت تتكـون وتؤدي ما عليها وفق تعاليمه ، والعدوان على هذه الملكية صنو الاعتداء على العرض وعلى الدم ..

وقد قال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطـل» .

وقال : «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما..».

وقال : «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم علـى المسلم حرام دمه وعرضه وماله » .

وتعاليم الاسلام المقررة في جميع العقود التجارية والمعاملات المالية تقوم على هذا المبدأ ...

لكن يجب أن نعلم أن الاسلام كالكائن الحي تتعاون أجهزته كلها على القيام بوظيفة معينة •

فلنفرض أن مجموعة التعاليم المالية في الاسلام تشبه الجهاز الهضمي •• فهل هذا الجهاز يؤدي عمله في غيبة الجهاز الدوري،وتوقف القلب والرئتين عن العمل ؟

وهل هما معا يؤديان شيئا ، إذا انكسر العنق ، أو طار الدماغ••؟؟

إن الاسلام بضع وستون ، أو بضع وسبعون شعبة من الأعمال المتشابكة والتوجيهات المتماسكة •

وهي تمثل في جملتها كيانا معنويا لا يستغني بعضه عن بعض ولا ينجح بعضه في غيبة البعض الآخر ••

ومن ثم فنحن لا نفكر في اصلاح اقتصادي ، ونغمض العين عن الصلاة والصيام •••

وكارل ماركس وغيره من أصحاب الأفكار المهتاجة ليسوا هم الأساة لتقصير بعض الناس في ماضينا أو حاضرنا •

إن هذا «الماركسي» وغيره من الحمر ، هم في نظرنا نحن المسلمين مرضى يحتاجون إلى علاج طويل •••

وثم شيء أخير نقوله نحن المؤمنين ولا يقوله غيرنا :

ان لبركة الله مدخلا كبيرا في الشدة والرخاء ، والبأساءوالنعماء••

فهو لو بارك في ثمرات ستة ملايين فدان لجعل إنتاجها مساويا لعشرة ملايين •

وهو لو شاء لفتح من خيرات البر والبحر ما يشبع ويقنع •

إن الشيوعيين يقبلون على الحياة بكل ما لديهم من ذكاء ونهم ، ويضعون إحصاء لكل ما يضع الدجاج من بيض ، ويخرج الزرع من حب ، فكيف حالهم مع ما أبطنوا وأظهروا من كفر ؟

إن القشف والضنك هما حظ الجماهير •••

وعلى امتداد الأرض الحمراء لا ترى إلا الحاجة والضر ••

★ ★

(٣) ـ لا أدري متى ظهرت بين المسلمين هذه العاهة المهلكة ، عاهة

العجز عن الحياة ، والتخلف في مضمارهـا ، وقصر البـاع في معرفتها والافادة مَنها ...!!

لقد ظلوا دهرا طويلا وهم قادة الحيـاة الراسخـون ، وخبراؤها المبرزون ما شانهم قصور في حرب أو سلم ، ولا انكسرت هممهم أمـام بعيد أو وعر ...

ولكنهم ــ بغتة أو على مهل ــ جثموا على صدر الأرض لا حراك بهـم ! كأنهم عابر طريق أصابه الشلل فحبسه في جلده ، وخدر حواسه وأعضاءه فهو ميت حي !!

وحال المسلمين الآن لا تنجحهم في دنيا ، ولا تربحهم في دين .

إذا كان في العالم فقر وجهل ومرض فحظوظهم من هذه الآفات ــ ونعوذ بالله ــ موفورة ، وقواهم في دفعها محقورة ..

غيرهم يحكم الأمواج بأساطيله ، فأين سفنهم ؟

ويزحم البر بمنتجات السلام والقتال جميعا فأين جهودهم ؟

ودعك من تفجير الذرة وغزو الفضاء فليس للقوم هناك أثر !!

إن تخلفهم في الحياة لا يساويه إلا تقصيرهم في الاسلام ،وتفريطهم في جنب الله ..!!

لقد فكرت مليا : متى أصيب المسلمون بهذا البلاء ؟

ووجدت أنهم في الحروب الصليبية الأولـى هزمـوا دول أوربا مجتمعة ، وأن ما عراهم من هزيمة أول الأمر كان لأسباب خلقية ، ترجـع إلى نزاع الأمراء والملوك ..

والنزاع من خلائق العرب المحقورة ..!

فلما اجتمع الشمل اندحر الغزب وفل سلاحه !

وكارثة الأندلس تعود للعلة نفسها ، علة الأنقسام واتباع الهوى..

وقد استطاع الأتراك أن يحتلوا شرق أوربا ، وأن يبلغوا وسطهـا بعد ضياع الأندلس ..

ولم تكن قدرة المسلمين الصناعية ــ مدنيـا وعسكريـا ــ دون خصومهم ، بل المأثور أن مدافع المسلمين كانت أبعد مـدى ، وأن ملكة الاختراع كانت ناشطة في أغلب الميادين ...

ولكن يظهر أن هذا التفوق الأخير لم يكن طبيعيا ، أو هو بقية الاصالة القديمة في كيان العملاق الذي نبغ بعلمه وأدبه ، قبل أن تعمل جراثيم [1] الفساد الثقافي والاجتماعي على تبديد قواه وإطفاء بريقه ..

وهكذا شرع المسلمون ينسحبون في كل ناحية ..

وما هي إلا جولة أخرى حتى كانوا مصفدين بين أيدي أعدائهم..!!

ومن خلال الظلام السائد . ولد فجر جديد ولد منذ نصف قرن تقريبا ولادة طبيعية ، اذ أخذ زعماء الاصلاح في إيقاظ البصائر الغافية، وإعادة الرشد إلى الأمة التي فقدت رشدها وسعدها .

والنهضة الصحيحة لا تتم إلا بين يدي بعث علمي وقلبي ، رحب الأبعاد ! وذلك ما صنعه رواد هذه النهضة ...

وأذكر منهم على سبيل المثال : «جمال الدين الأفغاني» و «محمد عبده» ، «وحسن البنا» ..

إن اليقظة العلمية ، والعاطفية التي قادها أولئك النفر آمدت المسلمين بروح جديد وردت خصومهم مهزومين في أكثر من ميدان ..

وقد استطاعوا في غير تكليف أن يربطوا الأجيال الناشئة بدينها ، وأن يدفعوها في آفاق الأرض تحمل شعاره ، وتتحرى وجهته ، وتحيا ظاهرا وباطنا وفق تعاليمه ..

وقد نسبت إلى هؤلاء القادة الكبار أخطاء سياسية كبيرة وصغيرة! ليكن ، فهم ليسوا أنبياء ولا أشباه أنبياء ..

بيد أن ما أجرى الله على أيديهم من خير لا يجحده إلا مكابر .

وحسبهم أنهم مزقوا حجب الغفلة عن أمة تائهة .

وعرفوها بنفسها ومكانتها ، ثم قاموا الى جانب ذلك بأمرين جليلين :

---

(١) في رايي أن من اسباب انهيار الدولة الاسلامية استمساك العرب ببعض تقاليدهم الجاهلية لا التعصب القبلي وحده ، بل كراهية الاحتراف والضيق بالمهن الشريفة وازدراء الصناعة والفلاحة الى غير ذلك من خصائص البدو ، وطبائع الاعراب ، وذاك سر حملة ابن خلدون عليهم ...

أ ـ نوهوا بالاسلام وعظمته في وجه حكومات ارتدت عن شريعته، أو كانت في طريقها للارتداد .

ب ـ جعلوا المثقفين يوائمون بين معارفهم وعقائدهم ، وعلموهم كيف يسخرون الدنيا للدين ، فإذا المهندسون ، والكيماويون ،والأطباء، والصناع المهرة في كل فن يستفتحون أبواب الحياة باسم الله ، ويجعلون ساحات الكون العريض محاريب عبادة .

التسبيح فيها العمل في الحياة لرب الحياة والأحياء !!

وهذا أخصر طريق لاحياء أمة ماتت ، ونهب تراثها ، وجاس العدو خلال ديارها .

بل لا طريق إلا هذا التفوق الساحق في آفاق الحياة ..

إن أسلافنا ـ ابان العصور الأولى ـ لم يكن خصومهم أقدر على الحياة منهم ، فما كان أبو جهل أذكى من أبي بكر ولا أبرع !

وما كان «ريتشارد» أذكى من صلاح الدين ولا أبرع !

وما كان المسلمون وراء ساستهم وقادتهم دون أهـل الأرض في الخصائص الانسانية العادية ، بل كانوا في أغلب الأحيـان أرجح كفـة وأطول باعـا ..

والأمر الآن يحتاج إلى مزيد من الخبرة والقدرة .

لمـاذا .. ؟

لأن عبادة الحياة شاعت بين الناس شيوعا جعلهـم يستميتـون في الاكثار من ثرواتها وزهراتها ..

وهذه الوفرة في المتاع والحطام ساندت المبـاديء البـاطلة علـى الانتصاب والتطاول ..

فاذا لم يدعم الحق جانبه بالسلاح نفسه ، فالفشل مصيره ..

وقد لفت النظر في كتبي الأخرى إلى بعض الانحرافات الثقافية في مواريثنا . تلك الانحرافات التي لا تزال متداولة هنا وهناك في كتـب التصوف ، والكلام ، والفقه ، بقايا من عللنا الموجعة ، ورواسب من أيام الانحلال العلمي الذي حل بنا وأساء الينا ..



إن الاسلام الذي ندعو اليه ، ونبني النهضة على قواعده لا نجيء بـه من المريخ . إنما نرجع فيه إلـى كتاب الله بين أيدينـا والى نبوة واضحة السنن عالية الراية .

وقد ننحرف نحن عنه ، أو ينحرف من قبلنا ومن بعدنا ، غير أن ذلك لا يعكر صفوه ولا يطفيء سناه .

والأمة الاسلامية الكبيرة تعرف هذا الدين !

وعندما نوشدت به وردت إليه ، حثت الخطا إلى صراطه المستقيـم ، وثابت إليه من كل ناحية .

ولكن الاستعمار الذي هزمها عسكريا وضع ألف عائق دون هذه العـودة .

ولعل أنكى هذه العوائق وأقساها أولئك النفر من المسلمـين (!) الذين يرفضون إمضاء أحكام الله ، وإقامة شعائره وشرائعه ..!!

فإذا ناقشت أولئك سمعت كلاما مريضا عما يقع في ظل الدين ـ الدين مطلقا ؟ ـ من استبداد سياسي ، وعوج اقتصـادي ، وتخلـف عمراني !!

وهي شبهات بدد العلماء غيومها ، ورأيت فـي السطـور الآنفـة قيمتها ..

ونحن ما نقبل استبدادا ولا عوجا ولا تخلفا ، وما ندعو إلى الاسلام إلا لنقي بلادنا والعالم كله هذه السيئات .

إن الاستعمار الصليبي وطيء بلادنـا من ثلاثـة قرون تقريبـا ـ أما الاستعمار الشيوعي فقد طرق الأبواب من خمسين سنة (1) .

وهو ـ كما قلنا ـ يضم إلى أرباحه كل مـا ألحقتـه الصليبية بالاسلام من جراح ومتاعب ، وكل ما وضعته فـي سبيلـه من سـدود وعوائق ..

وأول هذه العوائق والسدود فصل العقيدة عن الشريعة ، والحكم

---

(1) اعني منطقة الشرق الاوسط ، والا فهو يقض اجنحتنا منذ قرنين كما قرات هنا .

على الأخيرة بالاعدام السريع ، والحكم على الأولى بالاعدام البطـيء •

وإقامة حكومات أو الرضا بحكومات تجعل عنوانها الحكم اللاديني، أو تسير على خطة تنتهي بالحكم اللاديني ••!!

وقد ماج العالم الاسلامي بفوضى هائلة خلال هذه المحـاولات ، تضاعفت فيها آلامه ، وتعقدت فيها قضاياه !!!

فلنترك أولئك الذين يصفون الدين بأنه رجعية بالية ــ والدين هو الاسلام لا غير !! ــ فان هؤلاء الخراصين بين جاحد يعرف مكابرته أو كاذب يعرف قصوره ••

ولننتقل إلى نوع آخر من الناس أشد خطورة من سابقه •

هذا النوع من الناس يزعم الايمان ، بل لا تنقصـه الجراءة ليقول لـك : إنه أعرف منك بالله وأغير على دينه •!!

ولكنه يفهم الاسلام بعقل مرن ، وتفكير متحرر ، لا كما يفهمـه الجامدون من الشيوخ •

حسنا ، فلنر نماذج من هذا التجديد في تفهم الدين ••

سمعت أحد هؤلاء يذكر أنه يأكل لحم الخنزير ! لمـاذا وقد حرمـه اللـه ؟

لا ••• ان ذلك يوم كانت المراعي رديئة موبوءة ، أما في عصرنـا حيث الاشراف الطبي على المراعي والحظائر فلحم الخنزير مباح ••!

وسمعت آخر يطلب المساواة في الارث بين الرجل والمـرأة ، لماذا وقد جعل الله نصيب هذا ضعف نصيب تلك ؟

لا ••• ذلك يوم كان العلم والعمل وقفـا على الرجال • أمـا الآن فالمرأة والرجل سواء في العلم والعمل ••

ورأيت آخر يدع الوضوء والصلاة ، ولا تنقصه الصفاقة ليقـول : إنه أعرف بالله من الركع السجود •••

لكن لماذا لم تصل وقد امر الله المؤمنين بأداء الصلوات الخمس ؟

لا ••• ذلك كان لتدريب الناس على الأخـلاق الحسـنة ، وقد استكملنا أكثر من غيرنا تلك الخلال ••

ويفطر أحدهم في رمضان ، ويأمر الآخرين بالفطر (!) ويضع قدما

على أخرى في مكتبه وهو يهتك حرمة الشهر ويشرب القهوة والدخان !!
لكن لماذا تفعل ذلك وقد قال الله : «كتب عليكم الصيام» [1] •
لا ••• ان هذا الصوم يضعف الانتاج !! ونحن في عصر يتطلب المزيد منه ••
ويقضي أحدهم زهرة شبابه يسطو على الأعراض ويقترف الفاحشة فإذا اعترضت طريقه ••• قال : هذه طبيعة لا بد أن تجاب •
لكن الزنا جريمة تستحق سوء العذاب ؟ الجلد في الدنيا، والجحيم في الأخرى •
وهنا يتضاحك على حدود الله من جلد ، ورجم ، وقطع ، وعلى التخويف بالآخرة •••!!
وليس يختلف مسلم ومسلم في أن جحد الفرائض واستباحة المحارم كفر بالله والمرسلين •
وأن دعوى هؤلاء الناس للاسلام مرفوضة جملة وتفصيلا •
وأن حقائق الدين أصلب من أن تسيل مع ميوعة هؤلاء الأفاكين••
وفي أثناء الاحتلال الغربي للبلاد الاسلامية بين المحيطين الهادي والأطلسي ، صنعت أجهزته الثقافية ألوفا مؤلفة من هؤلاء المأفونين •
فلما انسحب عسكريا ترك شئون البلاد الادارية والسياسية بين أيديهم !!
أتراه خرج وقد استخلف من بعده هؤلاء المارقين ؟
وهذا الصنف من المسلمين • عربا أم غير عرب هم دعاة الحكم المدني المبتوت الصلة بالاسلام •
هم القائلون بأن الدين علاقة شخصية بين الانسان وربه لا تتعداهما إلى المجتمع •
وأخيرا ••• هم الذين اعتنقوا الشيوعية لما راق لهم اعتناقها ، وانبثوا في كل ناد يهونون كفرها ويزينون شرها ••
ونحن لا نستغرب كفر كافر ولا معصية عاص ، إنما نستغرب إصرار

---

(١) البقرة : ١٨٣ •

هؤلاء على دعوى الاسلام مع فراغ قلوبهم منه ، وإبائهم الانقياد لتعاليمه وأحكامه ...

ويظهر أنهم وجدوا هذا التظاهر لعبة سياسية ناجحة . أو خدعة تدفع غضب العامة من المؤمنين فاستمسكوا بها لفائدتها فحسب .

وبين يدي وأنا أكتب هذا الفصل كتاب عنوانه : «المغرب المسلم ضد اللادينية » ألفه السيد « ادريس الكتاني » نضر الله وجهه ، وبارك جهاده ،

والمؤلف في كتابه القيم يحارب نزعة الحكم اللاديني التي نبتت في المغرب غداة تركته فرنسا بعد جهاد إسلامي صميم !!

هكذا يلد الاستعمار العسكري استعمارا ثقافيا يحل محله !!

ووقفني وأنا أقرأ الكتاب حوار بين المؤلف وصديق له من رجال حزب الاستقلال ، كان المؤلف يعتب على صديقه هذا تأييده إقامة حكم لا ديني في البلاد ويقول له :

« كنت آخر شخص يمكن في نظري أن يؤيد اللادينية في الحزب لما أعرفه من تربيتك الاسلامية وغيرتك الدينية ، وكم يؤلمني أنك سايرت القافلة ...!

« قال : أي خطر في اللادينية ؟ انها شيء ينسجم مع الديمقراطية التي نؤمن بها ، والاسلام نفسه لم يعارض في منح المواطنين ــ بقطع النظر عن أديانهم ــ جميع الحقوق المدنية على قدم المساواة ، كما هو الحال في مصر ، وهذا ما نريد أن يتحقق في المغرب أيضا !! .

« قلت : انك تناقض نفسك فمصر التي تحتج بها دولة إسلامية أثبتت في دستورها الملكي القديم والجمهوري الجديد ، المادة التي تنص على أن «دين الدولة هو الاسلام» وهذه حجة عليك تثبت أن الدولة الاسلامية لا تحرم أي مواطن من حقوقه المدنية ولا السياسية كما هو الشأن عندنا اليوم في المغرب حيث لا نزال ــ بحمد الله ــ دولة اسلامية .

« .. على أن اللادينية ليست كما فسرتها . فهي أخطر من ذلك اذ هي الفصل بين الدين والدولة أي تجريد الدولة بجميع مؤسساتها من كل

صبغة دينية ، هذا اذا لم تقع محاربة الدين علنا كما حدث في تركيا ــ أو مداورة كما يحدث في البلاد الاسلامية المنكوبة بحكم مدني صفيق ــ.

« وهذا الفصل اذا كان له ما يبرره في الدول المسيحيــة فالأمــر بخلاف ذلك في الاسلام .

« قال : ولكننا لا نفهم اللادينية هكــذا ، ولن نطبقهــا بهــذا الشكل [1] .

« قلت : هذه هي اللادينية كمــا يفهمهــا السياســيون وتطبقهــا الحكومات اللادينية في العالم ، ولن يغــير من هذه الحقيقة أنك تفهمهــا بشكل متواضع .

« قال : ان الأمر يعنينا نحن لا غيرنا . وعندما يحين وقت تطبيقها سنفسرها نحن كما نفهمها ونطبقها حسب مصالحنا !

« قلت : في ذلك الوقت لن تسأل أنت عنهــا فالذين أوحوا بهــا لا يجهلون حقيقتها وأهدافها البعيدة ، واعتراضك أو تأويلك يومئذ سيكون متأخرا عن وقته ...

« .. فالسيد «عبد القادر بن جلون» يوم أعلن «لادينية حــزب الشورى والاستقلال» للصحافة في ــ ايكس ليبان ــ لم يستشر الحزب في ذلــك .

« ويوم يصبح في الحكم ويستطيع فرض النظــام اللادينــي على الدولة لن يستشير الشعب المغربي ، ولن يأخذ رأيك في الموضوع .

« قال : ان الذي دفع الأستاذ «ابن جلون» لتصريحاته في پـايكس ليبان ، هو الرغبة في كسب عطف اليهود [2] في وقت كنــا فيه محرومين

---

(١) ساسة الغرب جعلوا المثقفين في العالم الاسلامي يكفرون على أقساط ، بالتعبير «التجاري» ! فهم يخلعون المسلمين من دينهم جيلا بعد جيل أو جزءا بعد جزء وهم يرون أن الزمن معهم ليبلغوا النهايــة التي يريدون... والنهاية التي يريدون هي سحق الاسلام بالتدريج ان عز سحقه دفعة واحدة .!!

(٢) تدبر هذا التفكير ، يعلن العرب ترك دينهم كسبا لعطف اليهود !! اي يهود ؟ اليهود الذين اقاموا دولتهم على أنقاض العروبة والاسلام ... ولكن الحكم المدني يفعل اكثر من ذلك . ولولا قرب العهد بفجيعة فلسطين ، ولولا بقايا الاسلام النابضة بالحياة لفعلت الحكومات المدنية مــا هو أدهى وأمــر فجهرت بالانسلاخ عن الاسلام ، وبترك ما يريد الاستعمار تركه لليهود وغير اليهــود ...

ن كل شيء في بلادنا • فهي للاستهلاك الخارجي فقط !!••
« قلت هكذا ظننت يومئذ • ولكن حرص «ابن جلون» على نشر هذه التصريحات في جريدة «مارك بريض» بالمغرب ماذا كان يعني ؟
« قال : ليطلع عليها يهود المغرب •
« قلت : ومسلموه أيضا في نفس الوقت • فهل يصح أن نقول أيضا إنها للاستهلاك الخارجي فقط ؟!••
« وتسرب اللادينية بعد ذلك إلى مبادىء الحزب وصحافته ، ومحاضرات قادته ، وتوجيهاتهم وسياستهم ، رغم استقلال المغرب ،وزوال أسباب التملق والتقرب ، هل كل ذلك لمجرد الإستهلاك الخارجي أيضا ؟!!!» •

والذي حدث في المغرب على شاطيء الأطلنبي صورة تشبه ما حدث في كل الدول الاسلامية حتى شاطيء المحيطين الهندي والهادي •••

لقد خرج الاستعمار العسكري تاركا وراءه خطة دقيقة لاقصاء الاسلام عن ميادين الحياة العامة جمعاء ••

فالدولة لا تأذن لشريعته بدخول المحاكم ، ولا لفقهه وتربيته بدخول المدارس ، ولا لصبغته وشعاراته بالظهورفي اتجاهاتها الداخليةوالخارجية

والتقاليد في البيت والشارع لا تلتفت لحلاله ، ولا لحرامه ، ولا تكترث بفرائضه أو نوافله ••!!

ربما استبقيت بعض المساجد لمن شاء أن يزورها ••

ومن لا يرد فلا حرج عليه من ترك الصلاة ونسيان الله !!

★ ★

وفي سبيل الشغب على الاسلام استعملت كلمة العروبة استعمالا ينطوي على الختل والعبث والتناقض •

فقد تسمع الحديث عن الاشتراكية العربية فتسأل : من أين انبجست ينابيع هذه الاشتراكية ؟

من شعر امريء القيس وعنترة ؟!

من خطب قس بن ساعدة أو كذاب اليمامة مسيلمة ؟!

إن العرب لم تعرف تنظيما سياسيا ولا اقتصاديا إلا بعد ظهور الاسلام .

بل لم تعرف التجمع في إطار قومية عامة تجعل منها أمة بعد أن لم تكن أمة إلا بعد ظهور الاسلام .

فما سر الحرص على بتر العنوان الديني وإبعاد الصفة الاسلامية ؟

إن إبعاد العنوان الاسلامي مقصود في ميادين شتى كأن الاسلام شبح مفزع ...!!

واخفاء لكلمة الاسلام توضع أحيانا هذه العناوين «رسالات السماء» «القيم الروحية» «المثل العليا» «عاطفة التدين» «المواريث الثقافية» أو « الايمان ... » .

الايمان بماذا ؟ الايمان فقط ... لكي يفسره من شاء بما شاء !!

والغموض أو الميوعة مقاصد قد تروج في ميدان السياسة حيث التلاعب بالألفاظ ، ومخاتلة الخصوم ، والضحك على الذقون ..

أما في ميدان التربية فالوضوح التام أساس التعليم والتقويم والتوجيه والتنشئة ، ولا مكان لابهام أو لبس أو اخفاء .

ووقع صلح أخيرا بين ما يسمى «بالقومية الأفريقية» و «القومية العربية» !!

والقومية الافريقية مولود جديد في عالم السياسة . ونحن أشد الناس ترحيبا بمحو الألوان الأجنبية عن سكان هذه القارة المحرومين وأشد الناس رغبة في أن يشقوا مستقبلهم بأنفسهم دون أثقال على أفكارهم أو ضمائرهم .

لكن هل سماسرة الغرب الصليبي وأولهم حكام «أثيوبيا» يستهدفون ذلك ؟

أم يريدون اللعب بمستقبل الشعوب المسلمة في هذه القارة وقطع الطريق عليها ؟

وهل سدنة البعث العربي يشدون أزر العرب والمسلمين المناضلين في هذه القارة ، أم يلوذون بالصمت المطلق إزاء كربات المكروبين في «أريتريا» و «الصومال» وغيرهما .

إن العروبة حين تتنكر للاسلام فهي تبخع نفسها ، وتنكس رأسها ، وتلغي وجودها ، وتطوي أذيال النسيان على تاريخها كلـه مـن حاضر وآت !!

وتسأل بعـدئذ : أأولئك عرب حقـا متعصبـون لجنسهـم ولغتهم وتقاليدهم وتاريخهم ؟ فتجد الوقائع ضد هذا الزعم ...!!

إذا ثار نزاع بين اللغة العربية واللغة العامية رأيت هؤلاء العرب «!» مع العامية ينصرونها ويخذلون العروبة !!

فهم يؤيدون أن تكون العامية لغة الاذاعة المسموعة والمرئية .

وهم يحاربون الشعر القديم ويلتفون حول هراء اسمـه الشعـر المنثور أو النثر المشعور !!

وهم في ميدان العلم يؤيدون أن تكون الانكليزية لغـة كلية الطب وغيرهـا ..

ومن هنا بدأت اللغة العربية تنكمش انكماشا خطيرا ومعيبـا في آفاق الفنون والمعارف والصناعات بل حتى في أثاث البيوت .. لأن ألوفا مؤلفة من الكلمات المحدثة والمصطلحات الجديدة فرضت نفسهـا بلغاتها الأولى مع ترحيب وسماحة عرب آخر الزمان ..

والمعروف أن العرب يغارون على الأعراض وأولئك لا غيرة لهم .

والمعروف أن محمدا لو لم يكن نبيا لكان معجزة العـرب وفخرهم إلى آخر الدهر .

وأولئك تضيق صدورهم بمحمد ورسالته !!

فأي عروبة هذه ؟

الحق أن الأمر من أوله الى آخره لا يعدو محاربة الاسلام في الفرد والمجتمع والدولة .

وهي محاربة شبت نارها لحساب الصليبية الغربية بدءا ، ثم لحساب الشيوعية ختاما . والعرب المسلمون هم الضحية ..

★ ★

إننا نحن المسلمين لا نستطيع أن نقسم القرآن نصفين ، نصف نقبله ونصف نهمله .

ونحن نعرف آثار الضعف البشري ونعــرف أن كثيرا من النـــاس يعجزون عن بلوغ الكمال وتحقيق الخير •

لكن هذا شيء • وتعمد إماتة الوحي الالهي شيء آخر •

قد يستخفي امرؤ في جنح الليل ويقترف رذيلة ما •

وقد ينتهز فرصة انعدام الرقابة ليفعل ما لا يليق •

وقد يفرط في أداء واجب لخمول في ارادتــه ، أو يتهاون في فريضة لغلبة في شهوته •••

تلك كلها معاص تشين الانسان ، وقد تتصور ويتصور معها إيمان عليــل •••

لكن الذي لا يتصور ، أن يتضافر مجتمع في وضح النهار ، وعلى ملأ من الناس ، وعلى بينة مما يقصد ، ويقرر تــرك الفــرائض المقررة ، وارتكاب الآثام المحظورة ، ثم يزعم أنه مؤمن !!

إننا نحن المسلمين نقرأ كتابنا وسنة نبينـــا فنحس أن ديننـــا كيان اجتماعي تام ، وليس رباطا سريا أو علنيا بين رب العالمين وامريء فذ مــن خلقــه •

والمجتمع الاسلامي يقوم على الاقرار بوحدانية الله ، والشعــور بالخضوع له في كل ما أمر بــه ونهى عنه •••

ان الله خلقنا لنذكره لا لننساه ، ولنعيش وفق مــا شرع لا لنعيش وفق ما نهــوى •

وقد قامت دولة الاسلام الأولى على هذا الأساس المبين ••

فاذا كنت روسيا مثلا تربي الناشئة على أنه لا إله ، وبالتالي ترســم لهم في علاقاتهم مناهج من وضعها فنحن المسلمين نربــي الناشئة على أن الله حق وأن ما أوحى به الى رسله الأكرمين هو أسلوب حياتنا •

ولا انفكاك أبدا بين الايمان به ، والانقياد لشرعه •••

فاذا قال أحد نؤمن به ولا نصلي له نقول له : كذبت ••!!

واذا قال نؤمن به ولا ننفذ أحكامه في المواريث والجنح والجنايات نقول له : كذبت ••

الاسلام كل لا يتجزأ ، والرضا بخرق آية كالرضا بخرق الدين كله••

ورجال الحكومات المدنية بتأثير التربية الاستعمارية يمارون في ذلك جهرة أو مخافتة ، ويحاولون تغطية موقفهم بقبول بعض المراسم الاسلامية المحدودة .

وهذا بيقين دريعة الأجهاز على أندين جملة خلال سنين تقصر أو تطول ...

إن الله بعث محمدا ليعالج به فساد أهل الكتاب ، ولينفض الغبار عن وجه الانسانية الوضيء .

وقد تميز دينه بالحفاظ التام على الحقيقة كلها ورفض أي خدش لها ...

وقد رأينا من عيوب أهل الكتاب في عصرنا هذا ما زادنا اعتصاما بالاسلام ، واستماتة في الدفاع عن حقائقه ..

● لقد رضوا بمجتمع تسوده رذائل الربا والزنا والسكر .... وأخيرا اللواط .

● وسكت المتحدثون الرسميون باسم الدين عن هذه المناكر .

● ورضوا بمجتمع تسوده التفرقة العنصرية ، والمظالم الاجتماعيه ، واذلال الشعوب ، وسرقة خيراتها ..

● وسكت المتحدثون الرسميون باسم الدين عن هذه المناكر .

● ومن قبل ذلك سكتوا عن جوهر التوحيد وهو يلتبس بالتعدد والشرك ، وسكتوا عن الحلال يحرم والحرام يحل ...

ووصف القرآن هذه الأحوال الشنعاء فقال :

« وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون . لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون» . (1)

ونحن المسلمين نأبى لرسالتنا هذا المصير .

نريد بناء دولة توالي الله ، وتوقر اسمه ، وتسبح بحمده ، وتحترم وصاياه في العبادات والأخلاق ..

---

(1) المائدة : ١٦٢

وهذه الدولة قامت القرون الطوال فوقع التعصب عليها ولم يقع منها .

كفلت رعاياها من غير دينها فما فتنتهم ولا أفزعتهم .

أما غيرها فتاريخه ناطق باضطهاد المخالفين او استئصال شأفتهم .

ماذا على النصرانية لو تركت الاسلام يأخذ طريقه في الحياة دون منغصات وعوائق ؟

من يدري ؟

قديكون أقدر منها على محاربة الالحاد الذي يهددها ويهدده .

إن الضغط الصليبي على دول الاسلام اليوم هو سناد الحكومات المدنية في اطراح تعاليم الاسلام .

ومعروف أنه في جو الحرية التامة سيقيم المسلمون حكومات تحيي العبادات التي همدت ، وتعيد القوانين التي أقصيت ...

بيد أننا سنظل نجاهد هذا الضغط ، وقرينه الجديد ، الزحف الأحمر ، حتى يتم الله هذا الأمر أو نهلك دونه ..

★ ★

ورأينا أن الدول الاسلامية في العالم كله وقد اكتنفها ملابسات تردها إلى الله ، وتدفعها الى صراطه المستقيم ، فان الدول الغربية مصرة، على انتهابها وتمزيقها ... وإبعادها عن دينها اليوم أو غدا ..

والدول الشيوعية طامعة أشد الطماعية في استغلال حاجتها وسلخها عن دينها كذلك طوعا أو كرها ..

فهل نرجو أن يثوب الحكام المسلمون الى ربهم ، ويعزموا عزما وثيقا على احياء الاسلام ، واعلاء رايته ؟

إن هذا يتطلب نية واضحة ، وثقة في الله ، وانفرادا بالتصرف دون وجل من بشر ...

وإذا أوجدت هذه النية وصاحبها العمل الصادق ، فانه على مرالأيام سيبرز على الصعيد العالمي كيان إسلامي شريف ينصر اليقين والفضيلة والعدالة والشرف ...

ونقول : على مر الأيام ! لأن ما فسد خلال سنين طوال لا نرتقب

صلاحه على عجل • حسبنا ــ كما قلت ــ أن ننوي العودة إلى الاسلام ونبدأ العمل من أجله ، ولن يطول بنا عهد حتى نصنع لله مجتمعا يؤمن بـه ، ويعلي كلمته ، ويسعد ببركاته ، ويؤدي رسالته ، ويستعيد أمجاده الأولى •••

وتقتضي هذه النية المنشودة أن يقوم الحكام المسلمون في العالم أجمع بأمرين ــ أحدهما في الداخل والآخر في الخارج :

● أما في الداخل فلا بد من إصلاحات شاملة للقوانين ترد للشريعة الاسلامية مكانتها في القضاء والفتوى •

واصلاحات مماثلة في ميادين التربية والتثقيف تصون العبادات المفروضة يومية أو أسبوعية أو سنوية وتحمي الآداب والتقاليد فلا تأذن بتبذل أو انحلال •

لقد ذهبت يوما لصلاة الجمعة فرأيت مجموعة من الغلمان يلعبون الكرة غير بعيد عن المسجد ، ما أبهوا لنداء ، أو احتفوا بذكر الله •

فقلت هذا هو الجيل الهابط !

ونظرت إليهم وأنا أتذكر الأخطار التي تهددنا من الصهيونية العالمية ومن وراءها ، وكاد يساورني القنوط ، فما بهؤلاء يقترب النصر !!

والغريب أن لعب الكرة عندنا في مبارياتها الرسمية يتم في رمضان واللاعبون مفطرون !! وبالتالي لا يصلون !!

إن الدولة الاسلامية لا تقبل بتة هذا العصيان •

إنه لو خصصت في الصحف صفحة للتربية الدينية كصفحة الألعاب الرياضية لكان لها بعض الأثر !!

ولكن أنى يتم ذلك وعاطفة التدين ناضبة ؟

ان الدول العربية الآن نوعان : نوع يوصف بالتقدم ، وآخر بالتخلف !

ذلك حسب ميلها إلى النظم الاشتراكية •

ورأينا أن هذه وتلك تنقصها أمور جوهرية لتستكمل الصبغة الاسلامية ، وهي عندنا الهدف الأكبر والأرشد •••

فان أصول الحكم في بعض هذه الدول لا تتسق مع مراسم

الشورى الاسلامية أو ما يسمى في عصرنا ــ الديمقراطية الحديثة ــ كما أن أصابع السلطة الفردية تعبث في المال العام بأسلوب فيه افتيات على الجماهير ، وفيه من قبل ومن بعد انحراف عن تعاليم الدين ..

وتلك حالة نستنكرها وما يشفع في قبولها صيام أو قيام .

أما الدول الموسومة بالاشتراكية ، ولنبدأ بالجزائر فلنا عليها عتب قصير !!

لقد كان الاسلام سلاحها في كفاحها ، وكان لفظ الجهاد ــ العنوان الشرعي ــ لقتالها المرير مع الفرنسيين .

فلما كلل الله جهادها بالنصر تسمت بأسماء كثيرة ليس من بينها الاسلام ، فهي «الجمهورية العربية الديمقراطية الشعبية الجزائرية ...» على ما أذكر !!

حتى صحيفة «الجهاد» سميت صحيفة الثورة !!

ونحن واثقون من أن الشعب الجزائري وفي لدينه . بيد أننا نوقظه الى دسائس السياسات العالمية المعادية للاسلام حتى يبقى على دربه القويم القديم ...!!

ومن حقنا ــ ونحن نتحدث عن الاشتراكية ــ أن ننوه بما كتبنا في الأربعينيات [1] من رسائل إسلامية في هذا الموضوع ، زلزلت القارونية الكائزة ، كما أقلقت الفرعونية الحاكمة .

ولا نفخر بهذا ــ معاذ الله ــ بل ننبه إلى أن الدعاة المسلمين كانوا أسبق من الكل إلى الاصلاح الاقتصادي بوحي من دينهم ، وباعث من اخلاصهم لله وعباده ...

ونحن ما زلنا متحمسين لكفاية الانتاج وعدالة التوزيع .

لكنا نرى هذه الاصلاحات جزءا من البرنامج الاسلامي الذي يشمل الجسد والروح ، والدنيا والآخرة ، والصلاة والعفاف ، وتحريم المحرمات واقامة الأركان ...!!

---

(١) التاريخ الميلادي هو الغالب عندنا للاسف .

ذلك ما ننشده في الداخل ونعده تحصينا لبلادنا ضد الالحادالأحمر والأغبر الواردين من الشرق والغرب •

★ ★

● أما في الخارج •• فهناك دول ارتدت عن الاسلام كتركيا،وهذه يجب أن تعود لدينها وتتمشى مع الكثرة العظمى من شعبها •

والشعب التركي يحن إلى الاسلام وما يذاد عنه إلا بالسيف،والنار••

وهناك دول لا تهتم بأمر المسلمين ، وإن استبقت اسم الاسلام وهي الدول التي تتعاون مع اسرائيل وتوالي من أقاموها •

وواجب هذه الدول أن تقطع علائقها مع أعداء الله الذيناستباحوا ديارنا وأموالنا وأهانوا كرامتنا وتحزبوا ضدنا ••

ولنا بعد ذلك كلام مع دول الجامعة العربية •

إن التصاقها بالاسلام أصبح ضرورة لحياتها وبقائهـا ، ولا معنى لتجاهل التاريخ والواقع •

إن قضية فلسطين إسلامية وليست محلية ، فلماذا تبعد ابعادا عـن الاسلام ؟!

ثم إلى متى تتجاهل الدول العربية آلام المسلمين في أنحاء الأرض؟

لقد سلمت دول الجامعة «إريتريا» الى «الحبشة» ، وهي تعرف أن مسلمي الحبشة يذوبون في أتون التعصب الكالح العنيد •

فماذا حدث ؟

أكلت الحبشة الاسلام والمسلمين في القطر المضموم إليها والجامعة لا تهتم ولا تريد أن تهتم بشيء من ذلك •••

واغتصبت «الحبشة» أجزاء من «الصومال» المسلم ، ويبدو أنهـا اتفقت مع فرنسا على اغتصاب البقية خلال العام القادم بعـد أن تجلـو فرنسا عما تحتله من هذا القطر المستباح •

ومع ذلك فان دول الجامعة العربية ترتبط مع الحبشة بأواصرصداقة متينـة •

ذلك في الوقت الذي تعترف فيه الحبشة باسرائيل وتمدها بمقادير هائلة من الأغذية والعتاد !!

فما معنى هذا كلــه ... ؟

أخشى أن أقول : ان نزعة البعث العربي التي أنضجهــا الاستعمار أخيرا قد جرأت العرب على خيانة رسالتهم ، ونبذ الولاء لدينهم وتجاهل المنتسبين إليه هنا وهناك ..!!

إن الحكومات العربية ينبغي أن تكون وفية للاســلام وشعوبــة الكثيرة ، تحزن لآلامهم ، وتكترث لقضاياهم ، وتسارع إلى نجدتهم .

فاذا لم يكن لديها العون الفعال ، فليسعــد النطــق ان لــم تسعد الحال ...

أما أن يستقبل جلادو الاسلام وأهله بالتكريم والاجلال في عواصم الأمة العربية ، فذاك ما يندى له الجبين ، بــل ما تقشعر منه الجلود ...

والآفة الكامنة وراء هذه العظائم المفزعة ، هــي في الحكم المدني الذي يبتعد عن شارات التدين وعواطفه الطبيعية ، أو الذي يكره الاسلام كرها غريبــا .

إما عدم إيمان به ، واما بعدا عن الاتهام بالتعصب ....

وقد كشفنا سوءات هذا اللون من الحكم في كتبنا الأخرى . غير أني قرأت للاستاذ « ادريس الكتاني » في كتابه « المغــرب المسلم ضــد اللادينية» بحثا يتضمن علما زائدا ، وحقائق جديدة ، أرى أن أمد شعاعها في كتابنا هذا ، ليعرف مَن لا يعرف طبيعة الحكم الاسلامي وخصائصه، والفروق بينه وبين الحكم الديني كما عرفته أوربا ... قال :

★ ★

١ ــ «لقد كانت المسيحية ديانة خلق وروحانيــة ، هدفهــا تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق للأجيال التي عاشت خلال القرون الســتة التي سبقت الاسلام ، طبق استعدادها النفسي والاجتماعي والفكري في ذاك العهــد .

« فاذا عرفنا أن هذه الأجيال كانت تعيش في جهالة وبداوة ،أقرب الى الطبيعة الحيوانية منها إلى الحياة المدنية ، أدركنا السر في أن اللــه تعالى لم يزود السيد المسيح بأكثر مما اشتملت عليه ديانته وقتئذ .

« فلما جاء الاسلام بعد هذه القرون الستة كان نضج الفكر البشري

طور الحياة الاجتماعية قد بلغا مستوى أصبحت معه المجتمعات البشرية
ى استعداد لتلقي وتطبيق تعاليم وأنظمة كاملة ودقيقة لبناء حياتها على
س علمية جديدة ، وفي اطار اتحاد وتعاون أكبر ينسجم مع تقدم الفكر
طور الحضارة .

« وعلى خلاف المسيحية جاء الاسلام شريعة كاملة خالدة ...

« ولم يكن دينا فقط ختم الاديان السماوية التي أوحي بها في
اريخ ، انه كذلك . وبصفة خاصة مجتمع روحي واشتراكي ونظام
ياسي وأسلوب للعيش أو كما وصفه «روني كروس» : أخوة تتوارثها
م واجناس في مجتمع متحد تحت رعاية الله لانجاز إرادة الله [1] .

« ويمتاز الاسلام ببساطة عقيدته ومرونة أحكامه .

« وتأتي هذه المرونة من كون الاسلام عني بوضع القواعد الأساسية
لأخلاق والحرية والعدالة ، والأصول التي يقوم عليها نظام الحكم
المجتمع . والعلاقات الفردية والدولية ، تاركا للأمة «حق الاختيار» في
طبيق أحسن الوسائل ــ حسب امكانياتها وظروفها الزمانية والمكانية .

« ولكي تظل هذه «المرونة» حية مع الزمن اعتبر الاسلام
الاجتهاد » [2] أحد أصوله الأربعة في التشريع ، وفي عصور الاسلام
ذهبية كان علماء الاجتهاد يسيرون جنبا الى جنب مع التطور الاجتماعي
يجدون حلولا للمشاكل الجديدة . ولم يخطر ببالهم أن الاسلام يمكن
ن يعرقل هذا التطور في وقت من الأوقات .

« فمن تلك البساطة وهذه المرونة ينبعث سر عظمة الاسلام وسر
نجاح الذي عرفه في العالم خلال قرون طويلة من التاريخ كما اعترف
ذلك كثير من المستشرقين والنقاد .

٢ ــ « إن بعض ما اشتملت عليه المسيحية من التعاليم في الحياة
لاجتماعية والمدنية إذا كان صالحا للقرون الستة الأولى للميلاد فقد

---

(١) عبارة لمجلة «باري ماتش» الباريسية من مقال كتبته عن « محمد »
صلى الله عليه وسلم في خمس صفحات .

(٢) لعله يقصد القياس والاستصلاح .

أصبح التقيد به عسيرا بعد عصر النهضة • فالزواج مثلا تعتبره المسيحية عقدة دائمة بين الزوجين مدى الحياة لا يمكن فسخها مهما كانت الأسباب•

« وهذا القانون لا يتطابق دائما مع حاجات الناس ، ولا ينسجم مع طبيعة العلاقات الزوجية ، وقد تخلصت منه بعض الشعوب المسيحية بتطبيق «النظام اللاديني» بينما ظلت الدول الخاضعة للسلطة المسيحية كأسبانيا وفية له حتى الآن •

« ونتج عن ذلك انهيار خطير في بناء الأسرة،فعندما ينفصل الزوجان عمليا ، ويصبح التفاهم مستحيلا بينهما ، ثم يمنعان من الطلاق رغم إرادتهما المشتركة يندفعان بطبيعة الحال إلى ربط علاقات أثيمة يبيحها العرف ويمنعها القانون ••

« ومن جهة أخرى نجد أن القيود الشديدة التي وضعتها الدول اللادينية نفسها ضد الطلاق لم تحم الأسرة من هذا الخطر ، بل ربما لم تؤثر حتى في التقليل من نسبته •

« فالاتحاد السويسري الذي يعتبر مثلا في الازدهار والاستقرار السياسي تفوق نسبة الطلاق فيه حد التصديق وتتجاوز بكثير نظيرها لا في فرنسا وأمريكا بل في مصر الاسلامية •

« وبخلاف ذلك فإن الاسلام لم يجعل عقدة الزواج مستحيلة الحل ــ وان كان يتمنى دوام العشرة ــ ولكنه أباح الطلاق بقيود معروفة ورغم ما تتهم به هذه القيود من السهولة في التطبيق بالنسبة للقيود التي وضعها «النظام اللاديني» فإننا عند المقارنة بين نسبة الطلاق في مصر وفي فرنسا مثلا نجد أنها تكاد تكون متشابهة ، مع العلم بأن مستوى الحياة الاقتصادي والاجتماعي في مصر ــ وهو دون نظيره في فرنسا ــ من شأنه أن يبرر ارتفاع هذه النسبة فيها •

٣ ــ « إن المسيحية لم تكن في أصولها الحقيقية المنزلة تشتمل على أنظمة سياسية للدولة ، ولا على قوانين مفصلة للحكم ، كما هو الحال في الاسلام ، وإنما كانت دين محبة ورحمة وأخلاق • أما ما يوجد فيها اليوم من هذه الأنظمة فانما هو من الأشياء الموضوعة التي أضافها للمسيحية

بعد زمن السيد المسيح رجال الدين [1] وفرضوها على الشعوب المسيحية إلى أنظمة جديدة تحررية أخرى من وضع رجال السياسة باسم المصلحة الوطنية •

« فالخطر في هذا التحول ليس عظيما بالنسبة لأصول الديانة المسيحية المنزلة من السماء •

« بينما نجد الاسلام في أصوله المنزلة ــ القرآن والسنة ــ يشتمل على أنظمة كاملة لسياسة الدولة ، وأصول الحكم ، وأحكام المعاملات الاقتصادية والتجارية ، وقوانين الحرب والسلم ، والعلاقات الدولية • وغير ذلك مما تمتليء به الشريعة الاسلامية ، فتبديل هذه الانظمة والأحكام الالاهية بقوانين «النظام اللاديني» الموضوعة ، معناه الحكم بغير ما أنزل الله •

« والله تعالى يقول «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون [2]» ثم يكرر «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون [3] » ثم يعيد « ومن لم يحكم بما أنزل فأولئك هم الفاسقون[4]» ويقول «وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك [5]» ويقول : «أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون [6] » •

٤ــ «إن المسيحية في طبيعتها تقوم على أساس الرهينة ونظام

---

(١) هذا حق ، ولكن النصارى يكلفون بشرائع العهد القديم في الحدود والقصاص وغير ذلك . . .

(٢ ، ٣ ، ٤) : المائدة الآيات : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧

(٥) المائدة : ٤٩

(٦) المائدة : ٥٠

«البابوية» الذي يمنح «البابا» السلطة الدينية العليا [1] ويقع تتويجه رسميا بمقتضاها ويقوم البابا بتعيين نوابه في جميع البلاد المسيحية والاشراف على جميع المصالح والمؤسسات الدينية ، وهذا معناه أن المسيحية تتوفر فعلا على إطار كامل لسلطتها الخاصة يترأسه «البابا» .

« وإذن فالنظام «اللاديني» انما أقر الفصل بين سلطتين موجودتين مختلطتين . إحداهما دينية والأخرى دنيوية وحدد اختصاصات كل منهما .

« وبعكس ذلك فإن الاسلام لا رهبنة فيه . وليس لرجال الدين فيه أي تمييز أو سلطة أو اطار خاص . بل ان التفرقة بين رجال الدين ورجال الدنيا من الأشياء التي لا يعرفها الاسلام ولا يقرها . فكل رجل في نظر الاسلام يجب أن يكون رجل دين ودنيا ، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر لأن الانسان يتكون من جسد وروح والجسد جزء من الدنيا التي يجب أن يعترف بها ويخضع لقوانينها ، والروح جزء من «عالم الغيب » الذي هو عالم الدين ولا يمكن أن تتنكر لمالك يوم الدين .

وما دامت الروح جزءا لا يستغني عنه الجسد فيجب التوفيق بين حاجاتهما وإقرار الانسجام والتعاون بين سلطتيهما ،

« وعلى هذا الأساس قامت فلسفة الدين الاسلامي ، وظهرت الحكومة الاسلامية التي هي حكومة دين ودنيا .

---

(1) للبابا دولة مستقلة تسمى «الفاتيكان» وتقع في أطراف روما الشمالية الغربية وقد تكونت سنة ١٩٢٩ بموجب معاهدة « اللاتران » التي وقعها موسوليني مع البابا واعترف فيها باستقلال الفاتيكان ، ومساحتها ٤٤ هكتارا وعدد سكانها ١٠٠٠ نسمة .

ويعتبر «البابا» أو «الحبر الاعظم» الرئيس الروحي الاعلى للمسيحيين الكاثوليكيين المنتشرين في العالم ، ويمثل الفاتيكان لدى الدول الاجنبية أكثر من ٨٠ مبعوثا ومندوبا ديبلوماسيا كما يتبعها ١٣٥٨ أسقفا وبطريركا في الكنائس الكاثوليكية .

وفي الفاتيكان مكتبات تحتوي على أكثر من مليون مجلد وعدد ضخم من المخطوطات النادرة التي لا نظير لها في العالم ، ويقوم البابا الى جانب عمله الديني بوظيفة وزير خارجية الفاتيكان . ويشرف بنفسه على أعمال الدولة السياسية ــ خصوصا ما يتصل بمعاملة المسلمين في اهم الشئون الثقافية والسياسية ــ !!

« والتاريخ يشهد بالنجاح العظيم الذي لقيتــه هــذه الحكومة خصوصا في العصور الذهبية للاسلام •

« ولذلك فان تخلي الحكومة الاسلامية عن سلطتها الدينية • مــع العلم بأنه لا يوجد في المجتمع الاسلامي ونظامه من يمثل هذه السلطة ـ كما هو الحال في المسيحية ـ لا يعني إلا شيئا واحــدا هو الغــاء هذه السلطة بالمرة لعدم وجود من يمثلها عمليا [1] ، وخصوصا في المغرب الذي لا توجد فيه لا «مشيخة الاســلام» ولا «مفتي الديــار المغربيــة» ولا «مشيخة القرويين» ولا حتى «شيخ جماعة» وهو آخر لقب كان قبل عهد الحماية ، وإنما تتمثل في حكومته الاسلامية • وفي عهد رئيس الدولــة الأكبر جلالة الملك «محمد الخامس أيده الله» •••

« على أن مثل هذه السلطة ليست مما يصنع باليد أو يخلق خلقا ، ولقد حاولت تركيا أن تصنع إطارا «لرجال الدين الاسلامي» لتقلــد بهم القساوسة والرهبان المسيحيين فأخفقت ! وكان هذا أبلد أنواع التقليد التي حاولتها تركيا تحت شعار اللادينية •

٥ ـ « إن المسيحية تشتمل على مذهبين رئيسيين متعارضين أشــد التعارض وهما مذهبا الكاثوليكيين والبروتستانتيين ، وقد بلغت العــداوة بين الطائفتين حدا جعل تاريخ العلاقات بين ملوكهما وأمرائهما عبارة عــن سلسلة من الحروب الدينية الطاحنة ، إذ أن عقيدة كل منهما تدفعه ـ في تعصب جارف مع قساوة ووحشية ـ لاستئصال الطائفة الأخرى والتقرب إلى الله بسفك دمائها •

---

(١) اذا تخلت الحكومات الاسلامية عن الدين فقد الاسلام نهائيا مــن يقوم على شئونه فليس له « بابا » يمثله . والرؤساء الدينيون كشيخ الجامع الازهر وغيره موظفون يخضعون خضوعا تاما لموظفين مدنيين قاصري الفقه بل ربما لا قدم لهم في الدين وتقوى الله . .

ويستطيع أصحاب السلطة المدنية ـ حتــى في ظــل الالحــاد الاحمر ـ استئجار مشايخ يحققون لهم مآربهم في تغليب الاهواء الارضية على شرائــع الله . . .

ونظرة الى أوضاعنا المعاصرة تؤكد هذه الحقيقة المؤسفة . . !!

ومن المناكر الشائعة ان يختار ممثلو الاسلام اختيارا يهبط بقيمة ديننا، في الوقت الذي يقود الاديان الاخرى رجال ذوو مكانة محروسة مهيبة !!

« وبلغ هذا العداء قمته خلال القرنين السادس والسابع عشر (١) ورغم أن الملك «هنري الرابع» بذل كل جهوده لوضع حد لهذه الحروب، وأصدر في أواخر القرن السادس عشر قرارا يرخص للبروتستاتتيين بمزاولة شعائر دينهم ، فإنه لم يحن عهد «لويس الرابع عشر» حتى عاد لعداوتهم وأصدر سنة ١٦٨٥ قرارا بنقض قرار سلفه فلم يسع البروتستاتتيين إلا أن يهاجروا من فرنسا بأموالهم ومعاملهم .

« وأخذ العداء بينهما سبيله للظهور والانتشار في أوربا من جديد.

« ولعل هذه الحالة الأليمة التي عاشها المجتمع المسيحي في أوربا وعانى من عذابها الأمرين كانت من أهم العوامل التي جعلت الرأي العام المسيحي بعد ذلك يدرك خطر استمرار سلطتين دينيتين متعارضتين .

« ودفعت قادة الفكر الأوربي لابتكار نظام «اللادينية» ــ وقد ظهر فعلا في القرن السادس عشر ــ كوسيلة للتخلص من حكم رجال الدين ــ ووضع حد للحروب والعداوات التي أصبح من المستحيل استتباب سلام حقيقي ودائم معها طالما كان على رأس الحكم ممثلو احدى الطائفتين .

« والذي يعرف طبيعة الاسلام لا يشك في أن هذه الحالة ليس لها نظير في المجتمع الاسلامي فليس في الاسلام مذاهب دينية تتعارض عقائدها ويتناحر رجالها بهذه الدرجة .

« والحروب الداخلية التي نشأت بين طوائف المسلمين كالتي جرت بين «الامام علي» و «معاوية» وما تلاها من ظهور الشيعة والخوارج وغيرهما لم يكن مبعثها الخلاف في أصل من أصول الدين ولكنها كانت حروبا سياسية أثارها التنازع على الحكم واستحقاق الخلافة وعززتها العصبيات القبلية التي اتخذت لتبرير مواقفها أشكالا دينية .

« ومن مجموع هذه الفروق بين طبيعة كل من الديانتين نشأ فرق

---

(١) ان من أتيح له ان يشهد الفيلم التاريخي « الملكة ماركو » يستطيع وحده أن يتصور فظاعة الحرب الدينية ومجازر التقتيل والتعذيب التي كانت بين الطائفتين بأوربا .

آخر في المدلول اللغوي لكلمة الدين عند المسيحيين يختلف عن نظيره عند المسلمين ، وهذا الفرق الدقيق أشار اليه الأستاذ «علال الفاسي» في بحثه القيم الذي نشرته أخيرا مجلة «دعوة الحق» عدد يونيه سنة ١٩٥٨ بعنوان (التفكير الاجتماعي) حينما قال :

« فاذا نحن أخذنا الكلمة التي نستعملها عادة مقابل الدين وجدناها هي «ريليجيون : Religion » ولكن هذه الكلمة لها معان أخرى غير ما أسلفناه • فهي تشير قبل كل شيء لنظام كهنوتي فيه الراهب ، وفيه الاعتراف ، وفيه سيطرة البشر على أخيه ، وتحكمه في غفران ذنبه ،وقبول توبته !

« و «ريليجيوزيتي : Religiosite» تعني استسلاما كاملا لهذا النوع من العبودية واشراكا في العبادة نفسها بالله عن طريق الامتثال لكل ما يأمر به رئيس الديانة أو ينهى •

« وطبيعي أن هذا النوع من الفهم الغربي لمدلول الدين طبقا للمحتويات التي كونتها ظروف المسيحية الأولى والتي كان الاسلام ثورة عليها وإصلاحا لها ، كان له أثر متناقض في نفوس الغربيين منذ بداية عهد الاصلاح الديني البروتستانتي ، ثم أثر أخطر منذ أن طغى رجال الدين على أهل الدين وأصبحوا يمنعونهم من الدراسة ، ومن المعرفة • ويحولون بينهم وبين التطور في نظام الحياة والأخذ بأسباب الرقي المادي •

« ونشأ عن ذلك أن أحس المجتمع بضرورة التحرر من الدين بالمعنى الغربي ، أي بالثورة على سيطرة الكنيسة ، وتحكم الرهبان ، والتحرر من الارستقراطية الاقطاعية التي ما كانت تبحث عن مرضاة الشعب وربه بقدر ما كانت تبحث عن غفران الأب وربط أحسن الصلات بالبابا ••»

« وبعد أن أشار الأستاذ «علال الفاسي» إلى أن هذه الحالة كانت من أسباب الثورات المختلفة التي عملت للتحرر من الكنيسة • ودفعت بالدولة للانفصال عنها ، والحلول محلها في جميع مظاهر الحياة الاجتماعية وضرب لذلك مثلا بالطلاق ، تابع قائلا :

« فأما عندنا فقد نسينا مدلول «الدين» بالمعنى الاسلامي وهو مجرد

تشريع ، وملأنا الكلمة بما تدل عليه الترجمة الفرنسية ، فأصبحنا بطبيعة الحال نفهم من معنى الدين ما تحتويه كلمة «ريليجيون» .

« وأصبحنا نفكر في أمر الدين بما يفكر به الغرب وما نقرأه من آدابه ، تلك الآداب الموجهة قبل كل شيء لنقد مجتمع مبني على تحكم الكنيسة وصعوبة الطلاق ـ ولو في حالة تلبس أحد الزوجين بالزنا ـ وقيام اقطاعية يحميها رجال الكنيسة وتستعبد معها الشعوب .

« وهكذا وجدت عندنا مشكلة فصل الدين عن الدولة مثلا ، ومشكلة الطلاق وما أشبه ذلك مما هو بعيد عن أن يكون مشكلا في وطننا .

« فالدين بالمعنى الغربي لا وجود له في بلادنا ، والدولة والدين شيء واحد لأن الدولة لا بد أن تقوم على عقيدة أو خلق ، ولا بد أن تكون حامية للقانون ، وهي المسئولة عنه ، وعن ايجاده اذا لم يكن موجودا ...

« وكل ما هي مطالبة به أن تكون موافقة لرغبات الأمة في تصرفاتها وفي أعمالها .

« فالدولة الاسلامية ليست دولة «اكليريكية» «كهنوتية» بالمعنى الذي يفهمه الغرب .

بل يمكننا أن نقول إنها مدنية بطبيعتها لا لأنها منفصلة عن الكنيسة ولكن لأن الكنيسة غير موجودة وليست هي من طبيعة الدين الاسلامي ولا جزءا منه ...» .

★ ★

« هكذا وضع مفكر مغربي كبير أصابعه بلطف على الجرح الدامي للمشكلة التي برزت لميدان السياسة العربية في الشرق ثم ظهرت عندنا في المغرب ليلة إعلان الاستقلال والتي قاومتها في صمت منذ ثلاث سنوات دون أن أجد سندا أدبيا من كاتب أو مفكر مغربي يواجهها بصراحة حتى تعرض لها الأستاذ علال الفاسي في آخر لحظة بينما هذا الكتاب تحت الطبع ...

« والواقع أن عدم ادراك هذا الفرق الكبير في مدلول كلمة الدين

عند المسيحيين وعند المسلمين كان عظيم الخطر في تضليل الكثيرين من المثقفين العرب الذين تلقوا تعليما غربيـا دون أن يحصلوا بجانبـه على دراسة صحيحة تمكنهم من معرفة الاسلام على حقيقته .

« ولما كانت الكلمات اللغوية إنما تعيش في المعاني الحية التي يلبسها الناس لها بالاستعمال كل يوم ، فان كلمة «الدين» لم تعش في ذهن هذه الطبقة من المثقفين إلا بمدلولها الغربي الذي أشار إليه الأستاذ «علال الفاسي» إذ هو الذي تتحدث عنه الآداب والثورات والكتب والصحف الغربية التي تعيش عليها وفي جوها هذه الطبقة ..

« وكما ضل الكماليون الأتراك في فهم الدين الاسلامي على حقيقته فسلكوه مسلك الدين المسيحي وأصدروا حكما واحدا عليهما . فإن هذا التيار الغربي المضلل لا يزال جارفا حتى اليوم ولا يزال يجرف معه كتابا ومفكرين وسياسيين يقعون في خداعه غير شاعرين .

« ففي أبريل سنة ١٩٥٨ كتب الاستاذ «محمد النقاش» في مجلـة الآداب اللبنانية مقالا علق فيه على الدستور المؤقت للجمهورية العربيـة المتحدة الذي لم ينص فيه على دين [1] الدولة ولا دين رئيسها قائلا :

« وانها لخطوة مباركة ، فالدين دستور سماوي يقرر علاقة الانسان بالله بينما دستور الدولة دنيوي يقرر علاقة المواطنين بعضهم ببعض !!

« والدولة الديمقراطية الحق تفصل بينها وبين الدين ، وتبيح حرية المعتقد لجميع مواطنيها ولا تفرق بينهم على أساسه ...!» .

« وهذه العبارة هي نموذج مهذب لعبارات الكماليين التي سنذكرها فيما بعـد .

« فالدين الذي يقول عنه الاستاذ النقاش انه يقرر علاقـة الانسان بالله دون علاقة المواطنين بعضهم ببعض ليس هو الاسلام ، لأن الاسلام يقرر جميع هذه العلاقات ويحددها .

---

(١) كان اهمال النص على أن الاسلام دين الدولة ارضاء لحزب البعث العربي . وهو حزب يكره الاسلام كراهية شديدة . يستوي في ذلك جناحاه الشيوعي والغربي .. وارضاء الحكام المصريين لهذا الحزب كان شؤما عليهم وعلى المسلمين اجمعين ..

والدين الذي لا يبيح حرية المعتقد لجميع المواطنين ويفرق بينهم على أساسه ليس هو الاسلام فهذا يقول «لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي [1] » وانما هو الدين المسيحي الكاثوليكي الذي حرم على البروتستانتيين ممارسة شعائرهم ، وأحل تقتيلهم وتعذيبهم ...

« والذي أعلن الحروب الصليبية على المسلمين واضطهد اليهود وأحرقهم في الوقت الذي عاش فيه المسيحيون واليهود في الشرق العربي وفي أسبانيا الاسلامية متمتعين بكامل حرياتهم الدينية ...

« فكيف نسحب حكم واحد على طبيعتين مختلفتين ؟

« هذه بعض أمثلة للفروق الجوهرية العديدة بين طبيعة الاسلام ، والمسيحية تجعلنا ندرك الآثار التي يخلفها كل من الدينين في المجتمع الذي يؤمن به كما ندرك — نتيجة لذلك — أن ما يصلح لمجتمع مسيحي ليس من الضروري أن يكون صالحا لمجتمع اسلامي وبالعكس — لأن حاجاتهما الأصلية ليست — في الواقع — متساوية .

فاذا كانت هناك عوامل دينية واجتماعية وتاريخية أو حتى سياسية لفائدة الاستقرار والسلام الداخلي تبرر — كما رأينا — أخذ الدول المسيحية الغربية بنظام « فصل الدين عن الدولة » فان هذه العوامل تعتبر مفقودة تماما في الدول الاسلامية .

« وكذلك فانه رغم الانقلابات والثورات المختلفة التي ظهرت في الأقطار الاسلامية منذ مطلع هذا القرن . سواء في البلاد العربية أو في إيران واندونيسيا وغيرهما لم تقم أية حركة سياسية ترمي لفرض «النظام اللاديني» وانتهاج سياسة « مصطفى كمال » في تركيا وهي البلد الاسلامي الوحيد الذي فرض عليه هذا النظام [2] .

---

(١) البقرة : ٢٥٦

(٢) النظام اللاديني في تركيا يسنده السلاح وحده وقد قام على اشلاء المجاهدين المقهورين ولو تحرر الاتراك لعادوا الى الاسلام فوراً ، ان الحكم اللاديني لا يستند الى رأي عام في جميع انحاء العالم الاسلامي، انه يستند الى الارهاب السافر او المقنع ، والملحدون يؤمنون بالحرب لانفسهم وحسب ، أما غيرهم فيعامل بالقهر والكبت ولو كان ملء الارض !!

« ويجب أن لا ننسى هنا شيئا آخر ، هو أن الحملة التي يواجهها الاسلام من أعدائه انما هي أثر من آثار الهجوم العنيف الذي وجه ضد الأديان عامة من طرق الماديين .

« ولقد كانت المسيحية — في الواقع — هي السبب المباشر والهدف الأصيل الذي وجه اليه هذا الهجوم .

« ولكن الحملة جرفت معها سائر الأديان وكان من نتيجتها زعزعة الايمان بالدين كله واعداد الرأي العام المسيحي لقبول النظام اللاديني .

« ولكي نأخذ فكرة عن هذا الهجوم لنسمع الى الأستاذ « امري ريفرز» وهو يحلل أسباب فشل المسيحية في كتابه «تحليل السلام» فيقول:

« ان القتل الواسع النطاق ، والتعذيب ، والاضطهاد . والضغط ، والفتن التي شهدناها في منتصف القرن العشرين لأدلة قاطعة على الافلاس الكامل للمسيحية كوسيلة لترويض الانفعالات الانسانية الغريزية ولتحويل الانسان من حيوان الى مخلوق اجتماعي معقول ...!

« وإن بعث البربرية والاستعمال المطلق للابادة الجماعية في العالم بأسره لا يمكن اعتباره مسلك قلة من الأفراد الذين لايؤمنون بالله أصابهم مرض التلذذ بالتعذيب (السادزم) أو جماعة من المتعصبين للشنتوية اليابانية .

« لقد قتل ملايين من الأبرياء دون أن تهتز شعرة في جسم من قتلوهم، كما نهب عشرات الملايين من البشر وجردوا مما يملكون ، ونفوا من بلادهم واستعبدوا ، وقد لقوا هذا المصير على أيدي مسيحيين انحدروا من أصلاب أسر مسيحية انتسبت منذ قرون إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أو الى الكنيسة الشرقية الارثوذكسية أو الكنيسة البروتستانتية !...

« ولقد ارتكبت فظاعات ومآس مفزعة ومجردة من كل مظهر إنساني لا على يد ألمان ويابانيين فحسب بل على أيدي أسبانيين وطليان وبولنديين ورومانيين ومجر وفرنسيين وصرب وكروات وروس .

« ولقد أغضت الكنيسة عن هذه الفظاعات وأغمضت عينها كل

المجتمعات المسيحية على اختلاف مذاهبها [1] .

« وليس قصدي هنا أن أتهم أو أصدر حكما على أي دين منزل (منظم) لاغضائه عن هذه الانفجارات الوحشية الشبيهة بحيوانية إنسان ما قبل التاريخ ، ولكن مجرد حصول هذه النكسة . او وقوع تلك الرجعة قاطع الدلالة على عدم كفاية الوسائل المسيحية في تكييف الأخلاق الانسانية والتأثير عليها وحمل الانسان على ترك ما توحي به غرائزه والإهتداء بالمثل الروحيـة .

« إنه من العبث نكران أن المسيحية عجزت عن التسرب إلى نفس الانسان وعن غرس جذورها في تلك النفس .

« لقد اقتصر نجاحها فقط على خلق قشرة رقيقة من السلوك الخلقي، وطبقة خفيفة من الحضارة لم تلبث أمام القلاقل الاجتماعية التي شهدها القرن العشرون حتى مزقتها قطعا » .

« ثم يتابع تحليله قائلا :

« ان ألفي سنة لزمن كاف للحكم على جدوى أية طريقة بصرف النظر عن المذهب الذي تطبقه هذه الطريقة ، وخلال هذه القرون العشرين خيل الى الناس أن المسيحية نجحت في تأنيس الحيوان الراقد في صدر الانسان ، وفي ضبط وتقييد النزعات والخصائص الانسانية المدمرة .

« ولكن منذ حادت الكنائس عن رسالتها الانسانية العالمية متحولة الى « منظمات وطنية » مؤيدة الوثنية القبلية ، نستطيع القول : كم هي ضعيفة قبضة المسيحية على العالم الغربي ...

« ذلك لأنها من أجل عرض الدنيا قد تخلت عن تعاليمها الروحية مستسلمة أمام غرائز الانسان البركانية التي يحطم بعضها بعضا ما لم يتداركها القانون ويلزمها حدها .

«إن ما في المسيحية من قدسية وبواعث للحضارة هو توحدها وعالميتها أي تعاليمها القائلة أن الناس خلقوا متساوين أمام الله وانهم لعبيد لآله

---

(١) طبيعة الحكم المسيحي في الداخل ، وطبيعة الاستعمار الصليبي الغربي هي استباحة الخصوم ، والضراوة في السطو على ما يملكون ..

واحد يحكمهم قانون واحد ، فتلك هي التعاليم المنطوية على الفكرة الثورية حقا في تاريخ الانسانية (١) •

« ولكن لسوء حظ المسيحية كدين منظم أنها تحولت شيئا فشيئا الى هيئة ذات سلطة رآسية مطلقة وقد أدى هذا الى (Shism) ثم الى التفرقة •

« وبذلك انحدر القانون الواحد العالمي إلى ديكتاتورية من ناحية وإلى انتشار للفرق والمذاهب على أوسع نطاق من ناحية أخرى •

« وفي هذه اللحظة بدأت الأوطان والقوميات الحديثة تتبلور ، كما بدأ الشعور الوطني يسود العالم الغربي ويتفوق على الشعور المسيحي ، فانقسمت الكنائس المسيحية فيما بينها إلى عدد جديد من الفرق المذهبية ، وجعل كل فريق منها يؤيد المثل الأعلى الجديد المبتدع ، أعني المثل الأعلى الوطني •

« وما لبثت المسيحية أن تشابهت بالوطنية •

وفي كل وطن، اعتبرت السياسة الوطنية كأنها سياسة مسيحية لمناهضة الاتجاهات الاشتراكية والنزعات الحرة » •

« هذا نموذج للمطاعن التي وجهت للمسيحية ، وهو غني عن كل تعليق •

« فهل الاسلام كان كذلك ؟ وهل يمكن أن يؤاخذ بمثل ذلك ؟

« إن وقائع التاريخ وحقائق الاسلام تجيب بالنفي •

« ولكن الاسلام مع ذلك تأثر من هذه الحملة ، •• كما تأثر من طغيان الأفكار الوطنية والقومية عليه ، ليس فقط لأن الغربيين أصبحوا ينظرون إليه ويكتبون عنه باعتبار أنه نسخة من المسيحية كما يفهمونها • بل لأن المسلمين الذين تعلموا في مدارسهم اللادينية أصبحوا يعتقدون ذلك بدورهم وينظرون إليه بنفس المنظار •••! »

★ ★

ذلك ما كتبه السيد «إدريس الكتاني» نقلناه على طوله لعموم جدواه

---

(١) التفرقة العنصرية مختلطة بدماء الغربيين ، وقد عجزت المسيحية كل العجز عن ازالتها بل لقد اقرتها •••

ولانه يدل على وحدة المرض العقلي والاجتماعي الذي نشكو منه أمتنا بين المحيطين •

ولا عجب فإن مصدر البلاء واحد . ودول الغرب تنزع عن قوس واحدة في ضغنها على الاسلام . وإفسادها لاجياله الناشئة . ولعبها بساسته الكبار (!) من عرب وعجم وترك وهنود •

وإني لأطوي فؤادي على احتقار شديد لاناس يسمعون أن الصينيين تركوا الدين واعتنقوا الشيوعيه . والدين هناك هو البوذية فيصيح هؤلاء هنا : اتركوا الدين ــ يعني الاسلام لا غير ــ فقد ترك الدين غيرنا ••

وإذا ثار عبدة البقر في الهند على مقدساتهم صاح مغفل في القاهرة : أغلقوا الأزهر فلا مكان في عصرنا لمقدسات بالية •••

وهكذا يتناول الاسلام باللطمات من عصابات القردة التي أفسد الغزو الثقافي فكرها •••

هاجمه أولا أذناب الغرب الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات••

ثم هاجمه ثانيا أذناب الشيوعية ممن يحاربون الألوهية ويرفضون الوحي . ويعادون الاسلام ونظامه الشامل للفرد والمجتمع والدولة ••

و « الحكومة المدنية » هي العنوان الذي يهربون اليه ويخادعون به

ولو صرحوا بذات أنفسهم لقالوا : لا نريد الاسلام • فدعونا من ذكره ولا تضايقونا بعرض تعاليمه •

إنه شيء مضى أوانه ولا عودة اليه ••

★ ★

ونحن ما في طاقتنا أن نمنع الارتداد . فليذهب إلى الجحيم من أراده•

لكن الذي في طوقنا أن نذكره . وأن نكرره . أن هؤلاء المرتدين يبغون إفساد جمهور الأمة بالقوة •••

فهم يستغلون السلطات التي سرقوها لنشر الالحاد والانحلال،وتفريغ القلوب مما بها من ايمان بالله وطاعة له •••

وواجب على جماهير المسلمين أن تهتك الأستار التي يختفي وراءها هؤلاء الشيوعيون ، وأن يستبينوا طواياهم على ما بها من شر •

إن الحكم الصحيح ما يكون الا صورة كاملة دقيقة لرغبات الأمة الروحية والمادية ومصالحها الاجتماعية والاقتصادية .

والمسلمون في كل قارة أوفياء لدينهم مستمسكون بشرعه .

وليس من حق بشر أن يلويهم عن وجهتهم بالسيف أو بالختل ...!!

وطريق الحكم الاسلامي واضح لا يشينه جهل جاهل ولا يؤوده جحد جاحد .

وأنا أعلم أن كلا من الغرب والشرق يضيق بعودتنا إلى الاسلام الحق ..

فليمت من شاء ضيقا .

أما نحن فليس أمامنا الا طريق واحد ، نعرفه بفطرتنا ، ونشتاق الى السير فيه ! هو ديننا ،

فلنصطلح مع الله وحده ، ففي كنفه ما نرجو من رزق كثير ، ونصر عزيز .

« أمَّن هذا الذي ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون الا في غرور »

« أمَّن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور »

« أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمَّن يمشي سويا على صراط مستقيم » .

« قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ... » (١)

---

(١) سورة الملك .

الفصل السابع

اشرنا في صدر هذا البحث الى موقف « روسيا » الاخير من كفاح العرب ضد الصهيونية والاستعمار وكيف ان الشيوعية تسللت الى العالم العربي والاسلامي معهذه المساعدات التي دعم بها الروسمقاومة العرب لعدوهم .

والموضوع كله يحتاج الى تفصيل وكشف ، فان اللغط الباطل الذي طالطنينه هنا وهناك كاد يطمس اعلام الحقيقة الخطيرة ...

فلسطين والشيوعيّة وواجبنا العام

لقد قررت انجلترا منذ خمسين سنة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وكانت انجلترا يومئذ قائدة العالم الصليبي ، والدولة الاولى فيه ...

وكانت تحصل على نصيب الأسد من تركة الرجل المريض ، أي من أشلاء الأمة الاسلامية التي ذهبت شذر مذر ، وجثم الذئاب فوق كيانها المستسلم يقتطعون منه ما شاءوا ...

وكافح عرب فلسطين كفاح المستميت ، وكافح معهم الجيرة الأقربون من اخوانهم في الشرق الأوسط ...

وكانت الروح الاسلامية كامنة وراء الجهاد الحزين الباسل الذي أطفأ الانكليز جذوته ، ونكسوا رايته ، وأذلوا أهله .

ومضت السنون والاستعمار الغربي يقطع الطريق إلى غايته في القضاء على الاسلام وأمته .

وقامت اسرائيل في أحضان الرعاية الغربية التي كفلت لليهود أسباب

البقاء والنماء ، وأمدتهم بتأييد اقتصادي واسع وتأييد سياسي أوسع ...

حتى لكأن وجودهم على أنقاض شعب فلسطين البائس قد غدا حقيقة عالمية لا ريب فيها ...!

وزاد الطين بلة أن الغزو الثقافي الصليبي للعالم العربي والاسلامي أفلح في دحرجة الحكام المسلمين عن دينهم ، وفي جعل النزعات القومية تستبد بهم ...

فإذا قضية فلسطين تتحول الى قضية عربية محدودة تافهة بعد أن كانت قضية إسلامية واسعة مخيفة .

وذلك في الوقت الذي يعاني فيه العرب تعصبا دينيا أعمى ، سواء من اليهود الذين يواجهونهم أم من الأمريكيين وحلفائهم الذين يطفحون حقدا على الاسلام والمسلمين ...

وعندي أن الحال التي وصل إليها العرب والمسلمون في هذه الايام ، لا نظير لها في تاريخهم الطويل ، وأن الخط البياني لوجودهم الروحي والعسكري يمس القاع ...

وأنه إذا لم يوضع حد لهذا الارتداد عن دين الله فليس أمام العرب إلا القبور .

★ ★

ولدت دولة اسرائيل في وقت هان المسلمون فيه على الله ، وعلى الناس ، وعلى أنفسهم ...

فالغرب الصليبي في عنفوان قوته ، وعندما قرر إقامة اسرائيل لم يحسب للعرب أي حساب ، ولم يقدر لوجودهم الشعبي أو الرسمي أية قيمة .

أما العالم الشيوعي الذي تبوأت روسيا قمته فكان كذلك ينظر للعرب والمسلمين على أنهم أمة تائهة، ويرمق ملوكهم ورؤساءهم بازدراء، لأنهم في جملتهم كانوا يدورون في فلك السياسة الغربية ، وكانوا يحاربون الشيوعية بقسوة ــ خوفا على سلطانهم وثرواتهم لا خوفا على دين الله ! ــ

ومن ثم أيدت روسيا وجود إسرائيل ، وأقرت ازالة أهل فلسطين ،

وشاركت الدول الغربية في أقذر جريمة سياسية ودينية شهـدها العصر الحديث ...

ولست ألوم الروس على هذا المسلك، فالروس قوم يخدمون مصالحهم ومبادئهم ، وقد تجاوبوا ـ بهذه السياسة ـ مع طبيعتهم وظروفهم ...

إنما تقع اللائمة على العرب الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم .

العرب الذين يأبون الاسلام شعارا لهم في المجال العالمي ، أو حياة لهم في الميدان الداخلي ...!!

★ ★

وقامت « اسرائيل » على قدميها وسط العرب المشدوهين .

وشرعت روسيا ترمق الموقف في الشرق الأوسط بذكاء ودقة ...

إن عناصر إسلامية كثيرة أخذت تستعد لجهاد جديد ، وعناصر وطنية أخرى لم ترض الواقع الأليم وبدأت تقاومه ...

وهؤلاء وأولئك لا تربطهم بروسيا علاقات ود .

من أجل ذلك تجهمت روسيا لهذه الحركات ، وأصدرت أوامرهـا للشيوعيين العرب ـ وكانوا يومئذ قلة منكورة ـ أن يقبلوا قيام اسرائيل، وأن يسكبوا الماء البارد على العداوة المشتعلة ضدها بين الجماهير ...

وقد لمسنا بأيدينا هذا الاتجاه ، ورأينا الكتاب المشهورين المائلين الى اليسارية يخشون المجاهرة فيجنحون إلى تعليقات ساخرة على السياسـة العربية الرجعية ! أو يقومون بهجـوم بذيء على الرجال الكبـار الذين يقاومون الصهيونية بصلابة ...

أما الخلايا الشيوعية المبعثرة في المجتمع العربي فلم تنقصها الصراحة في المطالبة بقبول الأمر الواقع في فلسطين .

ونثبت هنا ماسجله الاستاذ محمد جلال كشك من تصريحات وتوجيهات لهؤلاء الحمر تحت عنوان « عارهم في فلسطين [1] » قال :

« لقد خرجت جريدة «القاعدة» لسان حال الحزب الشيوعي العراقي في ١٩٤٨ تقول : « ناضلوا في سبيل إنهاء حالة الحرب . وإعـلان تأليف

---

(١) الرسالة : العدد ١١١٤ .

الدولة العربية المستقلة الديمقراطية في القسم العربي من فلسطين » .

وأصدر الشيوعيون العراقيون كتابا سموه « أضواء على القضية الفلسطينية» ختامه: «فليحيا التعاون والتحالف بين الوطنيين،والديمقراطيين العرب ، واليهود لاحباط خطط الاستعمار والرجعية . ولتحيا الصداقة العربية اليهودية » .

وحتى سنة ١٩٥٣ كانت جريدة «القاعدة» تقول: «إن الشعب العراقي يرفض بإباء أن يحارب الشعب الاسرائيلي الشقيق » .

« لا مصلحة في الحرب للكادحين العرب واليهود بل للبورجوازية العربية العفنة » !

وصحيح أن بعض التنظيمات الشيوعية في الوطن العربي قد عارضت مشروع التقسيم عند صدوره ثم عادت فاعتذرت وأدانت موقفها . وأيدت التقسيم بمجرد أن اتضح موقف الاتحاد السوفيتي .. عندما قال «جروميكو» أمام الامم المتحدة « ان الدول الغربية ، قد أثبتت عجزها في الدفاع عن الحقوق الأولية للشعب اليهودي ، وهذا ما يبرر طموح اليهود إلى إنشاء دولتهم بأنفسهم .. ومن غير العدل ألا نوافق على هذا الطموح أو أن ننكر حق الشعب اليهودي في تحقيق ما يصبو اليه » [1] .

عندئذ انقطع كل نقاش ، ووارت التنظيمات الشيوعية التي عارضت التقسيم خجلها .. ورفضت جميعها الحرب مستندة إلى التفسير الذيأعلنه «جروميكو» عندما قال : « ان الهجوم العربي على الشعب اليهوديالمسالم يعتبر عملا وحشيا ضد شعب لا يريد سوى تقرير مصيره » [2] .

وانطلق الشيوعيون يعملون ضد الحرب التي « دبرها الاستعمار وأرادتها الرجعية » ...كما وصفها تقرير الرفيق «خالد» سكرتير الحزب الشيوعي المصري المنحل ..! وحقق الشيوعيون العرب في «كفاحهم» ضد الحرب ما عجزت عنه الأحزاب الماركسية في أوربا .. عندما أصرت

(١ ، ٢) هذا هو الموقف الرسمي لروسيا الشيوعية وحلفائها غداة قيام اسرائيل او اشتباك العرب في حرب معها لاستنقاذ فلسطين .

أحزابها على خوض الحرب الوطنية دفاعا عن وطـن الآباء ، وألقت الـى الأرض بشعار الأخوة البروليتارية » •

وهذه النقول نماذج قليلة لموقف الشيوعية من قضية فلسطين ، قبل أن تقع في المنطقة كلها الأحداث الكبيرة التي جعلت روسيا وشركاءها يتخذون موقفا آخر ، يجب أن تعرف أبعاده وبواطنه وبواعثه •••

إن إسرائيل التي ولدت وسمنت في أحضان الغرب الصليبي لم تنس جميل سادتها ، ولم تفرط في حقوقهم لديها •••

وقد كشفت الأيام للروس وأتباعهم أن اسرائيل أضحت قاعدة للرأسمالية الغربية ، وامتدادا سياسيا وعسكريا لأمريكا وانجلترا •

كما ظهر أن الحزب الشيوعي الاسرائيلي لا أمل فيه •••

فما مصلحة روسيا في الحفاظ على ود مزهود فيه ؟

ذلك في الوقت الذي بدأت أحوال العرب تتغير فيه تغيرا ظاهرا •

لقد كان العرب يعطون الخد الأيسر من يلطمهم على الخد الأيمن •

كانوا على الصعيد العالمي موالين أو شبه موالين لدول الغرب الكبرى، يبتلعون إهاناتها ويتجاهلون مساءاتها •••

بيد أن ترادف الجراح أيقظ نخوتهم،وحرر مشيئتهم،ومن هنا قررت دول عربية شتى أن تلتزم خطة أشرف ، وأصون •••

قرر العرب أن يقولوا : لا ، في مواطن كثيرة •

لكنهم عجزوا في أغلب الأحيان عن الوفاء بما تطلبه : لا،من تكاليف•

إن البلبلة النفسية والاجتماعية التي خلقها الاستعمار بينهـم كانت شنيعة الآثار •••

وأسوأ ما فعله الاستعمار قضاؤه على العناصر التي كانت تمثل الايمان والبطولة •••

وقد انتشرت الزلازل في البيئات المؤمنة حتى أصبح لزاما على طلاب الأمان أن يكونوا ماجنين أو مؤمنين بالشكل لا بالموضوع !!

في هذه الظروف التي باعدت بين العرب ودينهم ، وبين العرب والدول الاستعمارية الكبرى تقدمت الشيوعية لتعمل وتكسب وأمامها حقائق ثلاث:

● (١) ــ أن العرب يرفضون كل الرفض الاعتراف بوجود اسرائيل،

ويسقطون أي حاكم يصالحها ، ويرجون مع الغد زوالها • والغرب الصليبي مصر على فرض إسرائيل بالسلاح ، وهو يحبط خطط العرب لاضعافهـا ، ويأمل مع الزمن أن ينسى الفلسطينيون وطنهم السليب •••

● (٢) ــ أن مكانة الاسـلام تضعضعت في تربية النفوس ونظـام الجماعات ، وأن جماهير كثيفة من المثقفين والموظفين والقادة غرباء على دينهم الموروث ، وأن المجتمع العربـي الرسمي قد تخلـى عن روابط العقيـدة وإيحاءاتها في مختلف الميادين الداخلية والخارجية •••

● (٣) أن الأجيال الجديدة ببواعث النقمة على الاستعمار الذي أذل جانبهم والتطلع الى حليف يسند كفاحهم سوف يرنـون بأبصارهم إلـى الروس •

وعندئذ يتقدم هؤلاء لملء الفراغ العقدي والاجتماعي والسيـاسي الذي يسود المنطقة المحروبة •••

وقد مضى الشيوعيون في إنفاذ هذا المخطط،وأصابوا نجاحا ملحوظا في بلوغ أهدافهم القريبة •

ولم يرجع هذا النجاح إلى ما أوتوا من ذكاء قدر ما يرجع الى خسة الساسة الغربيين ، واصطباغ سرائرهم بأحقاد دينية تستكثر على العـرب وعلى دينهم حق الحياة ••!!

وقد أسأل نفسي : أإذا شعر اليهود بخطر التدخل الروسي ، قـرروا الانسحاب من فلسطين المحتلة وتركوها للعرب العائدين ؟؟

كلا •• سيكون حل المشكلة في متناول أيديهم !!

سيعلنون اعتناق المذهب الشيوعي ! وعندئذ يقول الروس لنا ولهم: إنكم إخوة وعليكم أيها الرفاق أن تعيشوا متجاورين !!!

إن الشيوعيين لم يخاصموا إسرائيل اليوم لله ولم يصادقونا نحـن العرب لله ،

إن منطق المصلحة القائم على حساب الجمع والطرح هو الذي جعلهم يظاهرون اليهود أمس القريب ، ثم يظاهروننا هذه الأيام •••

★ ★

ولقائل أن يقول : ماذا تريد ؟؟

والجواب: أريد أن يتوافق المسلمون مع دينهم ومصلحتهم كما يتوافق اليهود مع دينهم ومصلحتهم وكما يتوافق الشيوعيون مع مذهبهم ومصلحتهم، وكما يتوافق الغرب الصليبي مع عقائده ومصالحه ..!!

إن المسلمين وحدهم هم الجبهة المفككة روحيا وماديا ، الحافلة بالمتناقضات ، المتعثرة الخطا .

وكيما يزول هذا الوضع المستنكر الكريه يجب أن نبصر الحقائق التالية وتتجاوب مع وحيها الحاسم !!

● (١) — يجب أن تردم الفجوة التي بيننا وبين الاسلام ، وأن تقف فورا الحرب الفاجرة المعلنة على تعاليمه وأشياعه !!

لقد تضافرت جهود ضخمة لسحق الدين ومحو آثاره النفسية والفكرية فماذا حدث ؟

ضاع الاسلام من قلوب كثيرة ، وشبت أجيال لا ايمان لها ، ولم يستطع « فكر » آخر أن يشغل مكان العقيدة المضطهدة ..

فلما خلا المجتمع العربي من الايمان الحي انهارت الأخلاق ، وعربدت الشهوات ، وطغت الأثرة ...

والمجتمع الذي خلا من العقيدة لا يصلح أبناؤه في حرب ولا سلام ، مهما زعم لنفسه من تقدم .

بل إن أصحاب العقائد الوثنية يستطيعون سبقه في ميدان الانتاج والنيل منه في ساحات الوغى .

وهناك حكام مسلمون كثيرون شغلوا أنفسهم بإهالة التراب على الاسلام وتقديم بديل آخر يغني عنه في توجيه الضمائر والشعوب .

وهيهات ، هيهات ، إن هؤلاء في الحقيقة كانوا عونا على أمتهم و «طابورا» خامسا للصهيونية والاستعمار مهما زعموا لأنفسهم من عبقرية ووطنية .

● (٢) — يجب أن تردم الفجوة بين الحكام والشعوب ! وأن تزول النظم التي تؤمّر على الامم أشخاصا لا يمتون إليها بآصرة اخلاص وحب .

فالمفروض أن تكون الحكومة صورة أمينة للجمهور ومشاعره وآماله

بحيث يجد الشعب نفسه في رجالها كما يجد المرء نفسه في مرآة مصقولة .

وإني لأشعر بأسى غالب عندما أرى الغربيين يستمتعون دون عناء بهذا اللون من الحكم الطبيعي القائم على الاختيار الحر ، والثقة المتبادلة ...

أما في الشرق العربي فهناك حكومات تشبه أن تكون استعمارا داخليا [1] ، والاستعمار الداخلي شر وأنكى من زميله الأجنبي ، ويعجبني قول الشاعر :

« بلدي : كم صنم مجدته لم يكن يحمل طهر الصنم !»
« لا تلومي الذئب في عدوانه ان يك الراعي عدو الغنم !!»

إن المسلمين من قديم يحملون على كواهلهم خطايا حكامهم ، فمتى تنقضي هذه المآسي ، وتحكم الشعوب نفسها بنفسها ؟؟

● (٣) — لقد تقاربت دول العالم وتشابكت مصالحها في عصر تكاد تذوب فيه المسافات وتنعدم فيه العزلة السياسية ..

ونحن لا نستوحش من هذا القرب ، بل نرحب به ، فإن لنا شخصية عالمية راسخة الأصول ، رفيعة القدر ، جليلة التاريخ ، سامية المثل .

وقد يستصحب الآخرون في معاملتنا ذكريات حسنة أو سيئة .

ليكن ، فما نضيق بماضينا الذي يرجح بماضي غيرنا في ميزان الانصاف .

ان أوربا — وأمريكا معها — :

● ما زالتا تنظران إلى العرب على أنهم حملة رسالة محمد عدوهم اللدود ..!!

● وما زالتا تضيقان بالاسلام وسيره خلال التاريخ الغابر والحاضر..

● وقد انضمت روسيا إلى هذه الجبهة إذ هي تحارب أصل الايمان، وتخاصم الاسلام فيما تخاصم من دين،ونحن ما يروعنا هذا الشعور الجاف مهما كانت مصادره .

وكل ما نوصي به أن نحاكم الخصوم والأصدقاء جميعا الى مبادىء

---

(١) اشرنا الى ذلك في اول كتاب لنا صدر من ربع قرن .

العدالة والمساواة والحرية التي يطبقون على احترامها ، ونطلب إليهم ألا يتناسوها معنا ...

وفي زحام هذا العالم المائج بالمذاهب والنحل يجب أن نعتصم « بالاسلام » وألا نفرط في ذرة منه ، وأن نتيح عرضه على الناس فمن شاء اعتنقه ومن شاء تركه ...

● (٤) ـ الخلاف الديني في نظرنا ليس مثار عداوة ، فلكل إنسان الحق في إيثار عقيدة ما يستريح اليها ضميره .

إن العداوة تنشب من الظلم والاستضعاف ، والبغي والاعتساف .

ومن حقنا نحن المسلمين أن نتعرف جيدا الجهات التي ترمينا بالضرر، وتقدح لنا الشرر .

ومن حقنا أن نتحصن من أذاها ، وأن نكسر طغواها ، وأن نقبل العون ممن يؤازرنا ضدها ...

وانه ليؤسفنا في المرحلة الحالية من تاريخنا أن يتواصى أهل الكتاب بحربنا ويتعاونوا على ظلمنا ...

وأن يتقدم الروس وأحلافهم من الشيوعيين بصنوف المساعدات لرد هذا الاعتداء ...!!

إنه لسواد في وجه الضمير الديني أن تقع هذه المفارقات .

ولكن ما هذه أول مرة يخون فيها أهل الكتاب ربهم ورسلهم ...!

ونحن المسلمين ـ بداهة ـ نرحب بالعون المبذول ، ونقدره ، ونرى لزاما علينا :

● أن ندفع ثمنه المادي .

● أن ننوه بالجميل المسدى .

● ألا نرى الشعوب التي أحسنت إلينا منا شرا قط ...

وليس يعني هذا في قليل ولا كثير أن نعتنق الشيوعية،أو نغمض العين عن كفرها بالله ، أو ننسى أحوال المسلمين الخاضعين لحكمها ...!!

إن الظروف السياسية مهما تعقدت لا تغير الحقائق الأساسية للأمـم ورسالاتها واتجاهاتها [1] .

● (٥) ــ بقي على الأمة الاسلامية أن تلم شعثها ، وتصلح شأنهـا وتنقي منابع ثقافتها وتفقه الطور الانساني الذي تجتازه ، ويجتازه معهـا الآخرون ...

إن المسافة لا تزال بعيدة بين المسلمين ودينهم علميا وعمليا،وفي مراحل هذا البعد تجد المذاهب المناوئة والأعداء المتربصون ألف ثغرة للنفاذ الى قلب العالم الاسلامي .

وذاك سر النقائص الكثيرة التي تدع الحليم حيران !!..

---

(١) الف هذا الكتاب في العام الماضي قبل وقوع الحرب الاخيرة بين العرب واليهود ولذلك لم أشأ التعرض فيه لمأساة «سيناء» وما اعقبها وما ادى اليها.

فهرس الكتاب

	الصفحة
مقدمة	٣
الفصل الأول ـ بداية الصراع	٧
الفصل الثانى ـ الشيوعية والدين	٢١
الفصل الثالث ـ الشيوعية والحريات	٦١
الفصل الرابع ـ الأحوال الاقتصادية في ظل الشيوعية	٨٥
الفصل الخامس ـ المسلمون في الاتحاد السوفياتى	١٠٧
الفصل السادس ـ الإسلام بين الحياة والموت	١٤٥
الفصل السابع ـ فلسطين والشيوعية وواجبنا العام	١٩٧

مطابع المختار الاسلامى
دار السلام

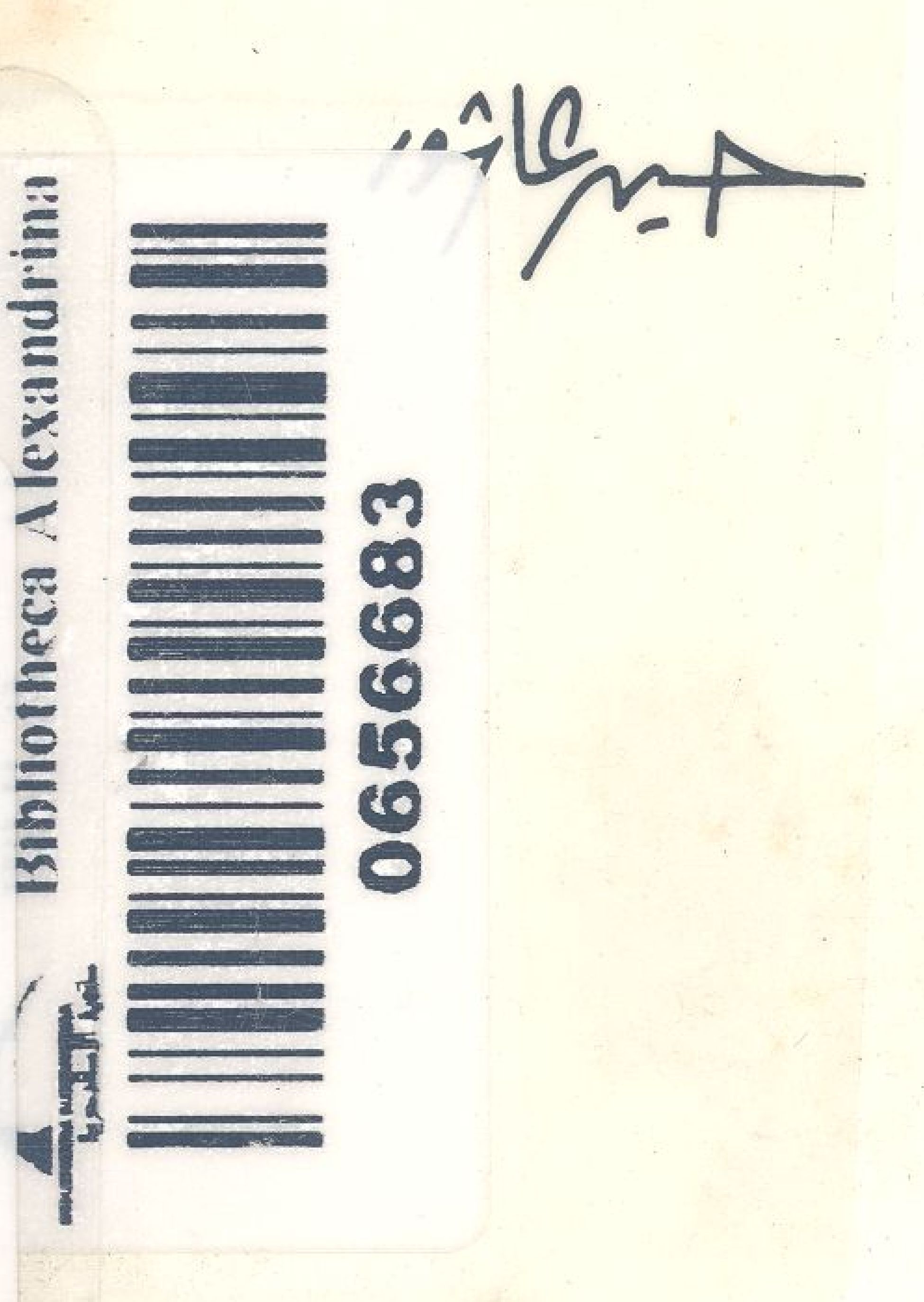
بعد نفاد الطبعة الخامسة خلال أيام من صدورها يقدم المختار الاسلامى طبعته السادسة من كتاب : الاسلام فى وجه الزحف الأحمر للداعية الاسلامى الكبير فضيلة الشيخ محمد الغزالى ..

يحدثنا الكتاب عن النظرية الشيوعية .. كيف تسربت الى البلاد العربية والاسلامية .. ومن المسئول .. وعن موقفها من الاسلام والنصرانية . وماهو موقف زعماء الشيوعية من الدين .. والأسرة .. والأخلاق ..

ويضيف الكتاب — ولأول مرة — تقريرا صادقا عن ماساة المسلمين فى الاتحاد السوفيتى .. من هم .. وما بلادهم .. وقصة الاستعمار الروسى .. ونجاح الحملة الصليبية الروسية فى الابادة الجماعية للجمهوريات الاسلامية .

ويؤكد الكتاب أن أعاصير الشيوعية قد هبت على العالم العربى والاسلامى وهو خائر القوى .. مكدود الأعصاب ..

ثم يقدم لنا الكتاب حلا جذريا لما تعانيه الأمة الاسلامية من تمزق وضياع .. ان الكتاب ليحفل بالحقائق العلمية والتاريخية .. فهو صرخة قلب غيور على دينه .. شفيق على أمته .





مطابع المختار الاسلامى